علم اللاهوت العقيدى

الجزء الثالث

إعداد : دكتور
موريس تاوضروس
بالكلية الإكليريكية

تقديم
الأنبا موسى
الأسقف العام



بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسقفية الشباب

سلسلة :

علم اللاهوت العقيدى

الجزء الثالث

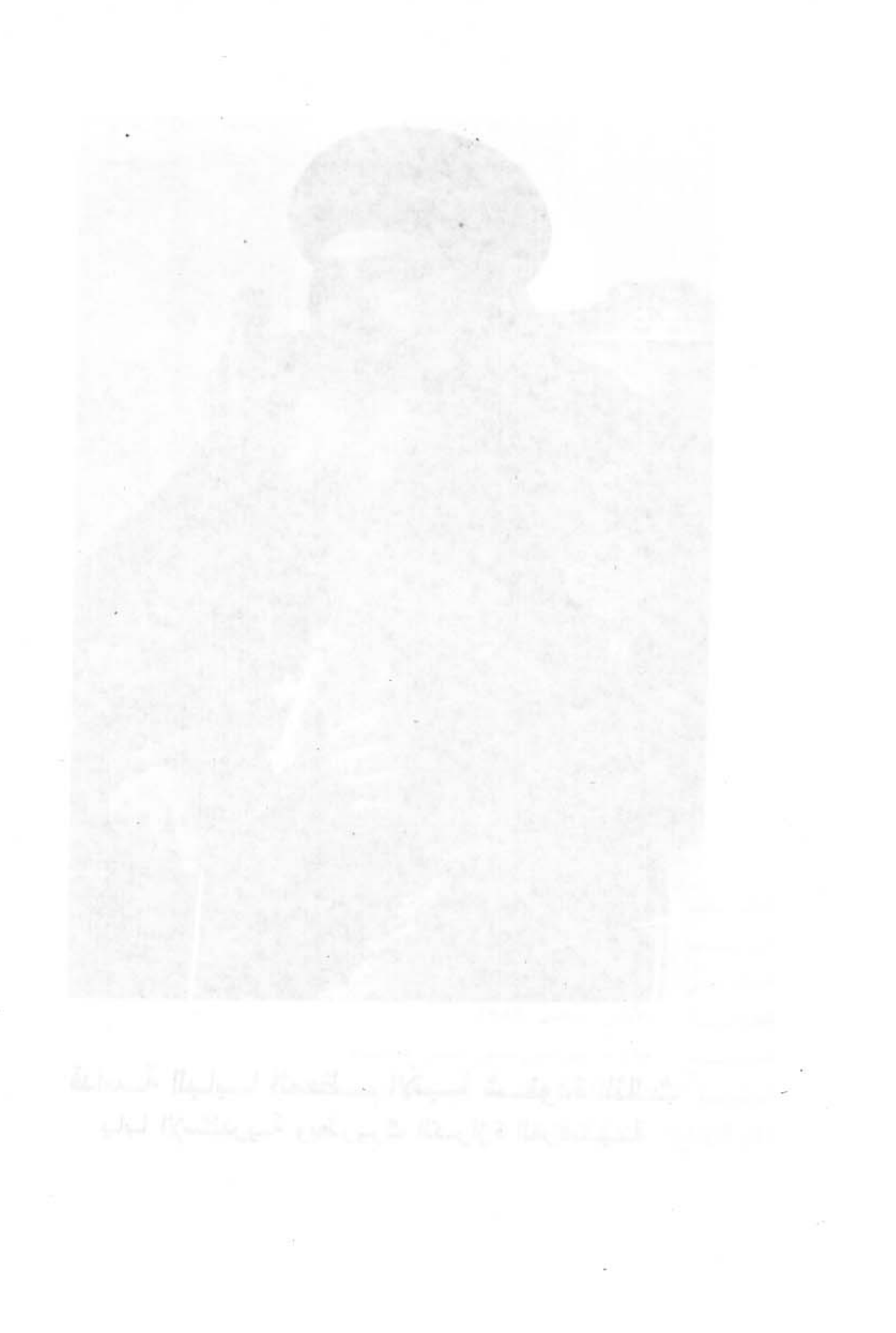
تقديم
الأنبا موسى
الأسقف العام

دكتور
موريس تاوضروس
أستاذ علم لاهوت العهد الجديد

الكتـــــاب : علم اللاهوت العقيدى (الجزء الثالث).
المؤلـــف : دكتور موريس تاوضروس.
الناشــــر : مكتبةأسقفية الشباب
الطبعـــة : الأولى سبتمبر ١٩٩٢
الجمـــع : مكتب جى.سى.سنتر بمصر الجديدة
المطبعــة : دار الطباعة القومية بالفجالة ت : ٩٠٥٤٨٦
رقم الايداع: ٩٢/٧٩٧٥



قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



تقديم

يسعدنى أن أقدم للقارىء القبطى هذا الجزء من الموسوعة الشاملة والهامة فى **"اللاهوت العقيدى"** للأستاذ الدكتور موريس تاوضروس، أستاذ العهد الجديد بالكلية الاكليريكية، وأحد معالم البحث العلمى والدراسات بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

وكنا قد أصدرنا الجزء الأول من هذه الموسوعة، فى سبعة كتيبات - سيعاد طبعها لتصدر فى كتاب واحد إن شاء الله - عناوينها كما يلى :

١ - مفهوم العقيدة　　　٢- مصادر العقيدة
٣ - منهج العقيدة　　　٤- الاعلان الإلهى
٥ - الوحى والتقليد　　　٦- معرفة الله
٧- حول صفات الله

والجزء الثانى من هذه الموسوعة، يشمل الأبواب التالية :

٨ - كيف نتعرف على صفات الله ؟　　　٩ - الثالوث القدوس
١٠ - الانسان صورة الله - السقوط والدينونة

وها نحن نقدم الجزء الثالث ويتحدث عن :

١١ - خلقة العالم　　　١٢ - العناية الإلهية.
١٣ - التدبير الإلهى، وعلاقته بالمعجزة، والصلاة والحرية الانسانية.
١٤ - عالم الملائكة.　　　١٥ - عالم الشياطين.

ومن الواضح أن هذه الدراسات المتعمقة، هى حاجتنا الماسة، لتنقذنا من السطحية، وتدخل بنا إلى أعماق الدراسات اللاهوتية، لعلنا نعود إلى عهد كان المؤمن العادى لاهوتيا ! وفى عصر العلم والبحوث، لابد من الغوص فى الأعماق، أعماق الخبرة اللاهوتية، والدراسات الآبائية، والفكر الانسانى، حتى نشبع بلآلىء مباركة، تعب فى استخراجها علماء مباركون.

الرب يبارك هذه الدراسات بصلوات قداسة **البابا شنودة الثالث**، العالم والمعلم، ويعوض أ.د. **موريس تاوضروس** عن تعبه وجهاده، من أجل الله، والكنيسة، والقارىء القبطى.

ونعمة الرب تشملنا جميعا

١١سبتمبر ١٩٩٢ م
عيد النيروز المجيد
أول توت ١٧٠٩ ش

الأنبا موسى
الأسقف العام


http://coptic-treasures.com

الباب الحادى عشر

خلقة العالم

- الله خالق العالم
- الخلق من لا شىء
- الخلقة فى علاقتها بالزمن
- خصائص فعل الخلق
- الغاية من الخلق
- نظام تحقيق المخلوقات

مقدمة

خلق الله العالم المنظور وغير المنظور من لا شيء . فلم تكن المادة موجودة سابقا ولكن له خلقها وأوجدها من العدم . لقد دعاها الله من اللاوجود إلى الوجود ، وذلك بفضل بوته المطلقة القادرة على كل شيء . ومعنى ذلك إن الله لم يكن محدودا بشيء أو لم يكن مضطرا أن يتحرك داخل حدود أو شروط معينة ، فلم يكن للمادة كما زعم بعض الفلاسفة وجود أزلى مصاحب لوجود الله .

ولقد تمت خلقة العالم فى زمن دون أن يحدث فى الله أى تغيير ، بل يظل الله كما هو . وبلا شك فإن نظرية الخلق حسب الفكر المسيحى تناقض الفكر الإلحادى المادى الذى ينكر أى وجود خارج الوجود المادى ، وكذلك تناقض مذهب وحدة الوجود الذى أشرنا إليه فى الدراسات السابقة ، بالإضافة إلى أنها تناقض الفكر الأساطيرى الذى يتصور وجود إله للخير وإله للشر ، وتناقض أيضا ما زعمه البعض من أن الملائكة شاركوا الله فى خلقة العالم ، ولكن حسب الفكر المسيحى أن الذى اشترك مع الآب فى الخلق هو كلمته وابنه وحيد الجنس الذى كان معه منذ الأزل ولم ينفصل عنه وبه صنع العالمين . وهذا التعليم مؤسس على الكتاب المقدس وأخذ به التقليد الكنسي وكرز به الآباء الرسوليون ومن خلفهم من آباء الكنيسة وكتابها ، ونشير على الأخص إلى القديس أثناسيوس الرسولى .

على أنه إذا كان العالم قد تمت خلقته فى الزمن ، إلا ان خطة الخلق لها وجود أزلى فى ذهن الله . ولو أن خطة الخلق كانت مستحدثة فى ذهن الله ، فمعنى ذلك أنه قد حدث تغير بالنسبة لله . وقد خلق الله العالم بفعل حر ولم يخضع لأى اضطرار سواء كان من الخارج أو اضطرارا داخليا . وتدل الخلقة على صلاح الله وقدرته التامة وعلى كمال حكمته ، ومن خلال الخلقة يتمجد الله .

وسوف تتضمن دراستنا النقاط التالية :

١ ــ الله الخالق .

٢ ــ الخلق من لا شيء .

٣ ــ الخلقة فى علاقتها بالزمن .

٤ ــ خصائص فعل الخلق .

٥ ــ الغاية من الخلق .

٦ ــ نظام تحقق المخلوقات .

١ ــ الله خالق العالم

١ ــ تعليم الكتاب المقدس والتقليد :

لم توجد السماء ولا الأرض من ذاتهما ، فالله هو علة وجودهما

M. Basil. Hex. hom. 1, 1, M. 29, 4.

+ ولدينا فى الكتاب المقدس ما يؤكد هذه الحقيقة كما يبدو من الأمثلة التالية :

« *فى البدء خلق الله السماوات والأرض* » (تك ١:١) .

« *لأنه قال فكان ، هو أمر فصار* » (مز ٩:٣٣) .

« *صانع الأرض بقوته ، مؤسس المسكونة بحكمته ، وبفهمه بسط السماوات* » (أر ١٢:١٠) .

« *الباسط السماوات وحده* » (أيوب ٨:٩) .

« *هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن . أنا الرب صانع كل شىء ناشر السماوات وحدى . باسط الأرض . من معى* » (إش ٢٤:٤٤) .

« *الباسط السماوات كشقة* » (مز ١٠٣ ٢) (الشقة = قطعة من قماش يستظل بها) .

« *أرفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه . من الذى يخرج بعدد جندها يدعو كلها بأسماء . لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يفقد أحد ... أما عرفت أم لم تسمع . إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا* » (إش ٢٦:٤٠،٢٨) .

« *بكلمة الرب صنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها* » (مز ٦:٣٣) .

« *فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتا إلى الله ، وقالوا أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها* » (أع ٢٤:٤) .

« *لأن منه وبه كل الأشياء* » (رو ٣٦:١١) .

+ وفى كتابات الآباء تأكيد لحقيقة الخلق . فالله الواحد قد خلق كل شىء من العدم ، وهو السيد ضابط الكل ، بدونه لم يكن شىء مما كان . وقد سر الله بخليقته وهو يعرف كل ما يتصل بها .

يقول هرماس الراعى فى وصيته الأولى :

« آمن قبل كل شىء ان الله واحد خالق ومدبر الكل . خلق الكل من العدم إلى الوجود » (١:١) — (ترجمة الياس معوض) .

وانظر اكليمنضس الرومانى فى رسالته الأولى إلى كورنثوس :

« إن خالق ورب الأجيال الكلى القداسة يعرف وحده مقدارها وجمالها » (٣:٣٥) .

« إن سيد الكل وخالقهم يفرح بأعماله » (٣:٣٣) .

« الله الذى يراقب كل شىء وهو سيد الأرواح والأجساد » (١:٦٤) .

« نعم إنك أنت أيها الإله السماوى وملك كل العصور » (٢:٦١) .

(ترجمة الياس معوض) .

أنظر :

B. 1, 27, 26, 38, 37

وانظر أيضا فى كتابات الآباء :

1- Didache 10, 3. B. 2, 218 + 216.
2- Diogn. Epist. 7, 2 + 8, 7 + 3, 4, B. 2, 254, 255, 252 + Princip. 1, 4.
3- Origen. against Cels. VI, 65, B. 10, 109.
4- Iren. Elen. Book 1, X, 1, M. 7, 550.
5- Tertull. De Praescript. XIII, m. 2, 26.
6- Clem. of Alex. protrepticus. V, 65, Strom. IV, 26 B. 7, 51 + 8, 106, Hippolytus, Her. Noyt. 10, B. 6, 16, Clem. Paedagogus 11, IV, 44, Strom. IV, 25 B. 7, 150 + 8, 105.

٢ — النظريات الخاطئة :

تعارض وجهة النظر المسيحية فى الخلق ، النظريات الخاطئة التى أشرنا إلى بعضها فى دراساتنا السابقة ، مثل نظرية الماديين ، ونظرية وحدة الوجود ونظرية القائلين بإله للخير وإله للشر ، والقول بأن الملائكة اشتركوا مع الله فى الخلق ، إلى غير ذلك من نظريات الهراطقة المنحرفة . انظر فى كتابات الآباء :

1- Iren. 1, X, 3 + IV, VI, 2, M. 7, 987, 553 + 11, 2, 1, M. 7, 713.
2- Hygemon., Lyk. Serap., Tit., M. 10, 1405 + 18, 409 + 40, 899 + 18, 1069.
3- Damas. mnym. B. 3, M. 94, 873.
4- Athanas. against Her. 2, 21 + 26, M. 26, 190 + 201 + 27, M. 26, 204.

5- Auqust: De Genes. ad litt. IX, 15, 26, m. 34, 403.
: De Civit. Dei lib. XIIC. XXIV, XXV m. 41, 373, 374.

٣ ــ وضع الابن فى خلق العالم :

+ من الواضح حسب تعاليم الكتاب المقدس ، وحسب تعاليم الآباء ، أن الله خلق العالم بواسطة ابنه أو كلمته . وهكذا قد قيل فى الآيات الأولى من الإنجيل للقديس يوحنا « **هذا كان فى البدء عند الله ، كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان** » (يو ١:٢،٣) .

وقال الرسول بولس « **لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له ، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به** » (١كو ٨:٦) .

« **كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شىء الذى به أيضا عمل العالمين** » (عب ١:٢) .

« **وأنت يارب فى البدء أسست الأرض والسماوات هى عمل يديك ، هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى** » (عب ١:١٠ــ١٢) .

« **ولكن هذا (أى المسيح) قد حسب أهلا لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت ، لأن كل بيت يبنيه إنسان ما ولكن بانى الكل هو الله** » (عب ٣:٣ــ٤) .

ومن الملاحظ هنا أن عبارة « الذى به ــ dia » التى وردت فى الآيات السابقة (١كو ٨:٦ ، عب ١:٢) لا تعنى أن المسيح كان وضعه هنا كأداة أو آلة فى يد الخالق ، مما يجعل الابن فى وضع أقل من الآب كما ذهب إلى ذلك الأريوسيون . ولقد كتب فى هذا القديس باسيليوس الكبير فقال :

أما بخصوص حرف الباء "dia" فمن الواضح أن الكتاب المقدس يدخله بالتساوى على الآب والابن والروح القدس . وهذا ما يجب البرهان عليه . فأولا عن الابن ، لا فائدة من ايراد شهادات ، لوضوحه ولأن الأخصام أنفسهم يعملون به . ولكننا نبرهن على أن حرف « الباء » يدخل أيضا على الآب « **أمين هو الله الذى به دعيتم إلى شركة ابنه** » (١كو ١:٩) ، وأيضا « **فلست بعد عبدا بل ابنا ، وإذا كنت ابنا فأنت وارث بالله** » (غلا ٤:٧) ، وأيضا « **أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب** » (رو

٤:٦) ، وإشعياء يقول « **ويل للذين يعملون مشيئة الظلام ، لا التى بالرب** » (إش ١٥:٢٩) . وكثيرة أيضا الشهادات التى يمكن ايرادها عن ادخال هذا الحرف على الروح « **فلنا كشف الله بالروح** » (١كو ١٠:١) ، وفى موضع آخر « **أحفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس** » (٢تى ١٤:١) ، وأيضا « **أحدهم ينال بالروح كلام حكمة** » (١كو ١٨:١٢)[1] .

انظر :

M. 32, 73 + 77

ويقول الرسول بولس فى رسالته إلى رومية « **لأن منه وبه وله كل الأشياء** » (رو ٣٦:١١) . وهذا يعنى أن الرسول بولس لا يجد أى فارق بين الحرفين « منه » و« به » فهو يسندهما إلى شخص واحد . انظر :

Theodorytos. M. 82, 184.

وانظر أيضا :

Cyril: John 1, 3 M. 73, 85.

+ إن تعاليم العهد الجديد هذه كانت أساس تعاليم الكنيسة منذ عصر الآباء الرسل . فالقديس أغناطيوس فى رسالته إلى أفسس يتكلم عن الرب يسوع من حيث أنه « المعلم الواحد » ويقول أنه « قال فكان » .

انظر :

Ignat. Eph. 15, 1, B. 2, 267.

وفى كتاب الراعى لهرماس جاء فى المثل التاسع ان اسم ابن الله عظيم وهو يمسك (يحمل ــ يضبط) العالم كله ، وان كل الخليقة تُحمل (تضبط) بواسطة ابن الله .

Hermas. The Shepherd, parab. 9, 14, 5, B. 3, 95.

وتتحدث أيضا الرسالة إلى ديوجنيتس عن المسيح خالق كل شىء .

Diogn. Epist. 7, 2 B. 2, 254.

(١) **القديس باسيليوس الكبير** : مقال عن الروح القدس ــ عربه الأرشمندريت ادريانوس شكور ــ لبنان ١٩٧٩ (١٠:٥) .

وفى رسالة برنابا ، يشار إلى أن صيغة الجمع التى تقابلها فى سفر التكوين « **نصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا** » (تك ١:٢٦) ، يخاطب بها الله ، الرب يسوع المسيح الذى تألم من البشر من أجل نفوسنا وهو رب المسكونة .

Barnab. V, 5 B. 2, 230.

ويتحدث القديس يوستينوس عن ابن الله الذى هو وحده على الأخص يحمل اسم الابن ، وبه خلق الله العالم . وفى محاورة تريفون ، يتبنى يوستينوس ما ذهب إليه برنابا سابقا فى مخاطبة الله للرب يسوع فى قوله « **نصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا** » .

Justin. 2 Apol. 20, 6, 3, Tryph. 62, B. 3, 203, 266.

وكذلك يشير كل من اثيناغوراس وتاتيانوس إلى المسيح خالق العالم .

1- Athyn. Presb. 10 B. 4, 288.
2- Tatian. Hellen. 5 + 7 B. 4, 245, 246.

ويرى ثيؤفيلس الأنطاكى أن عبارة « فى البدء » التى وردت فى سفر التكوين (تك ١:١) تطابق عبارة « فى كلمته » أى أن الله فى كلمته خلق السماوات والأرض وكل ما فيهما .

Theoph. 2 Autolykon 10 + 22 B. 5, 28, 27, 36.

وهذه الحقيقة يؤكدها أيضا كل من ايريناوس وترتليانس وهيبوليتس :

1- Iren. Book A ch. XXII, 1 m. 7, 669.
2- Tertull. De praescr. Ch. 13 m. 2, 31.
3- Hippolyt. Her. Noyt. Ch. XI B. 6, 17.

وللقديس أثناسيوس الرسولى تعليم مسهب فى الدفاع عن وضع الابن فى الخلقة فى مقاومته للبدعة الأريوسية . انظر :

Athanas. against Arian. 24, M. 26, 197, ibid: 26 M. 26, 201, ibid 21, M. 26, 190.

+ على أن نسبة فعل الخلق إلى الابن لا تعنى ان الابن ينفرد بذلك بدون الآب والروح القدس . انظر :

Greg. Nys. (about not being three Gods) M. 45, 125.

ولقد نسبت الخلقة فى الكتاب المقدس أحيانا إلى الآب وأحيانا إلى الابن وأحيانا إلى الروح القدس على النحو التالى :

بالنسبة للآب : « ***أيها الآب رب السماء والأرض*** » (لو ١٠:٢١) .

بالنسبة للابن : « ***كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان*** » (يو ١:٣) .

بالنسبة للروح القدس : « ***روح الله صنعنى ونسمة القدير احيتنى*** » (أيوب ٣٣:٤) ، أنظر :

M. Basil: against Eunom. Book. V, Ch. 2.

وهكذا منذ البداية ، اعتبرت الخلقة عند الآباء والكتاب الكنسيين ، عملا مشتركا للأقانيم الثلاثة . انظر :

1- Aristydys: Apolog. XV, 3 B. 3, 148.
2- Iren. IV, 20 + 1, 22, 1 + IV, 38, 3 M. 7, 1032, 669, 1108.
3- Dam. mnym. 2, 5 + 2 M. 94, 880, 865.
4- Epiphan. faith 14. M. 42, 809.

وقد تحدث القديس باسيليوس الكبير عن هذا الموضوع بالتفصيل فقال :

ويمكنك أن تتعلم من المخلوقات التى هى منذ البدء ، ما هى شركة الروح القدس مع الآب والابن . فالقوات الفائقة العالم النقية والعقلانية هى قديسة وتدعى كذلك لأنها اقتنت التقديس بالنعمة الحالة فيها من لدن الروح القدس . حتى ولو كان الصمت يهيمن على الطريقة التى خلقت بها القوات السماوية ، وأن الذى صور لنا تكوين العالم لم يوضح لنا الخالق إلا من حيث علاقته بالمحسوسات ، فأنت الذى لديك قوة استنتاج لتبلغ بها من المنظورات إلى غير المنظورات ، مجد الصانع الذى به خلق كل شىء ، ما يرى ومالا يرى . أأصحاب رئاسة كانوا أم سلطة أم قوة أم عرش أم سيادة ، وكل الطبائع العقلانية الأخرى إن وجدت بدون اسماء . ثم ضع لى فى فكرك ان فى خلقها السبب الرئيسى لوجودها وهو الآب ، والسبب الصانع وهو الابن ، والسبب المكمل وهو الروح ، حتى أنه بإرادة الآب توجد الأرواح الخادمة ، وبفعل الابن تنتقل إلى الوجود وبحضور الروح تكمل . فتكميل الملائكة تقديسهم وبقاؤهم فيه . ولا يظن أحد بأنى أقول أن فعل الابن غير كامل . فلا الآب الفاعل الكل فى الكل فعله غير كامل ، ولا الابن صنعه غير تام

إذا لم يكمله الروح ... فالكلمة هنا ليست لفظة هواء ذات معنى صادرة عن الأعضاء الصوتية ، وليس الروح نفخة فم خارجة من الأعضاء التنفسية ، لكن الكلمة هو الكائن فى البدء عند الله وهو الله . أما روح فم الله ، فهو روح الحق الذى من الآب ينبثق .

وانك الآن تفكر فى ثلاثة : الرب مصدر الأوامر والكلمة الخالق والروح المثبت . وما التثبيت سوى التكميل بالتقديس[1] .



(١) مقال عن الروح القدس ـــ ترجمة الأرشمندريت أدريانوس (١٦: ٣٨) .

٢ – الخلق من لا شيء

تعليم الكتاب المقدس :

عنصر أساسى فى معنى الخلق ، أن الله خلق العالم من لا شيء ومن العدم ، وأن العالم محدود ولذلك يتميز عن جوهر الله غير المحدود . وفى كلمات أخرى فإن الله الخالق ، خلق العالم ، لا من مادة سابقة يفترض أنها كانت توجد مع الله منذ الأزل ، ويكون عمل الله هنا كعمل الصانع الذى يصنع من المادة الخام المصنوعات المختلفة . وكذلك فإن العالم ليس جزءا من الله يصدر عن جوهر الله ذاته . وهذا المعنى للخلق باعتباره قد تم من لا شيء ومن العدم ، يبنى أساسا على تعليم الكتاب المقدس كما يبدو فى افتتاحية الأصحاح الأول من سفر التكوين . جاء فى الكتاب المقدس « ***فى البدء خلق الله السماوات والأرض*** » (تك ١:١) . وهذه العبارة تنقض كل فكر بشرى يقول بازلية المادة كما يلاحظ ذلك القديس يوحنا ذهبى الفم .

Chrys. hom. 2 gen. 4 Monf. 4, 16.

فعبارة « فى البدء » ترادف القول « بأنه لم يكن هناك شيء بعد » .

August: De Civit. Dei XI, VI m. 4, 321.

إنّ استعمال الفعل « خلق » مع عبارة « فى البدء » تؤكد بأن الخلق تم من لاشيء وتنفى وجود مادة سابقة خلق منها العالم . وبالإضافة إلى ذلك فإن عبارة « كانت الأرض خربة وخالية » تعنى أن العالم الذى خلق من لا شيء ، كانت هذه هى صورته الأولى فى بداية الخلق .

M. Basil. Hex. hom. 2, 3, M. 29, 33.

إن الله خلق السماء والأرض والهواء والنار والماء من لا شيء وليس من مادة سابقة . ولكن من هذه المواد التى خلقها من لا شيء ، خلق كائنات أخرى مثل الحيوان والنبات . انظر :

Dam. Book 2 Ch. 5, M. 94, 880.

وعلى ذلك فإن الفعل « خلق » يشير بطريق مباشر إلى الخلقة من لا شيء "Creatio Prima" ، وبطريق غير مباشر يشير إلى خلقة الكائنات من هذه المادة المخلوقة من لا شيء "Creatio Secunda" .

من ناحية الخلق من لا شيء ، يقول سفر التكوين « **في البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربة وخالية** » (تك ١:١) ومن جهة الخلق من المادة المخلوقة من لا شيء ، يقول سفر التكوين « **وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا .... فأخرجت الأرض عشبا وبقلا .... وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير فوق الأرض .... وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم ودبابات ووحوش أرض كأجناسها ....** » (تك ١١:١ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤) .

وجاء فى سفر المكابيين الثانى « **وأطلب منك ياولدى أن تنظر إلى السماء والأرض وكل ما فيهن وتعقل إن الله صنعهن من لا شيء وهكذا صار جنس البشر** » (٢مكا ٢٨:٧) . وجاء فى حكمة سليمان « **لأنه لا يصعب على يدك القادرة على كل شيء التى خلقت العالم من هيولى (مادة) غير منظوم** » (حكمة سليمان ١٨:١١) .

وسواء كان الخلق من لا شيء أو من مادة خلقت من لا شيء ، فإن الأمر فى النهاية يتساوى من حيث أن الله خلق العالم من لا شيء وليس من مادة كان لها وجود أزلى سابق كما يزعم بعض الفلاسفة .

+ فى العهد الجديد ، يكفى أن نشير إلى قول الرسول يوحنا فى بداية بشارته « **وبغيره لم يكن شيء مما كان** » ، مما يدل على أن الله خلق العالم من العدم ومن لا شيء وأنه لم يكن هناك أى شيء مالم يخلقه الله .

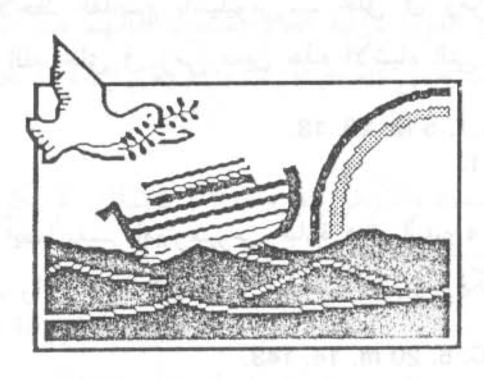
ويقول الرسول بولس « **أمام الله ... الذى يحيى الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة** » (رو ١٧:٤) « **بالإيمان نفهم أن العالمين اتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر** » (عب ٣:١١) . وانظر :

1- Chrys. Heb. hom. 20, 1, Monf. 12, 289.
2- Theod. Heb. 11, 3 M. 82, 757.
3- Oik. M. 118, 404.
4- Theoph. M. 124, 397.

تعليم الآباء :

أكد الآباء تعليم الكتاب المقدس بخلقة العالم من لا شيء . انظر :

1- Aristydys, Apology. 4, 1 B. 3, 136.
2- Athynagor. Pres. 19 + 15 B. 4, 294 + 291.
3- Just. Dialog. 5, 1, 2, B. 3, 214.
4- Theoph. 2 Autol. 10, 13 + 4 B. 5,27, 30, 22.
5- Iren. 1, 28, 1, M. 7, 690 + II, X, 3, 4 M. 7, 736.
6- Tatian. Hell. 5, B. 4, 245.
7- Tertull. Advers. Hermog. 8, m. 2, 228.
8- Cyril of Alex. gen. Log. 1, 2, M. 69, 17.
9- M. Basil. Hex. hom. 2, 2, M. 29, 32 + against Eunom. IV, I M. 29, 673.
10- Orig: John 1 Ch. XVII, 103 + XXXII Ch. XVI, 187.
: Princip. II Ch. 1, 4, 5.
11- Hermas: The Shepherd, Comm. 1, 1.
12- Chrys. hom, 2. gen. 2, Monf. 4, 13.
13- Dam. against Man. 20 + 9 M. 94, 1524, 1513 + 6, M. 94, 1512 + 67 M. 94, 1561.
14- Ambros. (gen. 1, 1) in Hexam. 1, 1 C. II, 5 m. 14, 124, 126, 129.
15- August. Ad Orosium Contra Priscilliam C. 2.
16- Athanas. against Arian. 1, 20, M. 26, 53.



٣ ــ الخلقة فى علاقتها بالزمن

١ ــ بدء الزمن :

الزمن والعالم لا ينفصلان . لقد بدأ الزمن مع العالم ، فإذا التزمنا الدقة فى التعبير ، نقول ان العالم بدأ مع بدء الزمن ، فليس من الممكن أن نتصور الزمن قبل العالم . إن الأبدية والزمان يتميزان ــ كما يلاحظ القديس أوغسطينوس ــ من حيث ان الزمان لا يمكن أن يوجد إذا لم توجد الحركة والتغير ، وأما الأبدية فلا يحدث فيها أى تغير . فالزمن إذن ما كان يمكن أن يكون قبل خلقة العالم ، فليس للزمن إذن حقيقة منفصلة لأن بدء الزمن مرتبط ببدء العالم . انظر :

August: De Civit. 1, XIC. 6 m. 41, 321.
: Confess. XI, 13, m. 32, 815.

٢ ــ تعاليم الكتاب المقدس والآباء حول بداية الزمن وما تم فيه من خلقة :

+ يقول الكتاب المقدس ***« فى البدء خلق الله السماوات والأرض »*** وهذا يعنى أن العالم ــ فيما يلاحظ القديس باسيليوس ــ خلق فى زمن ، وكما يضيف العلامة أوريجينوس ، ان الله خلق فى زمن معين هذه الأشياء التى نراها . انظر :

1- M. Basil. Hex. hom. 1, 5 M. 29, 13.
2- Orig. princip. III, 5, 1.

وعلى هذا النحو أيضا يفسر امبروسيوس عبارة « فى البدء » ملاحظا أن الله خلق فى بدء الزمن السماوات والأرض ، لأن الزمن أرتبط بالعالم ولم يكن له وجود قبل العالم .

Ambros: Hex. 1, 1. C. 6, 20 m. 14, 143.

وبالإضافة إلى هذه الآية المذكورة فى بداية سفر التكوين ، فإننا نقرأ فى صلاة السيد المسيح التى رفعها لله الآب يقول فيها ***« والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم »*** (يو ١٧:٥) .

وفى هذا يشير السيد المسيح إلى علاقته الأزلية مع الآب قبل العالم الذى بدأ مع الزمن وخلق فى زمن .

وهذا المعنى يظهر أيضا فى هذه الصلاة عندما يقول السيد المسيح « **_لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم_** » (يو ١٧ :٢٤) ، كما يظهر فى الرسالة إلى كولوسى حيث يتحدث الرسول بولس عن السيد المسيح باعتباره « بكر كل خليقة » ، « **_الذى هو قبل كل شىء وفيه يقوم الكل_** » (كو ١ :١٥ــ١٧) . انظر :

1- Chrys Ephes. hom. 1, 2 Monf. 11, 5.
2- Zig. Mat. 25, 34 M. 129, 640.
3- Theod. Col. 1, 15 M. 82, 597.
4- Athanas. faith 3, M. 25, 205.
5- M. Basil. against Eunom. 4. M. 29, 701.

+ إن مفهوم « الخلق » يتضمن أن الشىء المخلوق لا يمكن أن يكون له وجود قبل أن يخلق ، فالعالم له بدء ولا يمكن أن يوجد مصاحبا لله فى وجوده الأزلى . انظر :

1- Athanas. against Arian. II, 1 + 22 + 57, M. 26, 148, 193, 269 + 1, 29 M. 26, 72 + Aig. Episc. 8, M. 26, 1044.
2- M. Basil. against Eunom. Book II, 17 M. 29, 608.
3- Greg. Nys. against Eunom. 1, M. 45, 364.
4- Maxim. IV, 6 M. 90, 1049.
5- Dam. 1, 8 M. 94, 813.

+ إن الذين يذهبون إلى القول بأزلية العالم يضعون أمامهم هذا التساؤل : إذا لم يكن العالم أزليا ، فماذا كان يعمل الله **حينئذ** عندما لم يكن العالم قد خلق ؟ ويجيب القديس أوغسطينوس فيقول :

« إذا لم تكن السماء والأرض قد وجدتا ، فكذلك لم يكن هناك زمن ، وعلى ذلك فلم تكن توجد أيضا (حينئذ) » .

Confess. 1, XIC. 13 m. 32, 815.

بل إن القديس ايريناوس يذهب إلى القول أنه قبل خلقة آدم ، وقبل الخليقة ، كان الابن يمجد الآب وكان الابن أيضا يمجد من الآب ، كما قال السيد المسيح نفسه « **_والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم_** » (يو ١٧ :٥) .

Iren. lib. IV Caput. XIV M. 7, 1010.

وانظر أيضا :

Greg. Naz. Log. 38, 9 M. 36, 320.

ويقول أيضا السيد المسيح فى صلاته إلى الآب « ***لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم*** » (يو ١٧ : ٢٤) . وعلى ذلك ، قبل إنشاء العالم ، كانت المحبة قائمة بين الأقانيم ، وكانت هذه المحبة هى علة هذا المجد الذى كان للابن عند الآب أو كانت هى المجد ذاته .

ومن غير المناسب ، القول بأن العالم المحدود كان يمكن أن يكون كافيا ليشغل الله غير المحدود ، والله لا يحتاج لكى يُكمل بوجود وحياة العالم . إن الله أعطى الوجود لما كان أولا فى حالة عدم ، عندما كان الوقت المناسب لذلك ، على نحو ما أرسل الله كلمته فى ملء الزمان . انظر :

Athanas. against Arian. 1, 29 M. 26, 72.

+ ولقد أفاض القديس أوغسطينوس فى كتابيه « مدينة الله » و« الإعترافات » فى الحديث عن الزمن والخلقة والأبدية وخلقة الملائكة ونوجز نظريته على النحو التالى :

١ ــ لماذا اختار الله الأزلى إيجاد السماوات والأرض فى زمن محدد وليس قبله ؟

يجيب القديس أوغسطينوس فيقول :

إذا كان غرض السائل ان العالم ليس له موجد فهو ضلال . إن العالم يحمل دلائل من جماله ونظامه وتغير أشيائه على أن موجده هو إله كامل الجمال والعظمة . إن العالم خلق فى الزمان وان هذا الخلق لا يعنى تغيرا فى التقدير والغرض الإلهى الأزليين . بدأ الله خلق الإنسان والعالم كفعل جديد ومن دون أى تغير مفاجىء فى الغرض والخطة الإلهية بل وفقا للخطة الأزلية . ان ما يحدث فى الوقت المناسب فهو مقدر بتقدير الله الأزلى وبكلمته التى هى معه دائما .

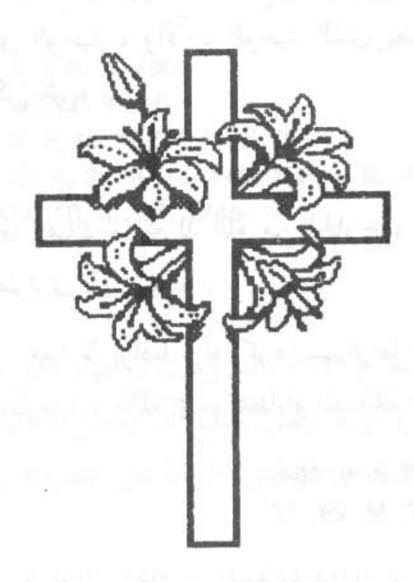
٢ ــ الأزلية ــ فيما يقول القديس أوغسطينوس ــ غير الزمان ، لأنه بدون حركة وتغير لا يوجد زمان . بينما فى الأزلية لا يوجد تغير وبالتالى فلا يوجد زمان .

٣ ــ يرفض القديس أوغسطينوس ، فكرة العود الأبدى للعالم والتى تقوم على أساس أن العالم يتعرض لإحتراق كلى ويقترن هذا الإحتراق بتجديد العالم على فترات كبيرة

من الزمان . وقد قال بهذه النظرية بعض الفلاسفة من اليونانيين وغيرهم . ويقول القديس أوغسطينوس إن خلود نفوس الأخيار فى الأبدية أكبر رد على فكرة العود الأبدى[١] .

وفى غير كتابات القديس أوغسطينوس ، انظر :

1- Dam. against Man. 9, M. 94, 1512, 1513.
2- Maxim. IV, 3 M. 90, 1048.



(١) الزمان فى الفكر الدينى والفلسفى القديم للدكتور حسام الألوسى ـ بيروت ١٩٨٠ ـ ص ١٣١ ـ ١٤٤ .

٤ ـ خصائص فعل الخلق

١ ـــ الحرية :

خلق الله العالم بفعل حر . وحرية الله فى الخلقة حرية تامة ومطلقة بغير حد ولا قيد . وكان الله حرا فى أن يخلق أو لا يخلق . وينبع فعل الخلق من إرادته المطلقة فى أن يخلق هذا العالم أو عالما آخر . فقط من قبل صلاحه وقداسته لا يمكن أن يخلق الله عالما ما شريرا . صلاح الله وقداسته تمنع أن يخلق الله الشر ، لأن الله **« لن يقدر أن ينكر ذاته »** (٢تى ١٣:٢) . فى الخلقة إذن ، لم يتحرك الله من قبل أى دافع آخر خارجى لأنه لم يوجد أى دافع آخر قبل الخلقة ، ولكن الله بمعرفته الخاصة وبحرية خلق كل شيء ، حسبما يمكن لأى شخص أن يتصور ذلك أخذا فى الاعتبار أنه ، هو الله الوحيد ، وهو السيد الوحيد ، والخالق الوحيد ، والآب الوحيد الذى يضبط كل شيء وهو فوق كل شيء وعلة الوجود لكل شيء .

Iren. II, 1, 1, M. 7, 710.

وليس فقط لا يوجد هناك ما يحرك الله من الخارج ، بل أيضا فإن الله لا يتحرك من قبل أى دافع اضطرارى فى طبيعته .

الله خير حر وليس خيرا لا إراديا (أو كرها ـــ الزاما) ، كما هو الحال مثلا بالنسبة للنار التى هى حارة بطبيعتها ، فالله يمنح عطاياه الصالحة بحرية . انظر :

1- Clem. Alex. Strom. VII, 7 B. 8, 264.
2- M. Basil. Hex. hom. 1, 7, M. 29, 17.

+ هذه الحرية كخاصية لفعل الخلق ، نلحظها ابتداء من الأصحاح الأول من سفر التكوين ، كما تعبر عنها اللغة التى استعملت فى قصة الخلق والتى تكشف عن أن الخلق تم بأمر من الله صادر عن حرية وسلطة وإرادة مطلقة حيث يقول :

« وقال الله ليكن نور فكان نور » (تك ٣:١) .

« وقال الله ليكن جلد فى وسط السماء » (تك ٦:١) .

« وقال الله لتكن أنوار فى جلد السماء » (تك ١:١٤) .

« وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » (تك ١:٢٦) .

يقول النبى داود فى مزاميره :

« كل ما شاء الرب صنع فى السماوات وفى الأرض ، فى البحار وفى كل اللجج » (مز ١٣٥:٦) .

+ وقد أكد الآباء والكتاب الكنسيون عامل الحرية فى فعل الخلق ، وان الله يفعل ما يريد وكما يريد وعندما يريد ، ولا يصدر عنه أى فعل كرها أو الزاما ، بل كل شىء يستند إلى إرادة الله الحرة ، فهى مقياس كل شىء وأساس كل شىء . وأنه لأمر مُضِل أن يعتقد أحد أن الله كان مضطرا لأن يصنع ما صنع . فالله لم يكن مضطرا ولا ملزما ولا مكروها لأن يفعل أى فعل مما فعل ، بل كل شىء صدر عن إرادته الخيرة الصالحة ، فكل ما أراده صنعه . انظر :

1- Aristyd. Apol. Ch. 4, 1 B. 3, 136.
2- Hippol. Her. Noyt. VIII. B. 6, 16.
3- Iren. II, 2, 3 + II, X, 2, M. 7, 735 + 4, 736.
4- Ambros. Hex. lib. IC. 6, 22 m. 14, 145, 158 + lib. IIC. 2, 4.
5- August. Ps. CXXXIV, 10. m. 37, 1745.

٢ ــ الصلاح :

تحمل الخلقة الدليل على صلاح الله . فالله وهب الوجود لكل شىء ليس عن اضطرار وليس لأنه فيه (أى فى الله) شىء ناقص يحتاج أن يكمل بالخليقة ، لأن الله لا يحتاج لصلاح الإنسان فهو صالح بطبيعته وهو قبل الخليقة غنى بطبيعته وصلاحه وكماله وغبطته ومجده ومحبته .

يقول الرسول بولس عن الله ***« المبارك العزيز الوحيد »*** (١تى ٦:١٥) .

« ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شىء ، إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شىء » (أع ١٧:٢٥) .

فالله إذن خلق العالم لا عن اضطرار ولا عن احتياج بل بدافع من صلاحه .

يقول القديس أنسلم فى تأملاته عن الله :

« أى خير ينقص الخير الأسمى ، وهو مصدر كل خير . أنت عادل ، صادق ، سعيد ، وكل ما يكون وجوده أفضل من عدمه . فالأفضل أن تكون عادلا من أن تكون ظالما ، وسعيدا من أن تكون شقيا » .

« أنت لا تحتاج إلينا » .

« يقينا أنت الحياة والحكمة والطيبة والسعادة والخلود وكل خير حقيقى »(1) .

ويقول الأب جبرائيل فرج « إن الله هو الخير الأسمى . ومن خصائص الخير أن ينتشر ويوزع . إن الله بالحقيقة لا يكسب شيئا بخلقة العالم ولكن العالم هو الذى يكسب . وهذا الواقع له قيمة كبيرة فى نظر الكلى الصلاح » (الله ص ١٥٥) .

يقول الرسول بولس « ***فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره*** » (٢كو ٩:٨) .

فالمسيح غنى ولكنه افتقر لكى نستغنى نحن بفقره والله خلق العالم ليس عن احتياج ولا عن اضطرار بل بدافع من صلاحه . انظر :

1- Dam. mnym. 2, 2 M. 94, 864.
2- Greg. Naz. log. 45, 5 M. 36, 629.
3- Oik. M. 168, 1012.
4- Athanas. Incarn. Word. 3, M. 25, 101.
5- August: De gen. IC. VII, 13 m. 34, 251.
: De Civit. Dei 1, XIC. 24 m. 41, 338.
6- Greg. Naz. Log. 45, 5 M. 36, 629.
7- Greg. Nys. Katech. 5 M. 45, 21.

٣ ــ القدرة المطلقة :

تحمل الخلقة دليل القدرة الإلهية المطلقة . وتبدو قدرة الله فى الخلقة كما يعبر عنها داود النبى فى مزاميره « ***لأنه قال فكان . هو أمر فصار*** » (مز ٩:٣٣) . ومعنى ذلك أنه يكفى أن يريد الله حتى يصير الأمر ، فهو قد أراد الخلقة فكانت . انظر :

(١) نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط للدكتور حسن حنفى ــ دار الكتب الجامعية ١٩٦٩ ــ ص ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٦٥ .

1- Clem. Alex. Protrep. IV, 63, B. 7, 49 + Paid. 1, VI, 26 + 27 B. 7, 92.
2- M. Athanas. against Arian. II, 24 M. 26, 197.
3- Dam. mnym. 2, 29 M. 94, 964.

إن كلمات الله تعبر عن إرادة الله ، فإذا تكلم الله صار الأمر نافذا ، على نحو ما رأينا فى قصة الخلق فيكفى أن يقول الله « ليكن » حتى يكون الشيء . انظر :

1- Ambros. Hex. 1, 1C. 9.
2- Dam. mnym. 1, 11, M. 94, 841.

وبالنسبة لرأى أوريجينوس فى قدرة الله ، انظر : Origin. Princip. II Ch. 9, 1.

٤ ــ العلم بكل شيء :

يدل فعل الخلق على علم الله الكامل . وفى قصة الخلق فى سفر التكوين ، يقترن فعل الخلق بعبارة تدل على أن كل ما خلقه الله فهو حسن (تك ١:٣ــ١١) . وهذا يتضمن افتراض أن الخلق تم بتفكير وتدبير ، ثم الحكم على المخلوقات أنها حسنة من حيث أنها تطابق فكر الله وتدبيره . وحسب ما يتم على المستوى البشرى ، فإن أى عمل من الأعمال يتم تحقيقا لفكرة أو وفقا لتصميم يكون فى البداية ، ثم يخرج إلى حيز التنفيذ . وهكذا رأى القديس أوغسطينوس أن العالم المنظور قد تشكل وتحقق وفقا للأفكار الأزلية التى كانت فى ذهن الله ، فالخليقة المنظورة وجدت سابقا فى عقل الله وفكره ، كأفكار خرجت فيما بعد إلى الوجود .
August. lib. quaest. LXXXIII 9. XLVI m. 40, 30.

وهذا التفسير لفعل الخلق هو تقريبا ما نجده عند الآباء . انظر :

1- Greg. Naz: Log. 38, 9 + 10 M. 36, 320 + 321.
2- Dam. mnym. 2, 2 M. 94, 865.
3- Hippolyt. Her. Noyt. X. B. 6, 16.

على أنه من الملاحظ هنا ، أن هذه الأفكار أو المثل التى تكون نموذج الخلقة ، لا توجد خارجا عن الله مستقلة كما كان يزعم أفلاطون عندما تصور أن وراء هذا العالم المحسوس ، عالما للمثل ، توجد فيه المثل مستقلة عن محسوسات هذا العالم ، لكن هذه الأفكار توجد فى ذهن الله . انظر : August. lib. quaest. LXXXIII, 9 XLVI m. 40, 30.

وهذا التعليم هو ما أكده الرسول بولس عندما قال « ***بالإيمان نؤمن أن العالمين اتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر*** » (عب ١١:٣) . وانظر أيضا :

1- August. De Genesi ad litter. lib V Ch. 18, 36. m. 34, 334.
2- Dion. Ar., God,s Names Ch. 5, 6 M. 3, 820, 821.
3- Damas. eik. 1, 10 M. 94, 1240 - 1241.

٤ ــ كمال العالم نسبى :

إذا كان العالم « حسن » حسبما أشير فى سفر التكوين ، وبذلك نشجب ونرفض رأى المتشائمين الذين ينظرون إلى العالم نظرة متشائمة ، لكن ليس من الصواب أن نذهب مع المتفائلين المتطرفين الذين يتصورون أنه من غير الممكن أن يكون هناك ما هو أحسن وأفضل من هذا العالم ، وأن ننظر إلى العالم الحاضر على أنه يمثل أفضل العوالم وأفضل ما يمكن أن يخلقه الله ، ففى ذلك تحديد لإرادة الله وحريته . فالله فى حريته قادر على أن يخلق هذا العالم بصورة أخرى وقادر على أن يخلق عوالم أخرى . عندما نقول أن هذا العالم هو أفضل ما كان يمكن أن يخلقه الله ، فإن معنى ذلك أن إرادة الله تخضع لضرورة ، أى ان الله بالضرورة ملزم أن يخلق العالم كاملا وان هذا الكمال يتمثل فى هذا العالم كما هو عليه بالفعل ، وهكذا تكون إرادة الله مطلقة فقط من ناحية اتخاذ القرار ، ولكنها ليست حرة عند تنفيذ القرار ، فالله على هذا النحو لا يكون حرا فى خلق عالم مختلف عن هذا العالم وعن الالتزام بكمال العالم كما هو عليه .

+ وفى ضوء هذا يحدد الآباء الشر الذى يوجد فى العالم باعتباره يمثل « اللاوجود » أى سلب الوجود ، فهو سلب للخير ، ولذلك لا يسند وجود الشر إلى الله . انظر :

1- M. Basil. Hex. hom. 2, 4 M. 29, 37.
2- Dam. mnym. 4, 21, against Manich 14, 32, M. 94, 1197, 1517, 1540.

وإذا كان الشر يشوب العالم ويلوثه ، ولكن ليس من الصواب القول بأن الله كان من الأفضل ألا يخلق العالم بسبب هذا الشر ، ذلك لأن عدم خلقة العالم تحرم الكثير من الكائنات العاقلة الصالحة من أن تتمتع بغبطة الخلقة وما تحمله من بركات ونعم إلهية . انظر : Damas. mnym. 2, 21 + against Manich 32, M. 94, 1197, 1540.

+ يقول الأسقف إيسيذوروس :

« إن العالم يمكن أن يكون أكثر كمالا مما هو لأنه ممكن ، والممكن قابل للتغيير والانفعال . ألا ترى تلك القفار الجدباء الجرداء التى لم تطأها قدما حيوان أو بشر ، فإنها قابلة إذا عولجت أن تصير مأهولة بالحيوان والإنسان » (المطالب النظرية ص ٤٣٦) .

٥ - الغاية من الخلق

أ - الغايتان الأولى والثانية للخلق :

+ إذا كانت الغاية من الخلق هى محصلة إرادة الله الحرة الصالحة ، ولم تكن نتيجة فعل الصدفة العمياء أو الضرورة ، فإنه من الواضح أن الخلقة تمت لتحقيق غاية ما .

+ بعض الفلاسفة الذين يشير إليهم توما الإكوينى[1] وهم يقصدون إلى أن يبعدوا عن الله فكرة الغائية ، لا يقبلون القول بأى سبب أو أية علة تفسر الاختيار عند الله أو التفضيل (الترجيح) ، ويقولون بأن الله يريد لأنه يريد . ومن الحق أن يقال أن مثل هذا الرأى يؤكد من وجهة رئيسية استقلال الله المطلق وعدم خضوعه لأية علة أو سبب ، ولكن من ناحية أخرى فإن هذا الرأى يعنى أن الله لا يعمل على أساس عقلى ، بل هو أكثر من ذلك اشبه بمن يخضع الله للضرورة .

+ أما أن الله خلق العالم لتحقيق غاية معينة ، فهذا ما يشهد به الكتاب المقدس فى مواضع كثيرة . الله حسب الكتاب المقدس هو **« الألف والياء البداية والنهاية »** (رؤ ٢١:٦ ، ٢٢:١٣) ، وهو ليس فقط « منه وبه » كل الأشياء ، بل أيضا **« له كل الأشياء »** (رو ١١:٣٦) . وفى رسالته إلى كولوسى يقول الرسول بولس عن المسيح باعتباره صورة الله غير المنظور ، بكر كل خليقة ، يقول **« فيه خلق الكل .... الكل به .... الكل له قد خلق »** (كو ١:١٥،١٦) . وهذه الآية تبين أن المخلوقات لم تأخذ فقط وجودها من الله « فيه » بل أيضا تشير إلى أن المخلوقات تستمد منه بقاءها وديمومتها « به » ، ومن ناحية ثالثة ، فالكل « له » بمعنى أن المخلوقات ترى فى الله الغاية النهائية . انظر :

Orig. against Cels. VI, 65 B. 10, 109.

وفى الرسالة إلى العبرانيين يقول الرسول بولس **« الذى من أجله الكل »** (عب ٢:١٠) . والله هنا منظور إليه كعلة غائية أو علة نهائية . ويتضح هذا المعنى أيضا فى

---

(1) Sum. Theol. Ia, 9XIX, a.5.

الرسالة الأولى إلى كورنثوس حيث يقول « ***كى يكون الله الكل فى الكل*** » (١كو ٢٨:١٥) . انظر :

Oik. 1 Cor. 15:28. M. 118, 876.

وهذا المقصد تمجيد الله لا يقتصر فقط على عمل الخلقة بل أيضا فإن التاريخ يسير نحو هدف تحقيق المجد لله ، كما يتضح من الآيات التالية :

« ***فيعرف المصريون أنى أنا الرب حينما أمد يدى على مصر واخرج بنى إسرائيل من بينهم*** » (خر ٥:٧) .

« ***فخلصهم من أجل اسمه ليعرف بجبروته*** » (مز ٨:١٠٦) .

« ***لمدح مجد نعمته*** » (أف ٦:١) .

« ***ليكون لمدح مجده*** » (أف ١٢:١) .

« ***ولمجدى خلقته وجبلته وصنعته*** » (إش ٧:٤٣) .

« ***هللويا سبحوا الرب من السماوات ، سبحوه فى الأعالى سبحوه ياجميع ملائكته . سبحوه ياكل الجنود . سبحيه ياايتها الشمس والقمر . سبحيه ياجميع كواكب النور . سبحيه ياسماء السماوات ويايتها المياه التى فوق السماوات . لتسبح اسم الرب لأنه أمر فخلقت*** » (مز ١:١٤٨ـ٥) .

« ***لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات ، قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر*** » (رو ٢:١) .

« ***له المجد إلى الأبد*** » (رو ٣٦:١١) .

+ على أن الكتاب المقدس يشير أيضا إلى هدف آخر من وراء الخلقة ، « ***فقد خلق الله الإنسان كى يتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض*** » (تك ٢٦:١) .

« ***فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ...*** » (تك ٢٧:١ ، ٢٨) .

« ***وبمجد وبهاء تكلله*** » (مز ٥:٨) .

« ***إذ أخضعت الخليقة للبطل ليس طوعا بل من أجل الذى أخضعها*** » (رو ٢٠:٨) .

فالهدف الثانى من الخلقة إذن ، هو خلقة الإنسان ، هذا الكائن العاقل الذى خلقه الله على صورته

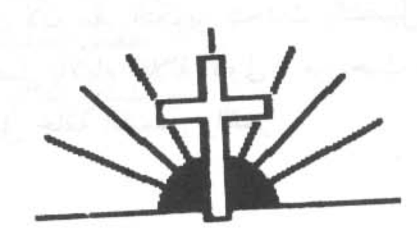
تعاليم اباء الكنيسة :

حسب تعليم الكتاب المقدس ، حدد الآباء الغاية الأولى من الخلقة فى تمجيد الخالق ، فعن طريق المصنوعات نعرف وندرك عظمة الخالق . وبالإضافة إلى هذا الهدف الأول ، يشار إلى الهدف الثانى الذى يتمثل فى الإفادة التى يحصل عليها الإنسان من الخلقة . فالشمس والقمر والنجوم خلقت من الله لكى يستفيد بها الإنسان فى تحديد الأوقات والأزمنة وليس لكى يعبدها . انظر :

1- Theoph. 1 Autol. 4, 5, 14 + 6 B. 5, 15.
2- Tertull. Apol. C. 17 m. 1. 432.
3- Athyn. anast. 12. B. 4, 320.
4- Tatian. Log. Hell. 4, B. 3, 244.

ولقد وضح الهدف الثانى كتعليم مضاد لتعليم المانويين الذين زعموا أن الخلقة هى من عمل الإله الشرير ، كما أكد الآباء فى تعاليمهم أن الله خلق الإنسان ليس لاحتياجه إليه بل لفائدته ونفعه . انظر :

1- Dam. mnym. 2, 11, 12. M. 94, 912.
2- Chrys. gen. hom. 8, 2 Monf. 4, 72 + 7, 5 Monf. 4, 66.
3- Iren. Elen. IV, 14, 1 M. 7, 1010.



٦ ـ نظام تحقيق المخلوقات

هناك اتجاهان فى تفسير أيام الخلقة نشير إليهما باختصار كما أوردهما الأسقف ايسيذوروس :

المذهب الأول : وهو مجازى مؤداه أن الله خلق الكون المنظور وغير المنظور فى لحظة واحدة . وغاية موسى من ذكر الستة أيام أن يبين حكمة الله وحسن نظامه . ويمثل هذا الرأى من الشرقيين : العلامة اوريجينوس واكليمنضس وأثناسيوس الرسولى وغريغوريوس ويعقوب الرهاوى ، ومن الغربيين أوغسطينوس . وسندهم فى ذلك قول موسى بعد الخلقة : « ***هذه مبادىء السماوات والأرض حين خلقت يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات وكل عشب البرية لم ينبت بعد*** » (تك ٢ : ٤) ، واستنتجوا من ذلك أن الخلقة كانت بوقت واحد ويوم واحد لا أكثر .

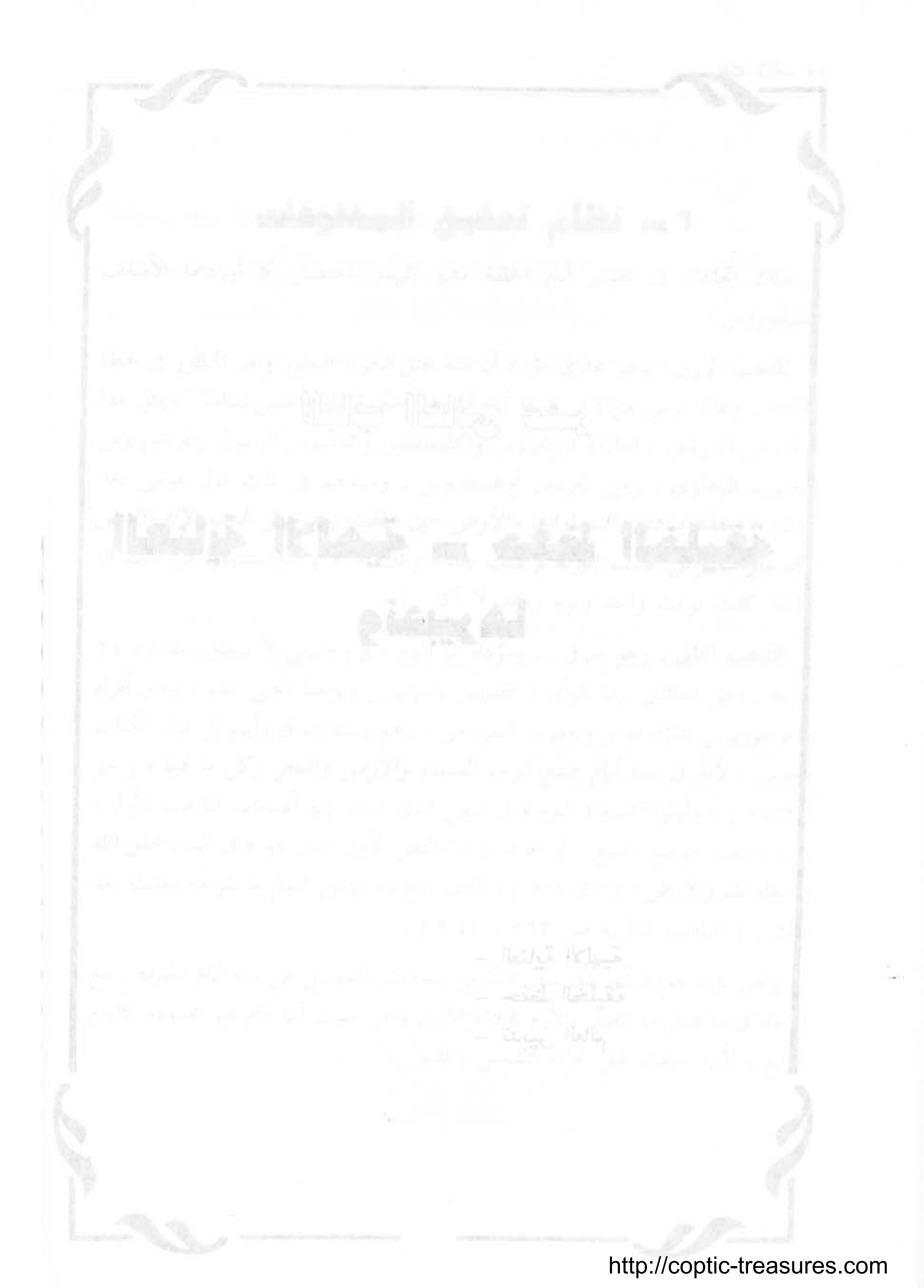
المذهب الثانى : وهو حرفى ــ ومؤداه أن اليوم ، يوم طبيعى لا يتجاوز مقداره ٢٤ ساعة . ومن القائلين بهذا الرأى : القديس باسيليوس ويوحنا ذهبى الفم ، ومار أفرام واغريغوريوس الثيؤلوغوس ويعقوب السروجى . وهم يستندون فى رأيهم إلى قول الكتاب المقدس « ***لأنه فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها*** » (خر ٢٠ : ١١) . وأولوا كلمة « اليوم » فى النص الذى استند إليه أصحاب المذهب الأول ، بأنها وضعت موضع الجمع ، أو قصد بها ما بالنص الأول الذى هو « ***فى البدء خلق الله السماوات والأرض*** » (تك ١ : ١) ، الذى جمع فيه موسى مجمل ما شرحه وفصله بعد ذلك . (المطالب النظرية ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

ونحن نؤيد هذا الرأى لأن سفر التكوين يتحدث بالتفصيل عن ستة أيام الخليقة ، مع الأخذ فى الاعتبار ما يتصل بالأيام الثلاثة الأولى ، من حيث أنها أيام غير محدودة كاليوم الرابع ، لأنها خلقت قبل خلقة الشمس والقمر .

الباب الثانى عشر

العناية الالهية - حفظ الخليقة وتدبيرها

- العناية الالهية
- حفظ الخليقة
- تدبير العالم



١ـ العناية الالهية

أتم الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، واستراح فى اليوم السابع . ولكن ليس معنى ذلك أن الخليقة لم تعد تشغل ذهن الله أو تستحوذ اهتمامه ، بل على العكس تظل الخليقة على الدوام موضع عناية الله ورعايته . وعلى ذلك فلا يجب أن يفهم من الحديث فى سفر التكوين عن استراحة الله ، أننا إزاء حالة من الجمود أو السكون والركود وعدم الحركة أو إزاء حالة من عدم المبالاة . وفى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد تأكيد لعناية الله واهتمامه بخليقته ، حيث تمتد عناية الله على مدى الدهور والأجيال وفى كل مكان وتحيط بكل شيء . حتى الأمور الصغيرة أيضا تشملها العناية الإلهية . وهذا التعليم يؤكده أيضا آباء الكنيسة ومعلموها منذ العصور الأولى . ويحدث تمييز فى العناية الإلهية بين العناية التى توجه نحو الموجودات غير العاقلة وبين العناية التى توجه نحو الناس جميعا وعلى الأخص نحو الذين يخافون الله ويطلبونه .

وليس الآباء فقط ، بل هناك أيضا الكثيرون من الفلاسفة ممن يؤكدون اهتمام الله وعنايته بالخليقة . فالله ليس مجرد خالق للعالم ، بل يحكم العالم ويدبره ويعنى به ويحافظ عليه ويهتم بكل ما فيه . وهذا الإتفاق فى الفكر بين الآباء والفلاسفة ، يوضح أن القول بالعناية الإلهية سمة التدين السليم ، وينتج عن الفهم الصحيح للألوهية . وحسب العقيدة الأرثوذكسية ، فإن العناية الإلهية هى من عمل واشتراك الثالوث القدوس ، وهكذا إذا كان يشار فى العهد الجديد بأن الإبن يحمل كل الأشياء بكلمة قدرته ، فكذلك أيضا يشار إلى أن الآب يقوت طيور السماء ، والروح القدس يجدد وجه الأرض ويوزع مواهبه على كل أحد حسبما يشاء .

تحديد « مفهوم » العناية الإلهية :

ترتبط عقيدة « العناية الإلهية » ارتباطا وثيقا بالخلقة ، وذلك ليس لأن العناية تعنى خلقة جديدة ، بل لأنها استمرار لنفس الخط الذى تكون فيه نقطة البدء والخطوة الأولى أو

البداية الأولى هى الخلقة . إن عبارة « الله هو الخالق والمدبر » تعبر تعبيراً صادقاً عن اهتمام الله بكل ما هو خارج عن ذاته ومخلوق به . فالله لم يخلق العالم وحسب ولكنه يهتم به ويدبر أموره ويحكمه أنظر :

1- Nemesios Edesoys: Pron. M. 50, 792 - 793.
2- Dam. mnym. 2, 29, M. 94, 964.
3- Theod. Her. Book. 5, Ch. 10, M. 83, 484.

وبالنسبة للكلمة اليونانية "Pronia" التى تعنى « العناية » ، فقد وردت مرتين فى العهد الجديد ، ولكن ليس لتشير إلى اهتمام الله وعنايته بالعالم ، بل لتشير إلى تدبير الإنسان لجسده وكذلك إلى تدبير الحاكم لرعيته (انظر رو ١٣:١٤ + أع ٣:٢٤) .

تعاليم الكتاب المقدس :

+ هذا التعليم عن العناية الإلهية نقابله كثيراً فى الكتاب المقدس . وإذا كان العهد القديم يشير إلى أن الله بعد الستة أيام استراح فى اليوم السابع من جميع أعماله ، فلا يقصد بهذه الراحة أن الرب توقف عن العمل ، ولكن بمعنى أن الله توقف عن أن يخلق أنواعا جديدة من المخلوقات ، إلا أنه يستمر فى الاهتمام بالخليقة والعناية بها وتدبير أمورها . فعمل الله لم يتوقف. وفى هذا قال السيد المسيح « ***أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل*** » (يو ١٧:٥) . كما أن الرسول بولس يشير إلى عمل المسيح المستمر فيقول « ***الذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير ، بل حبة مجردة ، ولكن الله يعطيها جسما كما أراد*** » (١كو ٣٧:١٥،٣٨) .

وفى هذا المعنى لعمل الله الذى لا يتوقف ، والذى يبدو فى حفظه للخليقة وتدبيره لها ، ومن حيث أنه يشرق شمسه على الأخيار والأشرار ويمطر على الأبرار والظالمين ، انظر :

1- Clem. Strom. VI, 16 B. 8, 232.
2- August. De Genesi 1. IV, C, XII, m. 34, 304 + V Ch. 20 m. 34, 335.
3- Chrys. John. hom. 38, 2. M. 59, 214.
4- Greg. Naz. Log. 30, 11 M. 36, 117.
5- Orig. Num. hom. XXIII, n, 4, M. 12, 750.

+ ويقدم العهد القديم دلالات كثيرة على عناية الله واهتمامه بمخلوقاته ، كما يبدو من الأمثلة التالية :

« من مثل الرب إلهنا الساكن فى الأعالى . الناظر الأسافل فى السماوات وفى الأرض . المقيم المسكين من التراب . الرافع البائس من المزبلة ليجلسه مع أشراف شعبه . المسكن العاقر فى بيت أم أولاد فرحانة » (مز ١١٣:٥—٩) .

« وجه الرب ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم . أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم انقذهم . قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقى الروح . كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب . يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر » (مز ٣٤ :١٦—٢٠) .

« لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك لئلا تصطدم بحجر رجلك » (مز ٩١:١١،١٢) .

« الق على الرب همك فهو يعولك . لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد . وأنت ياالله تحدرهم إلى جب الهلاك . رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم أما أنا فأتكل عليك » (مز ٥٥ :٢٢،٢٣) .

وفى الصلوات التى تقدم لله فى أوقات الضيق ، يتكشف الرجاء الحى فى الإيمان بعناية الله ، كما يبدو من صلوات يهوديت حيث قالت :

« ياالله إلهى استمع منى أنا الأرملة ... لأنك أنت معين الضعفاء ومظلل المحزونين ... » (يهوديت ٩:٤،١١) .

وقد تضمنت حكمة سليمان الكثير من الآيات التى تشير إلى عناية الله :

« لأن الحقير المتضع يسامح من طريق الرحمة ، وأما الأقوياء فيعذبون عذابا شديدا » (٦:٧) .

« لأن ليس إله سواك فتهتم فى الكل لترى أنك ما حكمت حكما ظالما » (١٢:١٣) .

« لأن روح الرب قد ملأ المسكونة والمحيط بكل البرايا يحوى معرفة الصوت » (١:٧) .

« أما سياستك أيها الآب فتدبر لأنك فى البحر منحت طريقا ، وفى الأمواج سبيلا صائبا » (١٤:٣) .

+ ويتضمن كتاب العهد الجديد أيضا ، دلالات كثيرة على عناية الله بمخلوقاته ، كما يبدو من الآيات التالية :

« *حامل كل الأشياء بكلمة قدرته* » (عب ١:٣) .

« *لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد* » (أع ١٧:٢٨) .

« *ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتنى بكم* » (١بط ٥:٧) .

« *انظروا إلى طيور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم أنتم بالحرى أفضل منها . ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة . ولماذا تهتمون باللباس . تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو . لا تتعب ولا تغزل ، ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى مجده كان يلبس كواحدة منها . فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان . فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس ، فإن هذه كلها تطلبها الأمم ، لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها* » (مت ٦:٢٦—٣٢) .

« *أليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم . وأما أنتم فحتى شعور رءوسكم جميعها محصاة . فلا تخافوا . أنتم أفضل من عصافير كثيرة* » (مت ١٠:٢٩،٣٠) .

+ وهكذا حسب العهدين القديم والجديد ، فإن عناية الله تمتد حتى إلى هذه الأمور غير الخطيرة فى حياة الإنسان . لا شىء يحدث خارجا عن التدبير الإلهى أو بطريق الصدفة . فلم يكن من الصدفة أن يطير نوم الملك احشويرش ، فيأمر أن يؤتى بسفر تذكار أخبار الأيام فيقرأ أمام الملك ، ويجد مكتوبا فيه ما فعله مردخاى به ثم يسأل الملك : أية كرامة وعظمة عملت لمردخاى لأجل هذا . وهكذا بدل أن يصلب مردخاى على الخشبة التى أعدها له هامان ، يأمر الملك بأن يكرم مردخاى . فأخذ هامان اللباس والفرس وألبس مردخاى وأركبه فى ساحة المدينة ونادى قدامه : هكذا يصنع للرجل الذى يسر الملك بأن يكرمه . (استير ص ٦) .

كذلك كان تدبير الله واضحا ، عندما صنع بعض اليهود اتفاقا حتى يقتلوا بولس . ولكن ابن أخت بولس سمع بالكمين فجاء ودخل المعسكر وأخبر بولس ، وبذلك أمكن أن يصل الخبر إلى الأمير ، الذى دبر أمر المحافظة على بولس حتى لا يقع فريسة لهذه المؤامرة

(أع ص ٢٣) . وكذلك اتضح تدبير الله وتدخله فى انقاذ بولس الرسول ومن معه حيث قيل « **وقف بولس فى وسطهم وقال : لا تكون خسارة نفس واحدة منكم إلا السفينة لأنه وقف بى فى هذه الليلة ، ملاك الإله الذى أنا له والذى أعبده قائلاً : لا تخف يابولس ينبغى لك أن تقف أمام قيصر ، وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك . لذلك سروا أيها الرجال لأنى أؤمن بالله أنه يكون هكذا كما قيل لى** » (أع ٢٧) .

+ **إن عناية الله متعددة الجوانب تبعا لإختلاف المواقف التى تمتد إليها هذه العناية ، أى أن عناية الله تشمل كل شىء ولكن ليس بأسلوب واحد أو بنهج واحد وكذلك أيضا ليس بمقياس واحد** . فعناية الله للكائنات العاقلة غير تلك التى توجه للكائنات غير العاقلة : وكذلك عناية الله بالمؤمنين غير تلك التى توجه للناس أجمعين ، وذلك يتضح من الآيات التالية :

« **إن كان العشب الذى يوجد اليوم فى الحقل ويطرح غدا فى التنور ، يلبسه الله هكذا ، فكم بالحرى يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان** » (لو ١٢:٢٨) .

« **لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون ، ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام** » (مت ٢٤:٢١،٢٢) .

« **لأنك قلت أنت يارب ملجأى ، جعلت العلى مسكنك ، لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك ، على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك** » (مز ٩١:٩—١٢) .

« **لأننا ألقينا رجاءنا على الله الحى ، الذى هو مخلص جميع الناس لا سيما المؤمنين** » (١تى ٤:١٠) .

وهكذا يبدو نوع من التميز فى العناية الإلهية فهى تمتد للناس أجمعين ولكنها تخص بالأكثر المختارين الذين يسلكون فى خوف الله وتقواه . وهى بالنسبة للكائنات العاقلة غيرها بالنسبة للكائنات غير العاقلة .

تعـالـيم الآبــاء :

منذ عصور الكنيسة الأولى ، أكد آباء الكنيسة وكتابها الأولون التعليم بالعناية الإلهية . فقد جاء فى كتاب الراعى لهرماس عن العناية الإلهية ما يلى :

« قال الراعى : ان اسم ابن الله عظيم لاحد له **ويضبط الكل** . إذا كان ابن الله يضبط الخليقة كلها فماذا تقول عن الذين يحملون اسمه ويسلكون حسب وصاياه ؟ أرايت من يحمل ؟ **إنه يحمل كل الذين يحملون اسمه** وهو أساس لهم ويحملهم بعذوبة لأنهم لا يخجلون من حمل اسمه » المثل التاسع (٥:١٤) — ترجمة الياس معوض .

انظر أيضا B. 3, 95

وأكد اثيناغوراس أيضا فى كتابه عن القيامة ، عناية الله بأمور الحياة جميعها وبكل ما فى الكون .

Athynag. anast. 18, B. 4, 325.

ثم أن يوستينوس يرفض بصورة حازمة القول بالمقدر (المقدور — المكتوب — المقسوم — النصيب — البخت) ، ويتخذ من نبوات الأنبياء وتحققها دليلاً على العناية الإلهية ، لأن هذه النبوات تعنى معرفة الله السابقة بمجريات الأمور فى المستقبل وتدبير الله لها ، والله يعلن من خلال الأنبياء مشيئته فى خلاص البشر الذى يتحقق فى الوقت الملائم .

Justin: 1 Apol. 43 + 44, B. 3, 183 - 184.
: Dialog. 7, B. 3, 215.

وثيؤفيلس الأنطاكى ، يتتبع الإشتقاق اللغوى لكلمة « الله » باليونانية "Theos" ويرى أن هذه الكلمة مشتقة من الفعل اليونانى "Theein" ، ويعنى هذا الفعل : الركوض ، والحركة ، والعمل ، وتوفير القوت ، والعناية والتسلط ، وإحياء كل شيء .

Theoph. 1 Autolyk. 4, B. 5, 14.

ويشير ايريناوس إلى عناية الله التى تشمل كل شيء .

(Providentiam habet Deus omnium).

انظر :

Iren: Elen. 111, 25, 1, M. 7, 968.

وفى تأكيده بأن عناية الله تمتد لكل شخص وللأحوال الخاصة ، يشير ايريناوس إلى قول السيد المسيح بأن « شعور رؤوسكم محصاة » (مت ١٠ : ٣٠) ، ملاحظا أن الرأس تختلف من شخص إلى آخر ، فهناك رأس كبيرة وهناك رأس صغيرة ، وهناك شعور كثيفة وهناك شعور خفيفة ، وعلى ذلك يختلف عدد الشعور من رأس إلى رأس ، ولكن الله يعرف عدد الشعور فى كل رأس . وكذلك يشير ايريناوس إلى قول السيد المسيح **« أليس عصفوران يباعان بفلس ، وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم »** .

Iren. Elen. 11, 26, 2 M. 7, 800.

لقد أكد الآباء فى تعاليمهم أن عناية الله تهتم ليس بالأمور الكبيرة أو الخطيرة فقط ، بل حتى بالنسبة للأمور الصغيرة ، فهذه أيضا يحيطها الله بعنايته وتدبيره . إن عناية الله تمتد لكل ما يرى ومالا يرى . وفى عناية الله نميز بين العناية العامة التى توجه إلى جميع المخلوقات ، وبين العناية الخاصة التى توجه للإنسان بوجه خاص ، وكذلك نميز بين العناية التى توجه للبشر جميعا وبين العناية التى يخص بها الله المؤمنين . انظر :

1- Clem. Alex. VI, 71 B. 10, 114.
2- Athanas. Hell. 42, M. 25, 84.
3- Chrys. Psalm. 45, 1, M. 55, 205 + Mat. hom. 28, 3, M. 57, 354 + Stag. 1, 5, M. 45, 437.
4- Orig. against Cels. IV, 74, B. 9, 286.

ويقدم الأسقف أيسيذوروس البراهين التالية لإثبات عناية الله بالخليقة وحفظه لها وتدبيرها :

١ ــ إن الموجود الممكن وهو الخليقة ، إذا كان لم يحوى بادىء ذى بدء بذاته السبب الكافى لوجوده ، فلا يمكن أن يحوى هذا السبب لدوام وجوده .

٢ ــ إن الخليقة ذات حركة مستمرة ، كما يشاهد ذلك فى نظام الفلك العلوى وفى الموجودات الحية فى الأرض . ومن المعلوم أن المتحركات لا تتحرك من ذاتها ، وإلا لما افتقر المعلول إلى علة ، وهو باطل ، فإن لكل معلول علة .

٣ ــ ان الخليقة مرتبة بشريعة وناموس محكمين لا تتعداهما ، فإما أن تكون ذات عقل

وحكمة وهو باطل ، لأن الموجودات السماوية عبارة عن أجرام جامدة لا روح فيها ولا عقل ، ومع ذلك فهى سائرة ودائرة فى أفلاكها على نظام واحد ووتيرة واحدة ، فيلزم أن نفهم من ذلك أن الذى أبدى فيها ويبدى هذا النظام هو قوة عاقلة خارجة عنها ، وهى الخالق الحكيم .

٤ — **إن من ضمن مبادىء اللاهوت ، أن الله فعل يفعل ، كما عبر عنه المسيح بقوله «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل»** (يو ٥:١٧) وفعله الخلقة أو الحفظ أو كلاهما ، فإذا كان استراح فى اليوم السابع من عمل الخلقة كما قرر موسى ، فلا يستريح عن حفظها والإعتناء بها ، لأن الذى سر بصنعتها وجمالها لا يمكن أن تكف مراقبته لها ويغض نظره عن الصالح لها .

٥ — من صفات الله القدرة على كل شىء ، والعلم بكل شىء ، وإرادة الخير لكل شىء ، بما أنه صلاح بحت وجود عميم مطلق ، وخيرية بلا حد . وقد أثبتنا ان الموجودات محتاجة إلى من يكلأها ويساعدها . فإذا كان المولى لا اهتمام له بها فهذا يكون دليلا على أنه تعالى لا يعلم باحتياج الخلقة ، وإذا علم لا يقدر على مساعدتها ، وإذا قدر لا يريد لها الخير ، ومن ثم تكون عنايته هذه بمخلوقاته منافية لعلمه وقدرته وصلاحه .

٦ — إن تاريخ الجنس البشرى لسان ناطق بهذه العناية ، لأن حوادثه جرت بطريق التدبير لا بطريق الصدفة ، وعلى الخصوص تاريخ شعب الله المختار . فإنك إذا قرأت كتاب هذا الشعب تجد عناية الله ظاهرة ومجسمه من أوله إلى آخره ، لا سيما تاريخ خروج هذا الشعب من أرض مصر ، وتصرف الله معه فى القفر فى التيه وفى أرض الميعاد ، وارساله الأنبياء له من وقت لآخر ، وأخيراً أرساله ابنه الوحيد وتجسده . كل ذلك مدون فى كتاب العهد القديم والعهد الجديد بأوضح عبارة .

(المطالب النظرية ص ٤٣١ — ٤٣٣) .

العناية الإلهية من الوجهة الفلسفية :

يفرق فى الفلسفة بين العناية الإلهية ، وبين القضاء والقدر ، على النحو التالى :

القضاء : هو وجود الممكنات فى العقل الإلهى مجتمعة .

القدر : هو خروج الممكنات من العدم إلى الوجود ، واحدا بعد واحد ، خروجا مطابقا للقضاء ، أى هو وجود الممكنات متفرقة فى الأعيان بعد حصول شرائطها .

ومعنى ذلك أن القضاء هو الحكم الكلى على أعيان الموجودات بأحوالها من الأزل إلى الأبد ، مثل الحكم بأن كل نفس ذائقة الموت . والقدر هو تفصيل هذا الحكم بتعيين الأسباب وتخصيص إيجاد الأعيان ، وتعليق كل حال من أحوالها بزمان معين وسبب مخصوص ، مثل الحكم بموت فلان فى اليوم الفلانى بالمرض الفلانى . ويطلق القدر أيضا على القدرة الخفية التى تسير موجودات هذا العالم وفق نظام محتوم يتعذر على الإنسان ، صاحب الفكر والإرادة ، أن يخالف أسبابه ، ويجتنب نتائجه . وقد يطلق القدر على المصير ، وهو مجموع الأحداث الضرورية والجائزة التى تتألف منها حياة الفرد من جهة ما هى ناشئة عن قوى خارجية مستقلة عن إرادته . تقول : مصير الإنسان ، أى منتهى حياته وعاقبتها . والمصير بهذا المعنى يتضمن معنى الغائية ، وهى الغرض الذى من أجله وجد الشىء ، وإذا أضفته إلى الإنسان دل على ما أعده الله له من الأحوال بقدر سابق Predestination .

وأما العناية ، **فهى** ، علم الله بما ينبغى أن يكون عليه الوجود ، حتى يكون على أحسن نظام وأكمله ، ثم هى حفظه وتوجيه نظام هذا الوجود بإرادته ، ولذلك قيل إن الله عقل وإرادة ومحبة . وفى كلمات أخرى ، فإن العناية هى إحاطة علم الله بالكل وإرادته لما يجب أن يكون عليه الكل ، حتى يكون كل شىء على أحسن نظام يحقق به غايته . فإذا كان العالم خاضعا لنظام ثابت ، وكان لهذا النظام قوانين أرادها الله لخيرية نتائجها ، كانت العناية عامة ، وإذا كان الله يتدخل فى شئون العالم تدخلا شبيها بتدخل الإنسان فى مجرى الحوادث الجزئية ، كانت العناية خاصة .

(المعجم الفلسفى للدكتور جميل صليبا ـــ الجزء الثانى ص ١٨٦ ، ١١٠) وهناك من الفلاسفة ، من أيد القول بالعناية الإلهية ، وأكد ان العالم لا تسير أموره بالمصادفة ، ولكن يحكمه العقل . وامتدح أرسطو انكساجوراس لأنه قال أن العالم يخضع لحكم العقل . كما قال بعض الفلاسفة أنه لا يجوز افتراض أكثر من إله يحكم العالم حتى تسير أمور العالم سيرا حسنا . وتحدث سقراط عن عناية الله التى تحيط حتى بالأمور الصغيرة ، كذلك أيد القول بالعناية ، شيشرون وسنيكا . انظر :

1- Arist, Metaphy. Book. 1, ch. 3 + Book 12 ch. 10.
2- Plato, Polit. Book VI, 508 + VII, 517 + X, 613 + Tim. ch. 29 + Nom. X, 902.
3- Cicero: De Natura Deor. 1, 20 + 2, 22.
4 Seneka: De Providentia.

ومن النظريات الحديثة فى العناية الإلهية ما يعرف بالمذهب الظرفى "occasionalism" . ويؤكد هذا المذهب أن الفاعل الحقيقى هو الله وحده ، وأنه لا علة سواه ، وأن أحوال الموجودات ليست سوى ظروف مناسبة لإظهار الإلهى . يقول مالبرانش : إذا شاهدنا أرتباطا بين تغيرات هذا العالم ، فإن هذه التغيرات لا تدل على سببية طبيعية مستقلة عن إرادة الله . فالأجسام لا تتحرك بذاتها ، وإذا تلاقت أو تصادمت فإن تلاقيها ليس سوى علة ظرفية لتوزع حركاتها . ومعنى ذلك كله ان القول بالعلل الظرفية يفضى إلى إنكار ضرورة السببية الطبيعية . إن جميع المخلوقات عند مالبرانش متصلة بالله مباشرة ، فهو الذى يبدع الأشياء ابداعا مستمرا ويحركها تحريكا دائما ، فيحرك يدى فى الوقت الذى أريد تحريكها فيه . ويرى مالبرانش أن عناية الله قسمان : أحدهما أن الله لما خلق العالم وبدأ بتحريك المادة ، أجرى إرادته بأن لا يكون فى تعلق الطبيعة بلطفه ونعمته أقل خلل ممكن ، والآخر أنه كلما شاهد فى نظام الطبيعة خللا أصلحه بمعجزاته ، شريطة أن يؤدى ذلك إلى تحقيق النظام المطلوب ، لأن النظام عند الله قانون كلى وهو لا يتخلى عنه أبدا .

(المعجم الفلسفى ـــ المجلد الثانى ص ٣٢ ، ١١٠) .

وأشار بعض الآباء إلى موقف بعض الفلاسفة من الاعتقاد بالعناية الإلهية سواء بالقبول أو الرفض . انظر :

1- Justin, Dialog. 1, 3, B. 3, 209.
2- Clem Alex., Strom. VI, 17, B. 8, 236 - 237.
3- M. Basil. Hex. 1, 2, M. 29, 8.
4- Theoph. 2 Autolyk. 4, B. 5, 22.
5- Iren. Book 111 ch. XXIV, 2, M. 7, 967.
6- Greg. Nys. (psy. and anas.) 39 M. 46, 21.
7- Greg. Naz. Log. XIV, 32, M. 32, M. 35, 900.
8- Chrys. M. 47, 365.

الإيمان بعناية الله لا ينفصل عن الإيمان الصحيح بالله :

+ إن القول بالعناية الإلهية ، لا يقتصر على الديانة المسيحية ، ولكنه يرتبط بالديانة على وجه العموم . وعلى الأخص بالفكر الدينى الصحيح . بل ان القول بالعناية الإلهية ، ليس مجهولا — كما رأينا — حتى فى عالم الفلسفة . فكما يتحدث الفلاسفة عن الله أو الموجود الأعلى أو الألوهية ، وغير ذلك من المفاهيم المرتبطة بالدين ، هكذا يتحدثون أيضا عن العناية الإلهية .

+ والحق ان رفض القول بالعناية الإلهية ، يتناقض تناقضا تاما مع القول بكمال الله المطلق . إنه لأمر متناقض أن نقول من ناحية أن الله خلق العالم بدافع من جوده وإحسانه وليس بدافع من الحاجة أو الإحتياج ، ونقول من ناحية أخرى أن الله لا يهتم بالعالم ولا يعتنى به . فإذا كنا نقبل أن الله صالح وأنه بدافع من صلاحه خلق العالم ، يلزم أن نقبل أن الله يتعهد بعنايته مخلوقاته جميعا ، سواء هذه التى من الكائنات العاقلة أو التى من الكائنات غير العاقلة . إن الصلاح فى الله يرتبط أرتباطا وثيقا بالعناية الإلهية ، ولن يكف الله عن الصلاح ولذلك لن يكف عن العناية بمخلوقاته . وإذا نزعنا عن الله صفة العناية ، فإننا ننزع عنه فى نفس الوقت صفة الصلاح . انظر :

1- Theod. Her. Book 5 ch. 10, M. 83, 484.
2- Dam. mnym. 2, 29, M. 94, 964.
3- Theoph. 1. Autol. 3, B. 5, 14.
4- Clem. Strom. VI, 16, B. 8, 232.
5- Chrys. M. 52, 488.

+ إن الله الذى هو فوق العالم وأسمى منه ، لا يكف عن أن يكون فى العالم دون أن يختلط بالعالم أو يمتزج به ، فهو يوجد فى كل مكان فيه . وهو بموجب علمه المطلق يعرف كل أمور العالم ، ليست الأمور المتحققة فقط بل ما سوف يحدث أيضا فى المستقبل ، وهو يعرف أعماق الإنسان وبواطن الأمور ، ويحكم كل شىء ويضبط كل شىء حسب مشيئته ، ويهتم ويعتنى بكل شىء . انظر :

1- Greg. Nys. Catech. 25 M. 45, 65.
2- Clem. Strom. VI, 17, B. 8, 238.
3- Greg. Naz. Log. 14, 30, M. 35, 897.
4- Dam. mnym. 2, 29, M. 94, 964.
5- M. Basil. Hex. hom. 5, 8, M. 29, 113.

ان مفهوم الحكمة ، كما يقدمه سليمان الحكيم حيث يقول « لأنها (أى الحكمة) وهج قوة الله » يجعلنا ندرك الحكمة — فيما يلاحظ أوريجينوس — باعتبارها خاصية الله التى بها يحكم ويدبر ويعتنى بالعالم المنظور وغير المنظور.

Origen: Princip. book 1, Ch. 2, 9.

وفى كلمات أخرى ، فإن الحكمة لا ينقصها القوة حتى تدبر كل شيء ، حتى بالنسبة للأمور الصغيرة ، فيما يلاحظ اكليمنضس الاسكندرى .

Clem. Strom. VII, 2, B. 8, 247.

ولازدياد الإفادة من الكتابات الكنسية ، انظر :

1- M. Basil, Hex. hom. 1, 2, M. 29, 8.
2- Dam. ibid.
3- Origen. against Cels. IV, 14, B. 9, 242.

العناية الإلهية هى عمل الثالوث القدوس :

+ إذا قلنا أن الله يعتنى بالعالم ، فيجب أن نأخذ فى اعتبارنا أن العناية هى عمل الثالوث القدوس . وحقيقة أنه قيل عن الابن فى الرسالة إلى كولوسى « ***الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل*** » (كو ١٧:١) ، وقيل عنه أيضا فى الرسالة إلى العبرانيين « ***حامل كل الأشياء بكلمة قدرته*** » (عب ٣:١) ، إلا أن الكتاب المقدس نفسه ينسب نفس العمل للآب وللروح القدس ، فقد قيل عن الآب « ***أبى يعمل حتى الآن*** » (يو ١٧:٥) ، « ***وأبوكم السماوى يقوتها*** » (مت ٢٦:٦) ، « ***اليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم*** » (مت ٢٩:١٠) . وقيل عن الروح القدس « ***ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض*** » (مز ٣٠:١٠٤) ، « ***ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء*** » (١كو ١١:١٢) .

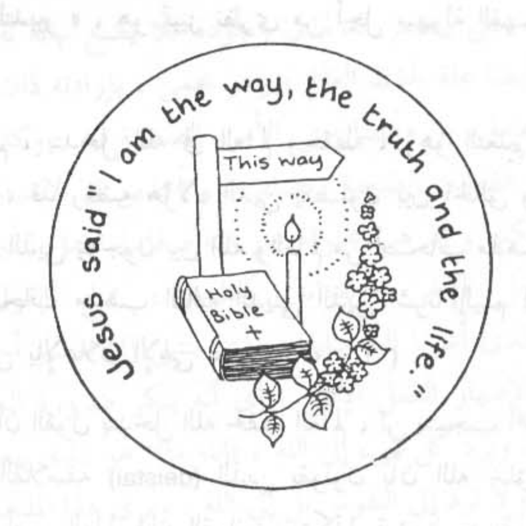
+ ويؤكد الآباء هذه الحقيقة ، وهى أن فعل العناية الإلهية هو عمل الثالوث القدوس . يقول القديس امبروسيوس :

« إن عمل الآب والابن والروح القدس فى كل الخليقة ، ليس واحدا فقط بل إرادة واحدة أيضا هى التى تخلق وتأمر وتعطى الوصايا ، وهى ذات الإرادة الواحدة التى تراها فى الأسرار العظيمة المعطية للخلاص فى الكنيسة » (القديس امبروسيوس — الروح القدس — الكتاب الثانى — مؤسسة القديس أنطونيوس — ص ٤٤) .

ويقول أيضا القديس امبروسيوس :

« إن حروف الجر يمكن استخدامها للآب أو للابن أو للروح القدس ، وإنه لا يمكن لأحد أن يبرهن على أنه يوجد اختلاف فى القوة الإلهية بسبب استخدام حروف الجر . وكل كائن يوجد بإرادة وبعمل وبقوة الثالوث ، كما هو مكتوب « **نخلق الإنسان كصورتنا وشبهنا** » (تك ١:٢٦) ، وفى موضع آخر « **بكلمة الرب خلقت السماوات وكل جنودها بروح فمه** » (مز ٣٣:٦) (المرجع السابق ص ٤٣) . انظر ايضا :

1- Iren. Elen. Book 1, ch. XXII, 1, M. 669.
2- Athanas. Hell. 41, M. 25, 84 + 42, 41, M. 25, 54.
3- Clem. Strom. VII, 2, B. 8, 247.
4- Greg. Naz. Log. 30, 20 M. 36, 129.
5- Greg. Nys. (not being three Gods) M. 45, 128.



٢ - حفظ الخليقة

حفظ الله للخليقة ، جانب لا ينفصل عن العناية الإلهية . ويجب أن تفهم عملية الحفظ هنا على أنها عمل إلهى إيجابى مستمر ، فالله يضبط الخليقة ويمسكها بين يديه ويؤمن القوانين الطبيعية ويصون العالم . وعلى مثال « العناية » هكذا أيضا ، فإن « **الحفظ** » يختلف عن « **الخلق** » لأنه لا يقصد بالحفظ تكوين خليقة جديدة ، بل حفظ الخليقة الحالية وصيانتها من العودة إلى العدم وإلى التلاشى . ومن ناحية أخرى ، يختلف « الحفظ » عن الجانب الآخر من العناية الإلهية ، وهو « تدبير الخليقة وسياستها » أى البلوغ بالخليقة إلى غايتها القصوى حسب ما عينت سابقا الإرادة الإلهية . على أن هذا التمييز بين « **العناية** » الإلهية ، وبين « **الحفظ** » و« **التدبير** » ، هو تمييز نظرى من أجل سهولة الفهم ، ولكن لا يوجد بصورة موضوعية .

على أن هذا التعليم ، بتدخل الله فى العالم وحفظه ، وهو التعليم المبنى على الكتاب المقدس وتعاليم الآباء ، قد رفضه هؤلاء الذين يفصلون بين الخالق وخليقته (deistai) ، وكذلك رفضه هؤلاء الذين يمزجون بين الله والعالم من أصحاب مذهب وحدة الوجود ، ولكن يقبله فقط أصحاب مذهب التاليه الدينى الذين اشرنا إليهم فى دراساتنا السابقة (انظر : الجزء الخاص بالإعلان الإلهى ص ٢٩ ، ٣٠) .

ويجب أن نلاحظ أن القول بتدخل الله لحفظ العالم ، لن يشجب أهمية القوانين الطبيعية التى يؤكدها هؤلاء الفلاسفة (deistai) الذين يقولون بأن الله خلق العالم بما فيه من القوانين ، ثم يتركون أمور العالم لهذه القوانين وهكذا يقيدون حرية الله وينكرون اهتمام الله وتدخله لحفظ العالم . ونحن لا ننكر تدخل الله ليس فقط مباشرة ، بل أيضا بطريق غير مباشر من خلال هذه القوانين التى تعبر عن الإرادة الإلهية ، ولكننا نقول أن هؤلاء الفلاسفة يخطئون إذ يغيب عن ذهنهم أن قوانين الطبيعة نفسها لو تركت لشأنها ودون تدخل الله ، فإن الأمر ينتهى إلى الفوضى وإلى التلاشى ، فضلا عن أن النظرة المستقلة إلى العالم تنتهى إلى القضاء على الاحساس بالحاجة إلى الاعتماد المباشر على الله ، كما تعرض للخطر كل أمل فى تحقيق الاتصال به .

تحديد مفهوم « حفظ » الخليقة :

+ إن « حفظ » الخليقة أمر لا ينفصل عن العناية الإلهية . ونحن نقصد بهذا التمييز بين « حفظ » الخليقة ، وبين عملية « الخلق » — كما قلنا سابقا — تيسير الفهم لحاجة عقولنا إلى التبسيط ، فهو أمر منهجى لا موضوعى . وعلى هذا نقول ، ان « حفظ » الخليقة يمثل جانبا خاصا للعناية الإلهية . على أننا يجب ألا نفهم هذا « الحفظ » على أنه مجرد عمل إلهى يهدف إلى إبعاد عوامل الدمار والخراب التى تهدد الوجود (أى كعملية سلبية) ، بل إن « حفظ » الخليقة هو عمل إلهى إيجابى ، وهو إرادة الخالق الفعالة النافذة تحمل الوجود ، وعلى الدوام تتدخل سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، من خلال العلل الثانوية ، من أجل الحفاظ على العالم . وعلى ذلك ، عندما نقول « حفظ » الخليقة ، فنحن لا نقصد فقط أن الله يسمح حتى يستمر العالم فى وجوده فلا يضع نهاية له ، بل نقصد بالحرى أن الله بتدخله هو أيضا علة لحفظ العالم ، وهو يحمى ، بإرادته ذات القوة المطلقة ، ليس فقط العالم بصورة عامة ، بل وأيضا حتى الأمور الصغيرة فيه . وكذلك فإن هذا التدخل الإلهى لا يمنع تعاون القوانين الطبيعية وتضافرها ، آخذين فى الاعتبار أن هذه القوانين لا تقوم من ذاتها ، ولكنها ، إذ هى مخلوقة من الله ، فإنها تعمل لتعبر عن إرادته . وهذا التعاون بين التدخل الإلهى والقوانين الطبيعية ، يمنع القول بالمذهب الظرفى "occasionalism" الذى أشرنا إليه سابقا والذى ينتهى إلى تفسير أحوال الموجودات على أنها ظروف مناسبة لإظهار العمل الإلهى ، أى أنه ينكر ضرورة السببية الطبيعية ويقول فقط بالعلل الظرفية ، ويرد كل شيء إلى الله ، فالله مثلا هو الذى يبعث الحرارة فى النار ، كما أن حركة الأجسام لا ترد إلى النفوس بل إلى الله . ويرى هذا المذهب أن الذهن والجسم لا يؤثر أحدهما فى الآخر تأثيراً مباشراً ، ولكن كل حادث فى المجال الذهنى أو الجسمى هو « فرصة » أو « مناسبة » لكى يتدخل الله فى إحداث تغير مناظر فى المجال الآخر » (انظر : الفلسفة ، أنواعها ومشكلاتها — ترجمة دكتور فؤاد زكريا — القاهرة ١٩٦٩ ص ٤٣٠) .

+ إن القول بتدخل الله لحفظ العالم ، لا يمنع إذن ، تعاون العلل الثانوية وإمكانية أن يتأثر جسم بجسم آخر أو يؤثر فيه . فقط يجب أن يكون فى ذهننا على الدوام أنه فى حفظ العالم ، يظل الله هو العلة الأولى والأساسية ، فاستمرار العالم وبقائه لا يرد إلى

العلل الثانوية بل إلى الله الذى عليه أيضا تعتمد هذه العلل الثانوية فى بقائها ووجودها . وهكذا بينما أن الموجودات لا تكف عن أن يكون لها وجود وكيان حقيقى وليس وهميا ، فإن الله هو الذى يحفظ بصفة مستمرة لهذه الموجودات وجودها وكيانها . وفى كلمات أخرى ، فإن العمل الإلهى فى حفظ الخليقة هو عمل مستمر ولا يمارس فقط بطريق غير مباشر من خلال العلل الثانوية التى خلقها الله ، ولكنه أيضا ينجز فعله بطريق مباشر ، فيعمل على استمرار الموجودات واستمرار بقائها .

+ وعلى هذا فإن عملية « حفظ » العالم ، إذا كانت ترتبط بالخلق من حيث انهما (أى الحفظ والخلق) هما عمل نفس الفاعلية الإلهية الواحدة ، فإنها بلا شك تتميز عن الخلق . ويمكن لنا ان ندرك هذا بسهولة عندما نتذكر أنه فى عمل الخلق ، تتحقق للعالم بدايته ووجوده ، أما فى عملية « الحفظ » فإننا لا نكون هنا إزاء خليقة جديدة بل نكون إزاء « حفظ » للخليقة القائمة ، وصيانة لها حتى لا تعود وتتلاشى . وإذا كان من الممكن أن يعتبر « الحفظ » خلق مستمر — فيما يقول القديس أوغسطينوس :

"Conservatio Continua Creatio est"

ولكن لا يخرج هذا عن الحفاظ على الطبيعة المخلوقة لكى تستمر فى وجودها بنفس القوة الإلهية التى اعطتها فى البداية هذا الوجود . وهكذا فإذا كان الخلق هو عملية إعطاء الوجود لما كان غير موجود ، أو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود ، فإن « الحفظ » يفترض الوجود . وإذا كان العامل الوحيد فى الخلق هو الله ، فإنه فى الحفظ تتعاون أيضا القوى الطبيعية التى وضعها الله فى الخليقة ، حتى يستمر فى البقاء ما هو موجود ولا يعود إلى عدم الوجود .

وتتفق الكنيسة البروتستانتية فى هذا الفهم ، للتفريق بين الحفظ والخلق . جاء فى كتاب علم اللاهوت النظامى عن المذهب الذى يوحد بين الحفظ والخلق « بأن هذا المذهب يجعل الله هو العامل بقوته رأسا كل لحظة ليس فى حفظ ما خلقه سابقا ، بل فى اجراء الخلق رأسا على الدوام ، بمعنى ينفى عمل كل الأسباب الثانوية على الإطلاق ويثبت أن الله هو العلة الوحيدة لكل شىء فى كل حين . وعلى ذلك يكون الحفظ هو الخلق أو بالحرى يقوم بالخلق الدائم ... وهذا المذهب مردود بأنه يفضى إلى الاعتقاد بألوهية الكون ، وهو مضاد لحقائق الدين المسيحى الجوهرية ولبديهيات العقل البشرى التى بها

يتحقق الإنسان وجوده ودوامه ووجود كل المواد ودوامها . ومضاد للغرائز الأدبية فى طبيعة الإنسان التى تشهد أنه فاعل أدبى ذو مشيئة واختيار حر مسئول . ويلزم عن صحته أن ليس لنا دليل على حقيقة شيء وأن جميع الموجودات كناية عن تصورات عقلية تتلاشى وتتجدد كل دقيقة ، وأننا غير مسئولين عن أفكارنا وأعمالنا لأن ليس لنا إرادة حرة مستقلة ، وأننا لسنا فعلة أدبيين بل الله هو الذى يعمل فينا جبرا على الدوام ، وأن ليس لنا نسبة حقيقية إلى شريعة الله ، بل نحن آلات مشيئته بمعنى ينفى كل استقلال (ص ٤٦٣ — ٤٦٤) .

+ كذلك يجب أن نميز بين « الحفظ » وبين « التدبير » . وبلا شك من ناحية الله ، لا ينفصل التدبير عن الحفظ ، كما لا ينفصل هذان الفعلان عن « الخلق » ، كما ذكرنا سابقا . وإذا كان الحفظ هو — كما قلنا — صيانة النظام الطبيعى وبقاء استمرار المخلوقات ، فإن التدبير منوط بتقدم العالم وتحركه نحو غايته القصوى التى سبق وعينها الله حسب مشيئته الأزلية .

تعاليم الكتاب المقدس :

+ يمتلىء الكتاب المقدس بالآيات التى تشهد بحفظ الله للعالم بطريق مباشر ، نشير إلى بعض منها على سبيل المثال :

« ***الذى هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل*** » (كو ١:‏١٧) .

« ***لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد*** » (أع ١٧:‏٢٨) .

« ***وتنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود*** » (مز ١٠٤:‏٢٩) .

« ***لأنك تحب الموجودات كلها ولم ترذل شيئا مما خلقت ولا بغضت شيئا مما خلقته . وكيف يثبت شيء إن لم تشأ أنت أو كيف يبقى إن لم يثبت منك . وتشفق على جميع البرايا لأنها هى لك أيها السيد المحب الأنفس*** » (سفر الحكمة ١١:‏٢٥—٢٦) .

« ***فإن الله ما صنع موتا ولا يطرب بهلاك الأحياء ، لأنه إنما خلق البرايا لتكون موجودة*** » (سفر الحكمة ١:‏١٣،‏١٤) .

« ***أما نحن نتوكل على الله الضابط الكل القادر أن يفنى الآتين علينا والمسكونة جميعها بهفوة واحدة*** » (٢مكا ٨:‏١٨) .

+ ومن ناحية أخرى فإن الكتاب المقدس يؤكد أيضا حفظ الله للعالم من خلال القوى

الطبيعية والروحية ، وبوجه عام من خلال النواميس الطبيعية ، وذلك عندما تسند هذه القوى إلى الله مباشرة ، كما يبدو من الآيات التالية :

« *فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين* » (مت ٥:٤٥) .

« *الصانع أنوارا عظيمة لأن إلى الأبد رحمته . الشمس لحكم النهار لأن إلى الأبد رحمته . القمر والكواكب لحكم الليل لأن إلى الأبد رحمته* » (مز ١٣٦:٧—٩) .

« *المصعد السحاب من أقاصى الأرض ، الصانع بروقا للمطر . المخرج الريح من خزائنه* » (مز ١٣٤:٧) .

« *يداك كونتانى وصنعتانى كلى جميعا ... أذكر أنك جبلتنى كالطين* » (أيوب ١٠:٨،٩) .

« *وهو يفعل خيرا ، يعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا* » (أع ١٤:١٧) .

« *إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شيء* » (أع ١٧:٢٥) .

« *ومن منكم إذا أهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة* » (مت ٦:٢٨) .

« *الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل* » (١كو ١٢:٦) .

وهكذا بحسب النظرة الصحيحة « لحفظ الخليقة » نكون قد أبعدنا الاتجاهين المتطرفين ، الواحد الذى يسند العمل كله لله ، والآخر الذى يسند الأمر للقوانين الطبيعية ، بينما أن النظرة الصحيحة تجمع بين الرأيين وتوحدهما .

تعاليم الآباء والكتاب الكنسيين :

+ وتتفق مع تعاليم الكتاب المقدس ، تعاليم الآباء والكتاب الكنسيين ، منذ العصور الأولى . فالله — فيما يشير كتاب الراعى لهرماس « يضبط الخليقة كلها » .

Hermas: Sheph. parab. IX, 14, B. 3, 95.

واكليمنضس الرومانى فى رسالته الأولى إلى كورنثوس ، يقول :

السماوات المتحركة بأمره بسلام تطيعه . تقطع ليلاً نهاراً الطريق المرسوم لها دون ان تعيق بعضها بعضا . الشمس والقمر والنجوم تجتاز الطريق المرسوم لها بدون أى انحراف . والأرض تخصب بحسب إرادته فى الفصول المواتية . تعطى خيراتها بغزارة للإنسان

والحيوانات وإلى كل الكائنات الحية فوق سطحها دون تردد ولا تغير شيئا مما هو مرسوم لها . الأنظمة ذاتها تضبط الهاويات التى لا يسبر غورها ، والبحر العظيم لا يعبر الحدود التى وضعت له ويبقى بين الجنبات التى رسمت له . وقد قيل « إلى هنا تصل وفى أعماقك تتحطم أمواجك » . محيطات واسعة من البشر وعوالم قائمة وراء المحيط توجهها إرادة السيد . فصول الربيع والصيف والخريف والشتاء تتتابع هادئة الواحد وراء الآخر . الرياح بحسب ادوارها تتم وظائفها بدون انزعاج فى الوقت المعين . والينابيع المخلوقة للبهجة والصحة تقدم أثداءها التى لا تنضب والمليئة بالحياة إلى البشر . أصغر الحيوانات تجتمع فى عالم من الوئام والألفة . كل ذلك بأمر الخالق العظيم وسيد الكائنات وبسلام وتضامن يحسن للجميع وخصوصا لنا نحن الملتجئين إلى غفرانه بيسوع المسيح » (ترجمة الياس معوض . فقرة ٢٠ ص ٣٢) .

وأشار ثيؤفيلس الأنطاكى إلى أن الله دعى ضابط الكل لأنه يضبط كل شيء ويحتويه . وينصح كل إنسان ليتفهم عناية الله الذى يقوت كل إنسان ويسخر قوى الطبيعة كالنور والسحب والرعد .

Theoph. 1. Autol. 4 + 6, B. 5, 14 + 16.

وأوريجينوس وهو يشير إلى قول الكتاب « به نحيا ونتحرك ونوجد » يتحدث عن الله الذى يحفظ العالم ويضبطه . وليست السماء كرسى الله والأرض موطئا لقدميه إلا لأن قوة الله تملأ السماوات والأرض .

Origen, Princip. 11 ch. 1, 3.

والقديس أثناسيوس الرسولى يتحدث عن تدخل الله باسلوب إيجابى مباشر لحفظ العالم ، بالعمل مع القوى والنواميس الطبيعية .

Athanas. Hell. 44, M. 25, 88.

والقديس أغريغوريوس الثيؤلوغوس يشير إلى العلاقة الوثيقة بين خلقة العالم وحفظه .

Greg. Naz. Log. 28, 6. M. 36, 32 + Log. 14, 33, M. 35, 904.

والقديس يوحنا ذهبى الفم تحدث أيضا عن حفظ الله للخليقة .

Chrys. against Anom. hom. 12, 4 Monf. 1, 679 + Andr. hom. 9, 4, M. 49, 109.

لقيام الحياة النباتية والحيوانية . أما ما يكون غير ضرورى ، فهو يتوقف عن الاستمرار . وبالنسبة للإنسان ، فإن الحفاظ عليه يحظى باهتمام خاص من قبل العناية الإلهية ، ذلك لأن الإنسان هو محور وغاية كل ما هو مخلوق فى الأرض ، ويستمر وجوده ، بعد الموت ، إلى حياة أبدية . وبالنسبة للمجموعة الشمسية وما يتبعها ، فإن الله يحافظ — حتى الوقت المعين — على عددها وتناسقها وحركاتها .

+ إن تدخل الله — كما قلنا — مباشر وغير مباشر . فمثلا بالنسبة لقوى الإنسان الحيوية ، يحفظها الله بطريق غير مباشر ، بالأطعمة . وهكذا الأمر أيضا بالنسبة للنباتات ، فهى تنمو وتتكاثر بالتغذية والشمس والهواء . أما بالنسبة لتدخل الله المباشر ، فكما قيل فى الرسالة إلى العبرانيين « ***حامل كل شيء بكلمة قدرته*** » ، أى أن الوجود ليس له كيانه من ذاته ، فهو يعتمد فى بقائه بطريق مباشر على العناية الإلهية والتدخل الإلهى أنظر :

1- Cyril. Alex: John Book IX ch. 1, M. 74, 232.
2- Chrys. John. hom. 5, 3 Monf. 8, 44.

الحاجة المطلقة لتدخل الله لحفظ الخليقة :

+ إن الحاجة المطلقة لتدخل الله لحفظ الخليقة ، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر . يرد إلى طبيعة المخلوقات المحدودة ، فالموجودات لا توجد من ذاتها ولكنها أخذت وجودها من الله ، وهى تحتاج لاستمرار وجودها إلى عناية الله الدائمة المتواصلة . وكما ان المصباح الكهربائى يبعث نوره طالما يكون فى اتصال مع المصدر المولد للكهرباء ، وينطفىء مباشرة إذا فقد هذه الصلة ، هكذا الأمر أيضا بالنسبة للخليقة ، فالذى يحفظ لها وجودها وبقاءها هو الله مصدر هذا الوجود والبقاء ، وإذا فقدت صلتها بالله تعرضت لفقدان وجودها واستمراريتها . انظر :

1- Chrys. Anom. 12, 4 Monf. 1, 679.
2- Cyril. Alex. ibid.
3- August. De Genes. IV, 12, m. 34, 304 + 1. VC. 20, 40, m. 34, 333 + 1, VIIIC. 26 m. 34, 391.

وفى كلمات أخرى : إن العالم ليس مجرد عمل فنى آلى ، ولكنه كيان حى يحيا بتيار الحياة المنبثق من مصدر الحياة. إن الاهرام المصرية مثلاً فيما يلاحظ أحد اللاهوتيين — قد شيدت مرة بالإنسان ، وظلت باقية دون حاجة لليد التى شيدتها . أما فرع الشجرة ،

ولقد أفاض القديس باسيليوس فى الحديث عن حفظ الله للخليقة ، لا بصورة عامة بل أيضا بصورة خاصة ، ويقول فى ذلك :

أما كيف يكون أيضا منح الخيرات لنا من لدن الآب بالابن ، فها نحن نقول للحال : لما كانت الطبيعة كلها ، فى الخليقة المنظورة والمعقولة ، محتاجة إلى عون من الله لتبقى فى الوجود ، فإن الكلمة الصانع والله الابن الوحيد ، بتقسيمه الغوث على مقتضى حاجة كل فرد ، يغدق العطايا المختلفة الأنواع والأشكال بحسب إختلاف المعطى لهم وعلى قياس كل منهم وحاجته الماسة . فهو ينير التائهين فى ظلام الجهل ، لذلك هو النور الحقيقى . يحكم ، وبحسب استحقاق الأعمال تكون المكافأة المناسبة ، لذلك هو الحاكم العادل ، « فالآب لا يدين أحدا ، بل أعطى الحكم كله للابن » . والذين هووا من قمة الحياة إلى عمق الخطيئة ينهضهم من سقطتهم ، لذلك هو القيامة . وكل ما يعمله يتحقق بلمسة من قوته وإرادة من صلاحه . فهو يرعى وينير ويغذى ويقود ويشفى وينهض . يمنح الوجود لمن لا وجود لهم ويحفظ خليقته فى البقاء . فهكذا تأتينا الخيرات من لدن الله مرورا بالابن الذى يوزعها لكل بأسرع مما يمكن الكلام أن يصفه ، حتى لا الصواعق ولا جرى النور فى الهواء يضاهيها سرعة ، ولا رمشات العيون الفجائية ولا تنقلات فكرنا ذاته ، بل أضيف أن كلا من هذه هو دون النشاط الإلهى بسرعة ، أو هو مثل ما هى بطيئة أثقل الحيوانات عندنا بالنسبة إلى سرعة فكرنا . بغض الطرف عن سرعة الطيور والرياح أو عواصف السماء . فإلى أى برهة زمنية يحتاج من هو حامل الكون بكلمة قوته ، وعامل بدون جسد ، وغير محتاج فى عمله إلى صناعة الأيدى ، بل ماسك طبيعة الكائنات فى خضوع للإرادة المطلقة ، كما تقول يهوديت « ***لقد فكرت ، وكل ما فكرت كان حاضرا أمامك*** » (٩:٤) .

(القديس باسيليوس . مقال عن الروح القدس — ترجمة الارشمندريت أدريانوس — ١٩:٨ ص ٣٣ — ٣٤) .

والحق أن حفظ المخلوقات يتم وفقا لاختلاف طبيعة كل منها . فبالنسبة للموجودات غير العاقلة يتم حفظ الله لها بطريقة لا شعورية وغير محسوسة ، بتدخل عناية الله التى تعمل على استمرار ودوام مالها من قوانين طبيعية . أما بالنسبة لحفظ الكائنات العاقلة الأخلاقية ، فهى تشارك بطريقة شعورية بحرية إرادتها . وبالنسبة للنباتات والحيوانات ، فإن الله يحافظ على جنسها ونوعها طالما ان هناك ضرورة لها — حسب علمه الكلى —

فإنه إذا أقتلع من ساق الشجرة ، فإنه ييبس ويجف ويفقد الحياة . هذه الصورة الأخيرة هى الأكثر ملاءمة لتعبر عن علاقة العالم بالخالق ، وهى التى يؤكدها أيضا القديس يوحنا ذهبى الفم فى تصوره للعالم . انظر :

1- Chrys: Andr. hom. 10, 2, M. 49, 113.
: Heb. hom. 2, 4, M. 48, 810-811.

+ وبالإضافة إلى القديس يوحنا ذهبى الفم ، نقول : لقد أكد الآباء جميعهم حاجة العالم المطلقة إلى عناية الله وتدخله ، وإلا فإنه يتعرض للفناء والتلاشى . انظر :

1- Athanas: Hell. 41, M. 25, 84.
2- Greg. Naz: Log. 30, 20, M. 36, 129.
: Log. 14, 33, M. 35, 904.



٣ ـ تدبير العالم

إن الله كخالق للعالم ، لا يقتصر فى عمله على مجرد حفظ العالم واستمرارية وجوده ولكنه أيضا يشرف على العالم ويقوده نحو غايته القصوى ، حتى يتمم الخطة أو التصميم الذى سبق ووضعه منذ الأزل ، عندما رسم أن يخلق العالم . وعن هذا التدبير للعالم ، يتكلم الكتاب المقدس فى وضوح حتى بالنسبة لهذه الأمور الصغيرة التى تختص بالإنسان وتتصل بمختلف جوانب حياته . وفى هذا التدبير تتحقق إرادة الله التى تظهر لا كمجرد قوة إلهية بل كإرادة مقدسة صالحة . وهكذا فإن هذه الإرادة الإلهية لا تبدو كإرادة ظالمة جائرة متعدية أو معاندة ، ولكنها كإرادة حاكم عالم بكل شىء ، قدوس كلى الصلاح . يحكم حسب طبيعته ذات الكمال الأخلاقى المطلق . وعلى ذلك إذا كان كل شىء فى هذا العالم يحكم من قبل الله ، فلم يعد هناك مجال للأخذ بفكرة الظلم ، بل على العكس ، فإن كل ما يحدث فى العالم يعبر عن إرادة الله الحرة التى تعمل وفق خطة أزلية ، وضعها الله منذ تأسيس العالم ، وتسير بالعالم نحو تحقيق غايته القصوى . وحقيقة ان عقلنا المحدود ، لا يمكنه بسبب قدراته العاجزة الضعيفة أن يدرك طرق الله المختلفة ووسائله فى حكم العالم وتدبيره ، ولذلك صار من الواجب علينا أن نمجد الله وأن نعترف بغنى حكمته وعظيم صلاحه ، وأن نؤكد تدخل الله المعجزى فى حياة البشر ، وأن نقتنع بأثر الصلاة وفاعليتها لأنها تُرفع إلى سيد يسمع ويستجيب .

تحديد مفهوم « التدبير الإلهى » :

إن تدبير الله هو فاعلية الإرادة الإلهية والتى بواسطتها ، فإن الله كرب وسيد لكل المخلوقات يسوس الخليقة . على أن الله فى سيادته وسلطانه يتمم عمله فى صلاح وحكمة وقداسة . وتدبير الخليقة لا يتم فقط بوجه عام بل يشمل كل جزء من الأجزاء التى يتألف منها العالم بهدف البلوغ بكل الموجودات إلى غايتها النهائية . وهكذا تتحقق الخطة الأزلية الإلهية التى دبرها الله سابقا راسما ان يخلق العالم فى زمن . وهكذا فإن كل ما يحدث فى العالم ، إما أن يتم بتدخل مباشر من قبل الله لتحقيق القصد الإلهى الأزلى والبلوغ بالعالم إلى غايته النهائية ، أو بواسطة الكائنات العاقلة . وبهذا ليس فقط لا تتعطل المقاصد الإلهية بل تخدم وتُنفذ .

شهادة الكتاب المقدس :

+ إن الكتاب المقدس يشهد بأن الله يحكم العالم ويسوسه ويدبر أموره . وحتى الأمور الصغيرة ، فإنها لا تفلت من رقابة الله ولا تحدث فى جهل منه أو على خلاف إرادته أو بغير سماح منه . ونشير إلى ذلك ببعض الأمثلة :

« ***وتمتد (أى الحكمة) من أقصى إلى أقصى ... وتدبر الكل حسنا*** » (سفر الحكمة ٨:١) .

« ***أما سياستك أيها الآب ، فتدبر ، لأنك فى البحر منحت طريقا وفى الأمواج سبيلا صائبا*** » (سفر الحكمة ١٤:٣) .

« ***أليس عصفوران يباعان بفلس ، وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم ، أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة فلا تخافوا . أنتم أفضل من عصافير كثيرة*** » (مت ١٠: ٢٩ــ٣٠) .

« ***رأيي يقوم وأفعل كل مسرتى*** » (إش ٤٦: ١٠) .

+ عندما نقول إن إرادة الله تتحقق ، فنحن لا نقصد فقط تحقق قوة الله التى لا يقف عائق فى طريقها ، بل نقصد أيضا مشيئة الله المقدسة الصالحة . إن القوة يمكن أن يعبر عنها أيضا من خلال القوانين الطبيعية وهو ما يقول به أصحاب المذهب المادى . أما بالنسبة للإيمان المسيحى ، فإنه يستبعد الآراء المتطرفة فى تفسير مجريات الأمور ، فنحن لا نقبل القول بأن أمور العالم تفسرها فقط القوانين الطبيعية أو القول بأن الله لا يهتم بالعالم ولا ينشغل بأى أمر خارج عن ذاته ، ولكننا نقول إن الله فى إرادته الصالحة كلية المعرفة يدبر أمور الكون ، كما قال الرسول بولس « ***الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته*** » (أف ١: ١١) . وهكذا فإن الله يحكم العالم حسب إرادته المقدسة وكماله المطلق .

تعليم الآباء والكتاب الكنسيين :

+ يشير أوريجينوس إلى فن الحكمة الإلهية الذى لا يمكن أن يعبر عنه ، والذى بموجبه يوجه كل شىء نحو ما هو مفيد ونافع ، ونحو التقدم المشترك . وتصاغ كل الأشياء رغم اختلافها وتنوعها وتشكل نحو هدف واحد متناسق وكذلك إلى تحقيق غاية واحدة كاملة . انظر :

Orig. princip. 11, C. 1, 2.

وهذا العمل للحكمة الإلهية فى توجيه المخلوقات جميعها توجيها غائيا يؤكده الكثير من الآباء . انظر :

1- Theoph. 1 Autol. 5, B. 5, 15.
2- Chrys: M. 47, 365.
: Andrian. 10, 3, M. 49, 114.
3- Theod. Pron. Log. 1, M. 83, 564 + Log. 2 M. 83, 576.

لا شىء يتم بالمصادفة أو قضاء وقدرا :

+ ليس هناك شىء يتم بدون تدبير فى العالم . لا شىء يتم بشكل مفاجىء أو طارىء ويكون بعيدا عن العناية الإلهية . لا شىء يتم بغير نظام أو ترتيب . ليس هناك ما يقع اتفاقا أو عرضا أو يحدث مصادفة . يجب رفض ما يسمى بالحظ أو البخت . لا تقل : مصادفة رديئة أو ساعة شريرة أو أن أمرا حدث من ذاته وبطريقة أوتوماتيكية . لا تقل أن هذا قدر أو مقدور أو مقسوم أو مكتوب . لقد حذر الآباء من التفسير القدرى للأمور ، فهو فكر غير سليم ولا يوجد إلا خارج المسيحية . خارج المسيحية (كما فى الفلسفة الرواقية مثلا) يوجد هؤلاء الذين يؤمنون بالقضاء والقدر ، أو القدريون ، أو الذين يقولون بعلم التنجيم أو قراءة النجم أو الذين يقولون بالمقسوم والمكتوب . أما بالنسبة للمسيحية فعلينا أن نتذكر ما قاله السيد المسيح عن العناية الإلهية التى تشمل كل شىء حتى الأمور الصغيرة . فالعصافير التى تباع بثمن بخس لا يسقط واحد منها بدون مشيئة الله ، وحتى شعور رؤوسنا محصاة أمام الله . انظر :

1- M. Basil. Psalm. 32, 3 M. 29, 329.
2- Chrys. M. 47, 365.

+ يقول توما الاكوينى : علينا أن نؤكد أن جميع الكائنات تخضع لحكم العناية الإلهية ، ولكن كل منها على نحوه . وبيانه أن الخلائق ، بصرف النظر عن فعل العناية هى منتظمة بعضها بالنسبة إلى بعض بسبب طبائعها . وبما أن دور العناية لا يقوم بقلب النظام بل باسناد حكمها إليه ، اقتضى القول بأن كل كائن إنما يوجه ويقاد إلى غايته وفقا لخصائص طبعه . فالخلائق بالنظر إلى خصائصها فئتان : **تحت** ، وهى المخلوقات التى لا عقل لها وليس لها مبدأ فعل إلا الطبع . **وفوق** ، وهى المخلوقات التى لها علاوة على الطبع ، إرادة حرة . وبهذه القوة تستطيع هذه الكائنات ان تنحرف عن طريقها كما أنها تستطيع أن تسير عليه .

وعناية الله لا يمكن أن تفرض عليها سيرا محتوما مالم تغير طبعها . وعليه فالإرادة قابلة أيضا للزلل . وهذا الإنحراف لا يقصده الله بذاته ولكن سبق وعلمه وهو يستغله لأنه يوجهه لا إلى خير طبيعي فحسب ، بل إلى خير أدبى كوفاء العدل أو تحسين حال من يرى أو يحتمل الشر أو زيادة استحقاق ومجد من يضطهدهم أهل الشر ، وبألف طريقة أخرى لا يقوى على استيعابها عقلنا العاجز .

ويقول أيضا توما الإكوينى : إن الكائنات الفردية جميعها منوطة بعناية الله . أوليس على الله أن يَعْلم الأفراد كما يعلم الأجناس ؟ أوليس الله علة كل شيء وعلة كل ما فى الشيء ؟ وبما هو علة ، له أن يوجه بجوده السامى كل كائن صوب الغاية التى تلائم الطبع الذى منحه إياه . وقد أكد لنا المسيح ، فى هذا الباب ، بأنه ما من عصفور يسقط على الأرض من دون إرادة الآب السماوى (توما الإكوينى : بقلم ميخائيل ضومط ــ المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ١٩٥٦ ــ ص ١٢٩ ــ ١٣٢) .

+ إذا كان عقلنا البشرى يعجز عن إدراك الكيفية التى بها يدبر الله الكون ، فإن هذا لا يجب أن يكون مدعاة لنا لنرفض هذا التدبير الإلهى ونزعم بأن الصدفة هى التى تسير الكون ، كما زعم ديمقريطس وسائر الدهريين من الأقدمين ، وإذا كنا أيضا نعجز عن إدراك العناية الإلهية وتدبير الله للكون ، فلا يجب أن نقصر العناية الإلهية ــ كما قصرها البعض ــ على الأجناس دون الأفراد ، وزعموا ان العناية الإلهية لا يجوز أن تعنى بالكائن الجزئى إلا بالنسبة إلى نوعه وجنسه ، فليس يهم الله ــ كما يعتقدون ــ هذه العنكبة أو تلك ، بل أن يحسن العنكبوت نسج خيوطه . إن عناية الله تشمل الكون كله ، أجناسه وأفراده ، وأموره الكبيرة والصغيرة ، وكل شيء فى العالم يخضع لهذه العناية الإلهية والتدبير الإلهى (المرجع السابق ــ نفس الموضع) .

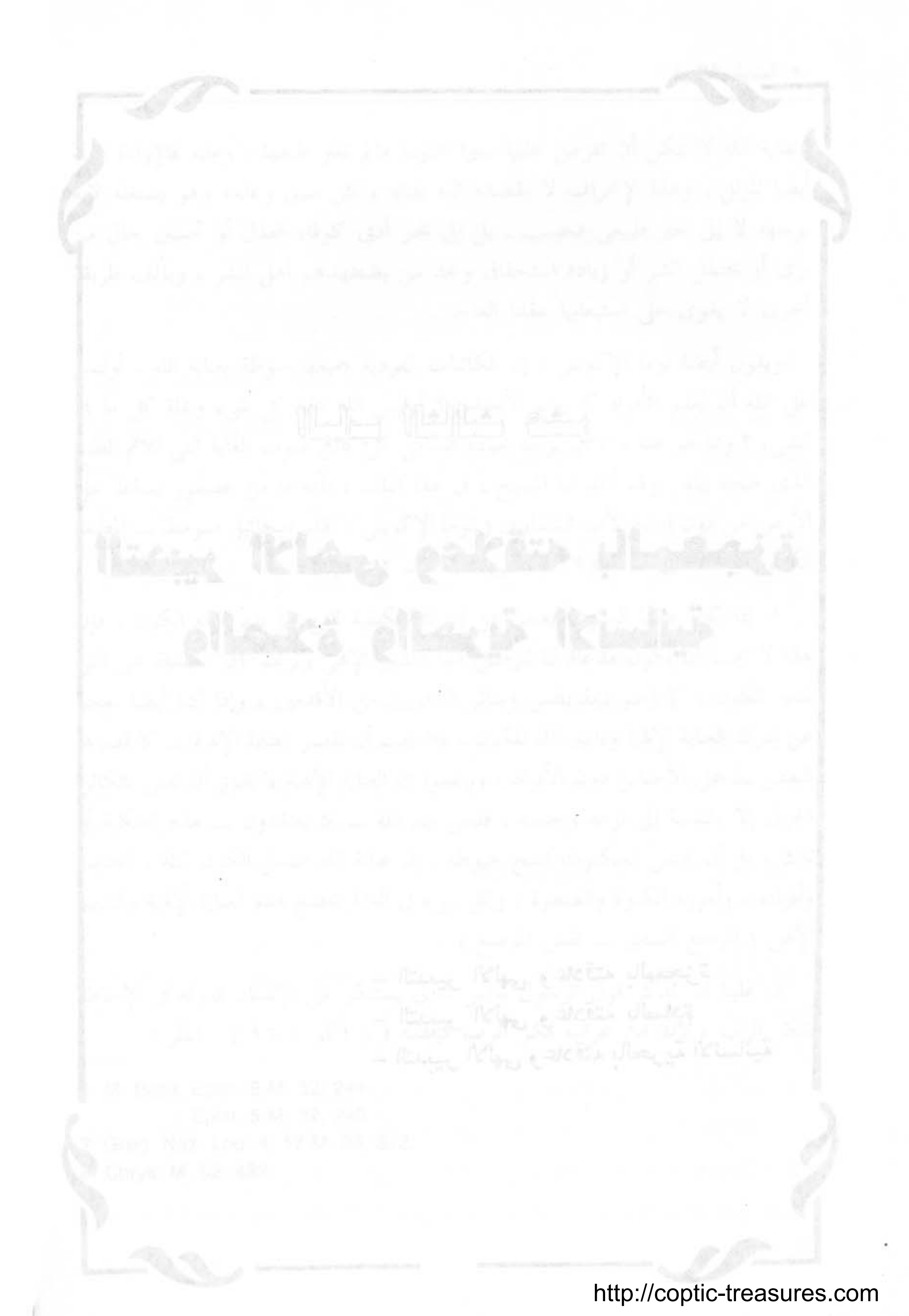
إن علينا أن نتذكر قول الرسول بولس الذى يستنكر على الإنسان قدرته فى الإحاطة بفكر الرب « ***لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه*** » (١كو ٢:١٦) . انظر :

1- M. Basil: Epist. 6 M. 32, 244.
: Epist. 5 M. 32, 240.
2- Greg. Naz. Log. 4, 17 M. 35, 572.
3- Chrys. M. 52, 482.

الباب الثالث عشر

التدبير الالهى وعلاقته بالمعجزة والصلاة والحرية الانسانية

- التدبير الالهى وعلاقته بالمعجزة
- التدبير الالهى وعلاقته بالصلاة
- التدبير الالهى وعلاقته بالحرية الانسانية



١ ــ التدبير الالهى وعلاقته بالمعجزة

ما المعجزة ؟

من الناحية اللغوية ، نقول : المعجزة اسم فاعل من الإعجاز . تقول أعجز الشىء فلانا ، أى فاته ولم يدركه ، فالمعجزة أمر خارق للعادة يعجز البشر أن يأتوا بمثله (قاموس المورد) .

ومن الناحية الفلسفية ، للمعجزة فى مصطلح الفلاسفة معنيان :

١ ــ المعجزة هى الظاهرة المخالفة للنظام الطبيعى المألوف . إلا أن هذه الظاهرة لا تسمى عند بعضهم معجزة إلا إذا كانت فعل فاعل مختار ، قصد بها إظهار أمر خارق للعادة يعجز الإنسان عن الاتيان بمثله .

٢ ــ المعجزة هى الظاهرة العجيبة أو الخارقة للعادة ، التى لا نستطيع تفسيرها . تقول نجا فلان من الموت بمعجزة .

(المعجم الفلسفى للدكتور جميل صليبا ــ الجزء الثانى ص ٣٩١ ــ ٣٩٢) . **ومن الناحية اللاهوتية** ، نقول :

المعجزة تبدو كظاهرة غير اعتيادية فى المجال الطبيعى أو الروحى ، فلا يمكن تفسيرها بفاعلية النواميس الطبيعية ، ولكنها ترد مباشرة إلى فعل الإرادة الإلهية . بهدف تحقيق غاية أعلى . إن عمل الله المعجزى لا يبطل القوانين الطبيعية ولكنه يعلو عليها . المعجزة فوق الطبيعة ولكنها ليست ضد الطبيعة . وكما أن النواميس الطبيعية فى الطبيعة المائتة ، لم تبطل بظهور الحياة وما يرتبط بها من قوانين أخرى ، هكذا الأمر بالنسبة لعمل الله الفائق للطبيعة ، فهو يتدخل بطريقة فوق طبيعية بعمل المعجزات دون أن يبطل النظام الطبيعى السائد . ان العمل المعجزى يمكن أن ينظر إليه « كخلق » ، وكل « خلق » جديد لا يفسد النظام القائم فى العالم ولكنه يرتبط به فى تناسق ، كما حدث بالنسبة لكل فعل خلقى

جديد ، فإنه لم يفسد الأفعال التى كانت قائمة وقتئذ ، ولكنه أرتبط بها واتسق معها . فالإنسان مثلا ، وهو الكائن العاقل ، أرتبط فى خلقته بالمخلوقات السابقة عنه ، فى اتساق وانسجام وتآلف . وحقيقة فإن « الخلق » الجديد يمكن أن يتكون من جوهر مخالف للمخلوقات السابقة ، ولكنه فى نفس الوقت يُلحق ويُضم للمخلوقات السابقة فى وحدة وانسجام متبادل ، دون أن يتسبب الخلق الجديد فى إبطال أو إيقاف أو رفع فاعلية القوى والنواميس الطبيعية التى تكون قائمة فعلا وقتذاك ، وهكذا الأمر بالنسبة للمعجزات ، فإنه لا تبطل ولا ترتفع القوانين الطبيعية التى تكون سائدة عند عمل المعجزة . وبلا شك فنحن إزاء قوى مختلفة متدرجة ، فالقوى فى الكائنات الحية أسمى من القوى فى الطبيعة غير الحية (الجامدة) ، والقوى الروحية فى الإنسان أسمى القوى فى المخلوقات جميعها ، بل هذه القوى فى الكائنات الأدنى تخضع لقوى الإنسان الروحية العاقلة . ولكن على الرغم من خضوع القوى الأدنى للقوى الأعلى ، فليس هناك أى خلل يحدث فى العلاقة بين هذه القوى ، فضلا عن أن القوى العليا لا تبطل القوى الأدنى ، بل تعمل القوى جميعها فى اتساق وائتلاف متزاملة ومتواجدة معا .

+ والمعجزة لا تعنى حدوث تغيير فى إرادة الله التى تعبر عنها القوانين الطبيعية ، ولكنها تدخل ضمن خطة الله الأزلية . فالله قد سبق ورسم فى خلقته وفى تصميمه للوجود ، رسم أيضا منذ الأزل الفعل المعجزى وما يترتب عليه من آثار ، وهكذا ترك فى التطور الزمنى مجالا لفعله الإرادى غير الإعتيادى .

+ بلا شك إن الذين ينكرون المعجزات ، هم هؤلاء الفلاسفة الذين يقولون بمذهب وحدة الوجود ، فيوحدون بين الله والعالم ، أو هؤلاء الذين يفصلون بين الله والعالم ويقولون بعدم تدخل الله فى شئون العالم ، أو هؤلاء الماديون الذين ينكرون إنكارا تاما القول بوجود الله .

+ يفسر الأسقف ايسيذوروس المعجزة على هذا النحو التالى :

إن العجائب ــ فيما يقول ــ لا تبدى أقل تغيير فى نواميس العالم ولا تخل بشرائعه ، ماعدا أنها توقف جريانها أو تقرن بها نواميس أخرى لتأتى بحادث غريب عنها . مثال ذلك أننا نستطيع أن نوقف ناموس النار إذا أضفنا إليه ناموسا آخر وهو الماء ، فالذى نستطيع أن نفعله نحن بواسطة يستطيع أن يفعله الله بلا واسطة . فالثلاثة فتية الذين طرحوا فى آتون نار متأججة ، منع الله فعل النار عنهم بلا واسطة ، كما لو كان انزل على تلك النار

مطرا غزيرا ، أو لو سكب البشر عليها المياه بكمية وافرة ، وفى كل من هذه الأحوال لا ينتج أن النار تغير ناموسها واستحالت إلى مادة أخرى حتى بطل عملها ، بل ينتج أن تأثيرها ومفعولها أوقفا مرة بعملية محسوسة وأخرى بعملية غير محسوسة (المطالب النظرية ص ٤٣٥ ــ ٤٣٦) .

ويفرق الأسقف ايسيذوروس بين العمل المعجزى الحقيقى وبين أعمال اللاعبين والمشعوذين والسحرة ، ويتحدث عن شروط المعجزة على النحو التالى :

١ ــ كونها تصنع بقوة إلهية تفوق قوة العالم المحسوس أو الروحى ، فإن سحرة مصر أقروا بأنه يوجد عمل يفوق عملهم .

٢ ــ إن الأعجوبة لكى تكون صحيحة تصنع بدون عوامل وعلل ، وإذا كانت بعلل فلا ينتظر من هذه العلل فعل عجيب وخارق لناموس العالم مثل التفوه بثلاث كلمات كالتى قالها المسيح عند دعوة لعازر من القبر : لعازر أخرج خارجا . ومثل معالجته فتح عينى الأعمى ، فلا فى الكلام الأول المسموع قوة على إقامة الميت ولا فى الطين المرهم الشافى ، وإنما القوة كانت قوة الله .

٣ ــ إن للحواس دخلا فى الحكم على صحة الأعجوبة كالنظر والسمع واللمس مع ملاحظة الظروف التى صنعت فيها وصفات الصانع لها ، فالحركات التى تبدو فى دور التمثيل من أناس اتقنوها بالمزاولة والتمرين ولو أنها تلفت الأنظار وتذهل ، فليس فيها من قوة خارجة عن عمل طبيعى .

٤ ــ إن أقدس صفة تطلب من صانع أعجوبة يكون الغرض من صنعه تمجيد الله وامتداد ملكوته الروحى ، فإذا فرضنا أن واحدا أتى فعلا عجيبا بقوة روحية فلننظر إلى غايته فإنها إن كانت رديئة مذمومة فلا يكون لله شركة فى عمله ، ولا يكون عمله أعجوبة .

(المطالب النظرية ٤٣٦ ــ ٤٣٧) .



٢ ـ التدبير الالهى وعلاقته بالصلاة

+ إن الإيمان بالصلاة وقوتها وفاعليتها ، لا يتعارض مع مارتبه الله منذ الأزل فى تدبير الخليقة ، ذلك لأنه فى هذا التدبير الإلهى الأزلى للخليقة ، يدخل أيضا تدبير الله للصلاة ولفاعليتها ، أى أن فعل الصلاة وتأثيره أمر يدخل أيضا فى علم الله السابق ، فالله رتب منذ الأزل أن يكون للصلاة فعلها وقوتها وتأثيرها ، وهكذا ــ كما قلنا بالنسبة للمعجزة ــ نقول أيضا بالنسبة للصلاة ، إن الله قد ترك فى التطور الزمنى مجالا لفعل الصلاة وتأثيرها وقوتها .

+ ولقد تناول العلامة أوريجينوس بشىء من التفصيل موضوع العلاقة بين فاعلية الصلاة وعلم الله السابق ، ونوجز رأيه فيما يلى[1] :

يشير أوريجينوس إلى رأى المعترضين الذين يزعمون أنه لا فائدة من الصلاة ولا جدوى من ورائها ، لأن كل الأشياء تحدث طبقا لإرادة الله ، وقضاء الله ثابت ، وأن شيئا مما يريد لا يمكن أن يتغير ويجيب أوريجينوس ويقول :

حيث أننا نؤمن بحرية الإرادة التى تفصح عن نفسها فى ميول لا تحصى نحو الفضيلة أو الرذيلة على السواء وفى الالتزام بالواجبات المعتادة أو التحلل منها ، فالنتيجة التى لا مندوحة عنها ، هى أن الله بالضرورة يعرف مقدما الشكل والتعبير الذى ستكون عليه هذه الإرادة قبل أن تتكون ، مع كل ما ستكون عليه أو يطرأ عليها منذ بدء الخليقة وتأسيس العالم . ففى كل الأشياء التى سبق الله فرتبها طبقا لما سبق فرآه من إرادتنا الحرة ، سبق فرتب أيضا ــ طبقا لاحتياج كل عمل من أعمالنا الإرادية ــ ما يجب أن يحدث نتيجة لعنايته الإلهية .

ومادام الله يعرف الإرادة الحرة لكل إنسان ، وبالتالى سبق فرآها ، فهو يرتب بعنايته الإلهية ما يستحقه كل واحد بعدل ، فيزوده بما قد يصلى لأجله . فمثلا يمكننا أن نتخيل الأمر على هذا النحو : هذا الرجل الذى يصلى بفهم وإدراك سأعيره أذنا صاغية بسبب

(١) أوريجينوس : الصلاة (تعريب القس موسى وهبه) ١٩٧٥ ــ ص ١٨ ــ ٢٤ .

صلاته نفسها التى يلهج بها قلبه . ولكن هذا الآخر لن أميل بسمعى إليه لأنه ليس جديرا بالسمع ، أو لأنه يطلب أشياء ليست فى صالحه أن ينالها ، ولا يليق بى أن أعطيه إياها . فإذا كانت الصلاة تطلب هذا أو ذاك مما يدخل فى هذا النطاق مثلا فلن اسمع لصلاته ، أما إذا كانت صلاته من النوع الأول فإنى استجيب وإذا اضطرب أحدهم لأن سابق علم الله بما سيكون ، هو علم لا يشوبه خطأ ، فكل ما يحدث بالضرورة — كما يجب علينا أن نقول — إنما لدى الله علم دقيق وحاسم به . وفى هذه النقطة بالذات ، يعلم الله على وجه الدقة أن هذا الإنسان أو ذاك لا يطلب — على وجه التحقيق — أمرا صالحا ، بل يلتمس أمرا رديا ، مما يجعل هناك استحالة فى اجابته إلى طلبته . وقد يجرى الأمر كذلك أيضا : إنى سأعمل واحقق طلبة هذا المصلى ، لأنه لائق بى أن أفعل هذا مادامت صلاته ستكون بلا لوم ودعاؤه بدون عيب . فإذا طلب فى صلاته شيئا بالذات ، أعطيه وأغمره بكثرة تزيد عما يطلب أو يظن (أف ٣:٢٠) . ومع هذا الإنسان الذى يتميز بهذه الأخلاق ، لابد أن أرسل له ملاكا خادما خاصا حتى يعمل معه لأجل خلاصه فى فترة معينة ، ولإنسان آخر يقول : سأرسل له ملاكا آخر — قد يكون من رتبة أعلى ، لأن هذا أبر وأفضل من سابقه . وفى حالة ثالثة ، عندما يكرس الإنسان نفسه للتعاليم المتعالية (العظائم) يتركه للضعف البشرى حتى يعود إلى الأمور العادية فيقول : سأحرمه من ، معينه القوى ، وعندما يفارقه هذا المعين تنتهز الفرصة قوى الشر — حسب طاقته واستحقاقه — وتستغل ضعفه وتنجسه عندما يبدى استعداده للخطية ، وارتكاب هذه أو تلك من الآثام والأوزار .

إننا إذا دعونا الله — فيما يقول ديكارت الفيلسوف الفرنسى — فإنما ندعوه لا لكى يغير لنا شيئا من النظام الذى قررته عنايته منذ الأزل ... بل ابتغاء تحقيق ما أراد الله منذ الأزل أن يتم بدعائنا (أضواء على الإيمان المسيحى ، للدكتور موريس تاوضروس — ص ٩٣) .



٣ ـ التدبير الالهى وعلاقته بالحرية الانسانية

يمتد تدبير الله أيضا إلى عالم الإنسان . والبشر كموجودات عاقلة حرة ، يتدخلون بفاعلية فى مجريات التاريخ ولا يتحولون إلى آلات أوتوماتيكية ، ومع ذلك فإنه فى وسط هذا العالم من الحرية ، فإن إرادة الله تسود وتحكم . ويشهد بهذا الكتاب المقدس ، ويتأكد أيضا من خلال حياة شخصيات كتابية متعددة . على أن الحرية البشرية ، مهما اتخذت موقفا معارضا لإرادة الله وفى خدمة أغراضها الخاصة ، فإنها تخدم بطريقة لا شعورية إرادة الله . ولا ينتهى هذا بنا إلى إنكار قيمة العمل الإنسانى ، بل إلى تأكيد أن الإنسان ، فى حرية ، يضع قواه الخاصة لتحقيق إرادة الله ، وهو يفعل ذلك إما إراديا أو لا إراديا .

وبالنسبة للشر ، فهناك الشر الطبيعى الذى يسمح به الله ويكون بهدف تربوى تهذيبى للإنسان . وأما بالنسبة للشر الإنسانى ، فإن الله على الدوام يكرهه ، ولكن يسمح به احتراما للحرية الإنسانية . الله يعرف مسبقا هذا الشر دون أن يريده ، على إن إرادة الله تتحقق حتى من خلال هذه الأعمال الشريرة التى يقترفها الإنسان .

تدبير الله والعامل الإنسانى فى الكتاب المقدس :

إن ما قلناه حتى الآن عن تدبير الله للعالم ، يتأكد بالأكثر بالنسبة لعالم الإنسان . فالبشر ككائنات عاقلة أخلاقية يحتلون مركزا متميزا فى الخليقة ، وهم فى حاجة إلى توجيهات واستنارة خاصة من الله . ويخص الله البشر بعنايته وأهتمامه . على أنه بالنسبة للإنسان يدخل عامل الحرية الإنسانية ، وهو العامل غير الموجود فى العالم المادى . فالعالم المادى على عكس العالم الإنسانى ، تسوده وتحكمه القوانين الطبيعية العمياء . وبسبب تدخل عامل الحرية الإنسانية ، تصبح الحاجة ماسة بصورة أكثر لتأكيد التدبير الإلهى وإظهاره . والتاريخ والخبرة يؤكدان ما يقوله إرميا النبى **« عرفت يارب أنه ليس للإنسان طريقه ، ليس لإنسان يمشى أن يهدى خطواته »** (إر ١٠:٢٣) . وحقيقة أن الإنسان يشارك فى مجريات التاريخ ، ولا يتم ذلك بصورة آلية سلبية أو بدون تعبير عن حريته وإرادته ، ولكن ، وعلى نفس المستوى من الحقيقة فى العالم المادى ، فإنه أيضا فى العالم الروحى الحر للإنسان ، يتدخل الله ويقيم رأيه ومشيئته الإلهية ، وفى هذا يقول الرب فى

سفر أشعياء « **رأيي سوف يقوم وسأفعل كل مسرتي** » (إش ٤٦ : ١٠) . ومهما تحرك البشر بقوة بأسلحتهم وسيوفهم فإن الله حتم للأمم « **بالأوقات المعينة وبحدود مساكنهم** » (أع ١٧ : ٢٦) .

إن الكتاب المقدس يحوى تاريخ العديد من الشخصيات الكتابية التى توضح كيف تدخل الله فى توجيه حياتهم إلى الخير على الرغم مما أراده البشر لهم من سوء ، كما حدث مثلا بالنسبة ليوسف وموسى ، فإن عناية الله وتدبيره كان واضحا فى التدخل لتسير الأحداث لتحقق غاياتها الإلهية .

فبالنسبة ليوسف ، قيل الآتى : وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً . وكان فى بيت سيده المصرى . ورأى سيده ان الرب معه وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده . فوجد يوسف نعمة فى عينيه وخدمه ، فوكله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له . وكان من حين وكله على بيته وعلى كل ما كان له أن الرب بارك بيت المصرى بسبب يوسف . وكانت بركة الرب على كل ما كان له فى البيت وفى الحقل ، فترك كل ما كان له فى يد يوسف . ولم يكن معه يعرف شيئا إلا الخبز الذى يأكل (تك ٣٩ : ٣ـــ٦ + ٢١ـــ٢٣ + ص ٤١ : ٣٩ـــ٤٤) .

وهذا الذى رتبه الله لخير يوسف ، كان على عكس ما أراده إخوة يوسف له من شر عندما تآمروا عليه ، وقال بعضهم لبعض « **هلم نقتله ونطرحه فى إحدى الآبار ونقول وحش ردىء أكله** ... » (تك ٣٧ : ٢٠) .

وبالنسبة لموسى : فعندما ولدته أمه وخشيت من بطش فرعون ، وضعته فى سفط بين الحلفاء ، على حافة النهر ، فنزلت ابنة فرعون لتغتسل ، فرأت السفط بين الحلفاء وأرسلت أمتها وأخذته . ورق قلبها لموسى الطفل . ورتب الله أن تقوم أم موسى نفسها بإرضاع ابنها ، وتأخذ أجرة على ذلك . ولما كبر موسى جاءوا به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا . وهكذا يكون موسى قد تربى فى بيت فرعون على الرغم من أن فرعون كان قد قصد سوءا بالعبرانيين وتآمر حتى يقضى على شعب إسرائيل ويوقف نموه وقال « **هوذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلم نحتال لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض . فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكى يذلوهم بأثقالهم ... ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا** » (خر ١ : ٧ـــ١٢) .

ويتحدث أيوب البار فى تأكيد يد الله فى صنع التاريخ فيقول :

« فاسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء فتخبرك . أو كلم الأرض فتعلمك ، ويحدثك سمك البحر . من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا . الذى بيده نفس كل حى وروح كل البشر ... عنده الحكمة والقدرة ، له المشورة والفطنة . هوذا يهدم فلا يبنى . يغلق على إنسان فلا يفتح . يمنع المياه فتيبس . يطلقها فتقلب الأرض . عنده العز والفهم . له المضل والمضل . يذهب بالمشيرين أسرى ويحمق القضاة . يحل مناطق الملوك ويشد احقاءهم بوثاق . يذهب بالكهنة أسرى ويقلب الأقوياء ... ينزع عقول رؤساء شعب الأرض ويضلهم فى تيه بلا طريق . يتلمسون فى الظلام وليس نور ويرنحهم مثل السكران » (أيوب ١٢:٧ــ٢٤) .

ويقول النبى داود فى مزاميره :

« إن لم يبن الرب البيت فباطلا يتعب البناءون : إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلا يسهر الحارس » (مز ١٢٧:١) .

ويقول الرسول يعقوب **« هلم الآن أيها القائلون نذهب اليوم أو غدا إلى هذه المدينة أو تلك وهناك نصرف سنة واحدة ونتجر ونربح . أنتم الذين لا تعرفون أمر الغد ، لأنه ما هى حياتكم ، إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل . عوض أن تقولوا إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك »** (يع ٤:١٣ــ١٥) .

+ على أنه لا يجب أن نفهم من هذا إبطال العامل الإنسانى ، وإعتباره عاملا سلبيا ، بل إن الأمر على عكس ذلك ، فإن الله ينفذ إرادته من خلال استخدام العوامل البشرية ، كما يبدو هذا من شواهد كثيرة فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . ولنضرب لذلك بمثلين :

١ ــ ما حدث مع إيليا : فلقد اختار الله لتدبير عنايته بإيليا فى أيام المجاعة امرأة أرملة ، كانت من بيت صرفة التى لصيدون . وهذه بحرية تصرفت ورضيت أن تتقاسم ماعندها من كمية قليلة من الدقيق وقليل من الزيت ، مع إيليا وابنها .

فالله إذن يدبر الأمور ويستخدم البشر كوسائل لتحقيق إرادته وتنفيذ مشيئته .

٢ ــ ما حدث مع الرسول بولس :

أ ــ فلقد اختار الله ابن أخت بولس لإنقاذ حياة الرسول بولس (اقرأ أع ٢٣:١٦ وما بعده) .

ب ــ عندما كانت السفينة التى تحمل الرسول بولس والأسرى الذين معه ، متجهة إلى روما ، تعرضت للغرق ، فطمأن الملاك بولس وقال له « **لا تخف يابولس ينبغى لك أن تقف أمام قيصر ، وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك** .

ومن الملاحظ فى هذه القصة التى وردت فى الأصحاح السابع والعشرين من سفر الأعمال أن إرادة الله تمت من خلال استخدام عوامل إنسانية : **كالبشر لمد يد المساعدة** ، **والطعام ليهب القوة على العمل** ، بالإضافة إلى **خبرة الملاحين** ، كما يبدو من النص التالى :

« ولما كان النوتية يطلبون أن يهربوا من السفينة ، وأنزلوا القارب إلى البحر بعلة أنهم مزمعون أن يمدوا مراسى من المقدم ، قال بولس لقائد المائة والعسكر ، إن لم يبق هؤلاء فى السفينة فأنتم لا تقدرون أن تنجوا . حينئذ قطع العسكر حبال القارب وتركوه يسقط ، وحتى قاربَ أن يصير النهار ، كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاما قائلاً هذا هو اليوم الرابع عشر وأنتم منتظرون لا تزالون صائمين ولم تأخذوا شيئا ، لذلك التمس منكم ان تتناولوا طعاما لأن هذا يكون مفيدا لنجاتكم ، لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم . ولما قال هذا أخذ خبزا وشكر الله أمام الجميع وكسر وابتدأ يأكل ، فصار الجميع مسرورين وأخذوا هم أيضا طعاما. وكنا فى السفينة جميع الأنفس مائتين وستة وسبعين . ولما شبعوا من الطعام طفقوا يخففون السفينة طارحين الحنطة فى البحر ... وإذ وقعوا على موضع بين بحرين شططوا السفينة ، فارتكز المقدم ولبث لا يتحرك واما المؤخر فكان ينحل من عنف الأمواج . فكان رأى العسكر أن يقتلوا الأسرى لئلا يسبح أحد منهم فيهرب . ولكن قائد المائة إذ كان يريد أن يخلص بولس منعهم من هذا الرأى وأمر أن القادرين على السباحة يرمون أنفسهم أولا فيخرجون إلى البر والباقين بعضهم على ألواح وبعضهم على قطع من السفينة ، فهكذا حدث أن الجميع نجوا إلى البر » (أع ٢٧:٣٠ــ٤٤) .

تعاليم الآباء والكتاب الكنسيين :

+ لقد أكد الآباء والكتاب الكنسيون القول بالتدبير الإلهى فى حياة وأعمال البشر . ونشير على الأخص إلى أقوال القديس يوحنا ذهبى الفم حيث أكد سيادة التدبير الإلهى ، ونبر على أن الأمر فى الحياة يرد فى النهاية إلى هذا التدبير الإلهى .

Chrys. Mat. hom. 20. 3 M. 57, 298.

ويضيف اكليمنضس الاسكندرى بأن كل ما يحدث فى حياة الإنسان ، وأيضا هذه الأفعال التى تتم بالفكر البشرى ، تأخذ من الله ضياءها وشعلتها ، وأشار إلى أن الصحة بالعلاج الطبى ، وقوة البدن بالرياضة البدنية والغنى بالمال ، كل هذه تأخذ أصلها ووجودها ، من ناحية بحسب العناية الإلهية ، ومن ناحية أخرى بتعاون الإنسان . والفهم أيضا من الله . ولكن إرادة الله تطاع على الأخص بإرادة الإنسان الحرة .

Clem. Alex. Strom. VI, 17, B. 8, 338.

انظر أيضا :

Chrys. Psalm. 134, 4, M. 54, 392.

ولفهم الصلة بين التدبير الإلهى والحرية الإنسانية ، نقول بصفة مبدئية ، أنه يجب أن نفرق بين قرار إرادة الإنسان الحرة ، وبين النتائج الخارجية لهذا الفعل الحر . فالإنسان حر فيما يتصل بالقرار الذى يأخذه ، أما النتائج فهى ترتبط بعوامل أو أسباب أخرى ، وهى توجه حسب تدبير الله وعنايته . وهكذا فإن الإرادة الحرة لا تجرح ، ولكنها تضبط وينظر إليها من خلال العناية الإلهية .

+ توجد دعامات كتابية لتدخل الله وإلهامه ، الذى بواسطته تأخذ القلوب البشرية من فوق ، ميلا للخلاص ، أو بسبب ترك الله لها ورفع نعمته عنها ، تأخذ ميلا للهلاك ، على نحو ما نتبين من الأمثلة التالية :

« ***ينزع عقول رؤساء شعب الأرض ، ويضلهم فى تيه بلا طريق*** » (أيوب ١٢:٢٤) .

« ***ولكن حى هو الرب إله إسرائيل الذى منعنى عن أذيتك*** » (١صم ٢٥:٣٤) .

« ***وأعطيكم قلبا جديدا وأجعل روحا جديدة فى داخلكم وانزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم*** » (حز ٣٦:٢٦) .

تدبير الله ومشكلة الشر :

عناية الله كما قلنا ، تمتد إلى كل ما فى حياة الإنسان **« الله الذى بيده نسمتك وله كل طرقك »** (دا ٥:٢٣) . فقال لها (أى أيوب لامرأته) **« تتكلمين كلاما كإحدى الجاهلات . الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل »** (أيوب ٢:١٠) ، **« لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته ، هيرودوس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب إسرائيل ليفعلوا كل ما سبقت يدك ومشورتك أن يكون »** (أع ٤:٢٧،٢٨) .

ولكن هنا تظهر مشكلة فى غاية الأهمية والخطورة ، وهى تتحدد فى هذا التساؤل :

كيف نوفق بين العناية الإلهية وبين الشر فى العالم ؟

+ بلا شك يوجد الشر فى العالم فى صورتين : كشر طبيعى وشر أخلاقى .

أما الشر الأخلاقى فلم يخلقه الله . بل خلقه الإنسان الحر ، والله سمح بوجوده دون أن يريده لأن الله يكره الشر . ومن ناحية أخرى فإن الشر الأخلاقى ليس له خلود ، إنما سوف يتحطم فى المستقبل وسوف ينهزم بالخير . وأما الشر الطبيعى فهو يرتبط بالشر الأخلاقى كنتيجة للخطية التى بسببها لعنت الأرض أيضا . على أن الشر الطبيعى يخدم الصلاح ، وهو يستخدم كوسيلة لعدالة الله وفعله الأبوى والذى به يعاقب الله الإنسان أو يهذبه ويمسكه إلى دائرة الخير . انظر :

1- M. Basil. M. 31, 337-338.
2- Dam. mnym. 2, 29 M. 94, 965.

وبهذا ، فيما يقول أندروتسو ، تحل قضية العدالة الإلهية بصورة مقبولة ، وليس كما كان يقول الغنوسيون والمانويون وغيرهم ممن قال بإلهين وجعلوا للشر مبدءا خاصا ، وكذلك ليس كما تقول الأفلاطونية الجديدة ومن سار فى اتجاهها من أن الشر ليس له وجود فهو مجرد سلب للخير . ولكن فيما يؤكد أندروتسو ، إن الشر ليس مجرد مظهر خارجى ، ولكنه حقيقة ايجابية فى العالم ، وان الخلاص من الخطية الذى يتم بالمسيح يسوع ، وكذلك الوعد بالحياة الأبدية المجيدة للأخيار وبالعقاب الأبدى للأشرار يفترض كل هذه ، القوة الحقيقية للخطية والموت .

(أندروتسو : العقيدة (باليونانية) ص ١١٨ ، ١١٩) .

+ وإذا كان الشر يستخدم للخير ، لذلك صار عند رسل المسيح كنوع من الافتخار . يقول الرسول يعقوب « **طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة ، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه** » (يع ١ : ١٢) . ويقول الرسول بولس « **بل نفتخر أيضا فى الضيقات عالمين أن الضيق ينشىء صبرا والصبر تزكية ، والتزكية رجاء ، والرجاء لا يخزى لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا** » (رو ٥ : ٣ ــ ٥) .

المعرفة السابقة ــ التعيين (التحديد) السابق ــ السماح :

+ إذا كان الله يحتمل ويسمح بالشر الأخلاق ، لكنه لا يظل سلبيا ساكنا إزاءه . وهو إذ يرى مسبقا حركة هذا الإنسان الحر نحو الشر ، فإنه يحدد مسبقا الحدود التى تتم خلالها هذه الحركة . على هذا النحو ، فإن الإنسان ذلك الكائن الحر ، سوف يعبر عن اختياره الحر ، وفى نفس الوقت تتحقق خطة الله وتدبيره الأزلى الذى كثيرا ما يحدث أن يُخدم بأسلوب غير محسوس وغير مقصود ، من خلال هذه الدوافع الشريرة والتصرفات السيئة التى صدرت عن هذا الإنسان الذى أساء استخدامه لحريته . وهكذا يمكن القول أن المعرفة السابقة لا تكون واحدة مع التحديد أو التعيين السابق ، ولكن من ناحية أخرى ترتبط به أرتباطا وثيقا . أما كون المعرفة السابقة غير واحدة مع التحديد السابق ، فذلك لأن الأفعال الشريرة المعروفة مسبقا من الله ، لا يتم انجازها من البشر لأن الله عرفها سابقا وحددها سابقا ، لأنه فى هذه الحالة سوف يكون الله هو المسئول عن الأفعال الشريرة . الله إذن يعرف مسبقا كل شيء ولكنه لا يحدد مسبقا كل شيء . فالأفعال التى تصدر منا ، يعرفها الله مسبقا ولكنه لا يحددها . أى أن الأفعال التى تعتمد علينا ويتم انجازها بواسطتنا لا يحددها الله . انظر :

Dam. mnym. 2, 30, M. 94, 972.

وهكذا يمكن القول أن الفعل الشرير ، يتم انجازه كعمل حر صادر عن الإنسان الحر الذى اساء استخدام حريته . والله يسمح بالفعل الشرير ، ولكن هذا السماح الإلهى أمر يختلف عن التحديد الإلهى السابق ، فالله ــ كما قلنا ــ يعرف مسبقا كل شيء ولكنه لا يحدد كل شيء تحديدا مسبقا .

وحسب هذه الوجهة من النظر ، يمكن القول ان الله كان يعرف مسبقا بخطيئة آدم ، وأن هذه الخطيئة تمت فى رقابة هذه العناية الإلهية وتحت بصرها ، ولكن فى نفس الوقت ،

اخطأ آدم بسبب سوء استخدامه لحريته ، أى أخطأ بحريته وصار مسئولا عن خطيئته ، فهو لذلك — بعدل — قد دين وعوقب .

يقول أوريجينوس : إن علم الله السابق لا ينبغى أن نعتبره سببا لما يجرى من أحداث أو آثار تتبع أعمالنا الحرة الناجمة عن إنفعالاتنا الخاصة . لأن علم الله السابق لا يعنى سلب إرادة الإنسان أو التدخل فى حريته ، ولكن كنتيجة لعلمه السابق ، لابد للأعمال الإرادية التى تصدر عن الإنسان ان تتواءم مع الترتيب والتنسيق الذى ينتظم الوجود جميعا ، حيث أنه ضرورة لازمة لوجود الكون أو الوجود كله » .

(أوريجينوس : الصلاة — تعريب القس موسى وهبه — ص ٢٢) .

ولقد سبق لنا أن كتبنا بحثا مطولا لإثبات حرية الإنسان ، رغم أن هذه الحرية تتحرك فى دائرة العناية والتدبير الإلهى ، وأكدنا أن المعرفة السابقة لله لا تلغى الحرية البشرية ولا تبطلها ومما قلناه فى هذا الشأن[1] :

إن علم الله السابق لا يتدخل على الإطلاق فى تحديد مصير هذا أو ذاك من البشر . ولعل كلمة « السابق » هى التى توحى لنا بهذا الفهم الخاطىء لأنها توحى بان الإنسان ليس عليه إلا أن ينفذ ما سبق وقد اختاره الله له ، وأن هذا الإختيار فى الماضى البعيد هو الذى يقود الحاضر ويتحكم فى المستقبل ، لأن الماضى قد سبق وحدد للحاضر ، وكذلك حدد للمستقبل ، ما يجب أن يكون عليه كل منهما .

إذا قلنا ان الله يعلم سابقا أن آدم سوف يخطىء ، فإن هذه المعرفة لم تبطل حرية آدم فى أن يتصرف كما يشاء وحسب الطريق الذى يختاره . إننا يجب أن نتفهم مدلول الزمان بالنسبة لله على نحو مخالف لما نفهمه عن مدلول الزمان بالنسبة للإنسان . بالنسبة للإنسان ، الزمان ينقسم إلى ماض وحاضر ومستقبل ، ولكن ليس هكذا الأمر بالنسبة لله . عندما يولد الإنسان لا يكون هو أول الكائنات على وجه البسيطة ، فهناك كثيرون قد ولدوا قبل أن يولد ، أى أن هناك زمنا يسبق يوم ميلاده ، ومن أجل ذلك فقد تعلم أن هناك ماض وجد قبل أن يوجد . ثم يعيش الإنسان فى زمن حاضر فيتعلم معنى الحاضر ،

(١) انظر كتابنا : مشكلة الاختيار (شرح للأصحاح التاسع من رسالة رومية) — مكتبة التربية الكنسية بالجيزة ص ٢٥ — ٣١ .

ثم ينتظر الإنسان حدوث أمور لم تحدث بعد وسوف تحدث فيما بعد ، فيتعلم معنى المستقبل . ولذلك فليس غريبا أن يجهل الإنسان الأحداث التى لم تقع بعد ولم تتم والتى يمكن أن تقع فى المستقبل . أما بالنسبة لله فالأمر مختلف تماما ، فلم يكن هناك زمن ماض يسبق الله فى وجوده حتى يقال أن هناك ماض لله ، وليس هناك أيضا ما يمكن أن يجهله الله من أحداث فى هذا الكون ، سواء وقعت أو لم تقع بعد ، حتى يقال أن الله له مستقبل ، وإلا لكان معنى ذلك أن معرفة الله ليست كاملة وأن ثمة أحداثا جديدة كان يجهلها الله وسوف يكتسب معرفتها ، فهذا لا يتفق مع علم الله الكامل الذى يطوى الماضى والحاضر والمستقبل بكل ما يقع من أحداث . وإن ما هو جديد بالنسبة لنا نحن البشر ، ليس جديدا بالنسبة لله بل هو حاضر أمام الله يراه رؤية العين . فلا يوجد بالنسبة لله إلا الحاضر الدائم . أى أن كل شيء يحدث فى العالم أو حدث فى الماضى أو سوف يحدث فيما بعد هو بالنسبة لله ماثل أمامه فى حاضره الدائم . فإذا كان الله يعرف ما يكون عليه مستقبل آدم ، فإن هذا لا يعنى أكثر من أن الله يرى ما يفعله آدم . وبموجب هذه الرؤية التى هى بالنسبة لله حاضرة ماثلة فى زمن حاضر حتى بالنسبة للأحداث التى لم تقع بعد بالنسبة للإنسان ــ يكشف الله عن مسلك آدم ومصيره .

دعنا نبسط الأمر أكثر :

طالب رسب فى الامتحان آخر العام . الله يعلم سابقا أن هذا الطالب سوف يرسب . بالنسبة لنا ، نحن نجهل هذا الأمر لأنه لم يحدث بعد ، وهو يقع فى مجال النبوة بأمور مستقبلة . أما بالنسبة لله الذى تمر أحداث المستقبل أمام بصره فى زمن الحاضر الدائم ، فهو يرى الطالب وقد تقدم لتأدية امتحانه ، ثم يرى أوراقه وقد صُححت ثم يرى الدرجات التى حصل عليها ، ويرى أخيرا النتيجة النهائية لامتحاناته ، ثم يرى بيان النتيجة وقد علق على الحائط ، وكُتب أمام الطالب كلمة « راسب » . فإذا كشف الله بموجب علمه السابق عن نتيجة هذا الطالب وأنه راسب فعلى الرغم من أن الطالب لم يكن بعد ــ بالنسبة لنا ــ قد تقدم لأداء الامتحان ، فإنه بالنسبة لله يكون كل شيء حاضرا أمامه فيعلن لنا ــ مسبقا ــ نتيجة هذا الطالب . والأمر الواضح هنا ، أن علم الله السابق برسوب هذا الطالب لم يتدخل مطلقا فى تحديد مصير هذا الطالب ، وأن الطالب يجنى ثمرات استخفافه وإهماله . وأما بالنسبة لله ، فقد كان الله يشاء له أن ينجح وأن يتفوق ، لأن مشيئة الله هى دائما خيرة .

ولنضرب مثلاً آخر :

الله يعرف سابقا أن يهوذا سوف يُسلم المسيح . الله يرى يهوذا وقد أختاره المسيح رسولا من الرسل الاثنى عشر ، على الرغم من أن هذا الأمر لم يكن قد تم بعد بالنسبة لنا نحن البشر ، لأن يهوذا لم يكن قد ولد بعد . لكن بالنسبة لله قد ولد يهوذا وقد اختاره المسيح بين من اختار من تلاميذه ، ورأى الله كيف كان يهوذا يخون سيده ويتآمر مع اليهود لقتله ، واتفق معهم على تسليم المسيح للموت ، ورأى الله أيضا يهوذا وقد أصابه اليأس وأقدم على قتل نفسه .

وبموجب هذه الرؤية ليهوذا ولسيرة حياته ، يكشف الله عن مصير يهوذا ويعلنه على فم أنبيائه . فيكون الأمر بالنسبة لنا نبوءة تتصل باحداث مستقبلة ، وأما بالنسبة لله فيكون الأمر كشفا ورؤية تتصل بالزمن الحاضر الدائم لله . فما نقرأه فى العهد القديم عن يهوذا كنبوءة اعلنها الله على فم أنبيائه ، لا يكون هكذا بالنسبة لله ، فإن الله يعلن أمرا يراه أمام عينيه ويقع تحت بصره . وعلى ذلك ، فإن ما سبق وقد تنبأ به الأنبياء عن يهوذا معلّنا لهم من قبل الله ، لم يكن هو الذى دفع يهوذا لأن يتصرف هذا التصرف ، ويسلك هذا المسلك ، ويكون يهوذا مسئولا مسئولية كاملة عن تصرفه .

وهكذا يمكننا أن نقول :

الله يعرف سابقا أن يهوذا الاسخريوطى سيسلم المسيح ، ويعرف أن يعقوب سيتصرف تصرفا صالحا ، ولكن هذه المعرفة ليست هى السبب الذى دفع يهوذا لأن يسلم المسيح ، ولا هى التى دفعت يعقوب إلى أن يكون إنسانا صالحا . نحن نسميها معرفة قبْلية سابقة لأنها تسبق حدوث الواقعة . فهى بالنسبة لنا معارف متقدمة سابقة ولكن ليس الأمر هكذا بالنسبة لله . بالنسبة لنا يوجد حاضر ومستقبل وماض ، فنحن نقول أن هذا الفعل وقع فى الماضى أو واقع الآن أو لم يقع بعد وإنما سيقع فى المستقبل . نحن نحدد الحوادث تحديدا زمنيا لأننا نعيش فى زمن ، أما بالنسبة لله فليس هناك تحديد زمنى لأنه هو خارج عن الزمن ، فما هو مستقبل بالنسبة لنا ، هو حاضر بالنسبة له ، وما سوف يحدث بعد مئات والوف السنين بالنسبة لنا ، هو حادث الآن بالنسبة لله ، يراه كما لو كان واقعا . وعلى ذلك فإن معرفة الله للأمور المستقبلة هى عبارة عن رؤية الله لهذه الأمور كما لو أنها واقعة وحادثة فى الوقت الحاضر . فكما تتكلم أنت عن شىء تراه الآن ببصرك أو تسمعه الآن بأذنك أو تلمسه الآن بيدك ، هكذا يتكلم الله عن الأمور المستقبلة فهى تقع الآن تحت بصره أو سمعه أو لمسه .

من كل هذا نخلص إلى القول ، بأنه لا يُقصد بمعرفة الله السابقة ، أن الله حدد لأن يكون هذا الإنسان خيِّرا أو شريرا ، بارا أو اثيما . إن الله لا يخلق بعض البشر للنعيم الأبدى وبعضهم للهلاك الأبدى ، إنما الله يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون . ليس الله هو الذى يحدد وضعنا من حيث النعيم الأبدى أو الهلاك الأبدى ، وإنما نحن أنفسنا الذين نحدد بأيدينا وإرادتنا وإختيارنا ومشيئتنا حالتنا التى سنكون عليها فى المستقبل . فإذا كان الله يعرف سابقا أن هذا الإنسان سيكون صالحا فليس معنى ذلك أن الله فرض على هذا الإنسان أن يكون صالحا ، بل معناه ان الله رأى صلاح هذا الإنسان وتقواه ، فحكم أنه صالح حتى وإن كان هذا الإنسان لم يولد بعد ، لأنه كما قلنا إن مالم يولد بعد بالنسبة لنا ، هو موجود وحاضر بالنسبة لله .

+ ولكن إذا كانت المعرفة السابقة ـــ كما قلنا ـــ لا تُوَّحد مع التعيين أو التحديد السابق ، إلا أنها ترتبط به أرتباطا وثيقا ، لأن الله فى هذه المعرفة السابقة ، يحدد مسبقا الحدود التى تتحرك فيها نتائج الشر ، راسما مسبقا الحدود التى يتحرك فيها الفعل الشرير ، والنتائج المترتبة عليه ، بحيث أن خطة الله الأزلية وتدبيره الإلهى لا يتعطل . وهكذا فإن الشر إما أن يُصلح ويُصحح أو يصير وسيلة للخير ، أو يُعدم ويبطل . وهكذا يبدو الله فى الكتاب المقدس ، وهو يسمح بوجود الشر الأخلاقى كعقاب يوقعه الله على هؤلاء الذين « يحجزون الحق بالإثم » ، والذين « لما عرفوا الله لم يمجدوه » فهؤلاء ***« اسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق »*** (رسالة رومية ١:١٨، ٢١، ٢٨). لقد ترك الله فرعون وسمح أن يتقسى قلبه ، وذلك لكى يظهر الله قوته ، ولكى ينادى باسمه فى كل الأرض (رو ٩:١٧) .

+ ويشار عند الآباء إلى نوعين من التخلى أو الترك ، فالله قد يتخلى ويترك الإنسان بقصد تدبيرى تربوى ، وهناك ترك أو تخلى تام مرتبط باليأس .

ويكون التخلى التدبيرى التربوى بقصد الإصلاح والخلاص وصالح الشخص ، فهناك ـــ فيما يلاحظ أوريجينوس ـــ أناس لا يفيدهم الشفاء السريع فى التخلص من خطاياهم وتعدياتهم . يقول أوريجينوس :

الشفاء السريع ، قد يدفع البعض إلى التقليل من شأن المرض الذى حلّ بهم والاستهانة بأمره باعتباره قابلاً للشفاء العاجل ، وبسبب موقفهم قد يصابوا بنكسة بعد الشفاء ، لهذا أيضا فإن الله يعالج أمثال هذه الحالات بحكمته ، فيحتمل شرور الخطاة مهما كثرت ،

وأحيانا يغض النظر عن تدهورهم فى الشر حتى يصلوا إلى مستوى يستعصى فيه العلاج . تمر عليهم فترة طويلة من الزمن يقضونها فى ممارسة خطيتهم حتى يمتلئوا من دنس شهواتهم ويصلوا إلى درجة الامتلاء أو التشبع الذى يقترن بالضيق والنفور ، فيدركون مدى الأذى والضرر الذى حاق بهم ، **وتحل الكراهية إزاء ما كان يستهويهم قبلا ، وبذلك ينفتح أمامهم طريق الشفاء** حتى يستمتعوا بصحة الروح التى تعود إليهم فى أمن وسلام .

ويمضى أوريجينوس فيقول :

من الحق أن يترك الله هؤلاء الذين تركوه ، ومن الحق أن يسلموا إلى اهواء الهوان وهكذا ينالون جزاء ضلالهم المحق الذى فيه أحبوا اللذة النجسة . ولا شك أن جزاء ضلالهم يزداد ثقلا بتسليمهم لأهواء الهوان اكثر مما لو تتطهروا بنار الحكمة أو لو وضعوا فى السجن حتى يوفوا الفلس الأخير مما عليهم .... ولكنهم إذا استودعوا أنفسهم لهذا العلاج فسوف يبغضون الحاسة المرذولة ، لأن الله لا يريد أحدا أن يصنع البر قسراً رغم أنفه ، بل يجب أن يقبله بإرادته واختياره . وهناك من الخطاة من اعتاد أرتكاب الشر حتى صار فهمه بطيئا فى إدراك عار الخطية ، وبالتالى يتباطأون فى التراجع عما كانوا يحسبونه خيرا . تأمل ... اليس لهذا السبب قسى الرب قلب فرعون حتى عندما يلين يستطيع أن يعترف : الرب هو البار . أنا وشعبى خطاة . كان لابد أن يتقسى قلبه بالأكثر ، وكان لابد أن يعانى ويقاسى ويتفاضل فى هذه المعاناة **حتى لا يستهين بقسوة القلب فيما لو تحرر منها سريعا** . لذلك تقسى قلب فرعون وتقسى مرة بعد أخرى حتى امتلأ المكيال . ويضرب العلامة أوريجينوس مثلا لهذا الأسلوب من العلاج ، وذلك فى موقفه من بنى إسرائيل عندما اشتهوا أن يأكلوا لحما ، فلم يصدهم عن هذا الطلب بل على العكس سمح لهم أن يأكلوا لحما لا يوما واحدا ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوما بل شهرا من الزمان ، حتى ان هذا الذى يظنونه خيرا ويبدو لهم جميلا ، يخرج من مناخرهم ويصير كراهة لهم ، وبذلك تزول وتختفى شهوتهم المخجلة .

(المرجع السابق ص ١٠٤ ــ ١٠٥) .

وهكذا يمكن القول أن هناك أناسا لا يفيدهم الشفاء السريع فى التخلص من خطاياهم ، فهؤلاء بعد أن يشفوا يمكن أن يعودوا مرة أخرى إلى الخطية وهكذا يمكن أن يظلوا بلا إصلاح وبلا شفاء . ولذلك يسمح الله أن يظلوا فى الخطيئة مدة أطول حتى يدركوا ما فى الخطيئة من ضرر ، وتتكون لهم أحاسيس من الكراهية نحوها ، وهكذا إذا كان

يبدو ان الله لم يساعد هؤلاء الأشرار لأنه تركهم واسلمهم لشرهم ، فهو فى الحقيقة يساعدهم حتى ينفروا من الخطيئة ويكرهوها .

وقد يسمح الله بأمر شرير لاتقاء شر أكثر خطورة ، كأن يسمح بالمرض ليكون وسيلة للتوبة . وما حدث مع الرسولين بطرس وبولس كان أيضا لأمر مفيد . فبطرس أنكر المسيح ، ولكنه بهذا الإنكار تلقن درسا فى الخلاص ، وبولس الذى كان يضطهد المسيحية بغيرة ولكن ليس حسب المعرفة ، اختير فيما بعد ليكون رسولا كارزا باسم المسيح ، وقال « ***أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا لأنى اضطهدت كنيسة الله ، ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة ، بل تعبت أكثر منهم جميعهم ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى*** » (١كو ١٥:٩،١٠) .

+ وأما بالنسبة للترك أو التخلى الكامل اليائس ، فهو عندما يرفض الإنسان الله رفضا تاما على الرغم من توفر وسائل الخلاص المعدة ، وعند ذلك يترك المرء للفقدان التام الذى يتحمل هو مسئوليته ونتائجه ، كما حدث مع يهوذا الذى بيأس قتل نفسه . انظر :

1- Dam. mnym. 2, 30 M. 94, 968.
2- Orig. princip. 111, 1, 17.

تدبير الله ، بماله من العلم الكلى ، يقيد الشر ويحده :

إن الله ، مع أنه يحتمل الشر فى صبر وطول أناة ، إلا أنه لا يظل بلا مبالاة أو سلبيا إزاءه ، ولكنه ، إما أن يحده ويقيده ويحصره داخل الحدود التى تتطلبها خطة التدبير الإلهى ، وإما أن يوجه الشر ، بما له من علم كلى شامل ، حتى يكون فى خدمة الخير ، على الرغم من القصد السيء لدى فاعل الشر . وهكذا فإن الله يحتمل إبليس ويسمح له بالبقاء ، على أنه ينتج عن ذلك أمران : أولاً : يتعرض الشيطان للهزيمة وتنكسر شوكته ، ثانياً : الذين تعرضوا لتجارب الشيطان ، يتوجون بسبب انتصارهم وفوزهم عليه .

إن الله فى عدالته ، يقيد قوة الشيطان ويحد من سلطانه ، كما ظهر ذلك فى قصة شفاء مجنون كورة الجدريين ، فإن الشياطين لم تقدر أن تدخل فى الخنازير إلا بسماح من الله . يقول القديس مرقس : وطلب (أى لجئون) إليه كثيرا أن لا يرسلهم إلى خارج الكورة ، وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى ، فطلب إليه كل الشياطين قائلين أرسلنا إلى الخنازير لندخل فيها ، **فأذن** لهم يسوع للوقت (مر ٥:١٠—١٣) . وإذا كان

هذا قد جرى مع الحيوانات أو الكائنات غير العاقلة ، فكم بالحرى يجب أن يتم هذا بالنسبة للإنسان . انظر :

1- Cyril Jer. Catech. 8, 1, 2. M. 33, 628-629.
2- Chrys. Mat. hom. 28, 3, M. 57, 354.

ولولا أن عدالة الله تقيد من قوة الشيطان وتحد من سلطانه ، فإنه سيكون من الممكن للشياطين أن تجرب البشر وأن تعرضهم لخطر الخطيئة بما لا يمكن أن يُقاس وبما لا يمكن أن يقاومه البشر . لكن عدالة الله جعلت أن لا يجرب البشر فوق ما يحتملون ، وقيدت سلطان الشيطان فى علاقته مع البشر ، بحيث يتحرك الشر داخل حدود مضبوطة محصورة من قبل الله .

+ إن الله فيما يشير اكليمنضس الاسكندرى ، يوجه الشر والاستعدادات غير الصالحة من قبل الاشرار ، لصالح الذين يحبون الله ولخيرهم .

Clem. Alex. Strom. 1, 17 B. 7, 269.

ولدينا فى الكتاب المقدس أمثلة واضحة تبين كيف أن الله يوجه الكراهية والحقد إلى الخير والصلاح ، كما حدث مع يوسف ، فإن كراهية أخوته له هى التى أوصلت يوسف إلى هذا المركز العظيم الذى صار له فى مصر ، على نحو ما أشرنا سابقا . وكذلك فإن كراهية اليهود للرسول بولس والتى قادته مقيدا إلى روما ، صارت لخير الإنجيل ولصالح الكرازة ، كما يعبر الرسول نفسه عن ذلك فى رسالته إلى فيلبى حيث يقول « ***ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أمورى قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل ، حتى إن وثقى صارت ظاهرة فى المسيح فى كل دار الولاية وفى باق الأماكن أجمع . وأكثر الإخوة وهم واثقون فى الرب بوثقى يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف . أما قوم فعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح وأما قوم فعن مسرة . فهؤلاء عن تحزب ينادون بالمسيح لا عن إخلاص ، ظانين أنهم يضيفون إلى وثقى ضيقا . وأولئك عن محبة عالمين أنى موضوع لحماية الإنجيل . فماذا ، غير أنه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق ينادى بالمسيح ، وبهذا أنا أفرح ، بل سأفرح أيضا*** » (فى ١:١٢ــ١٨) .

ويقول أيضا الرسول ، فى رسالته إلى رومية « ***ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله*** » (رو ٢٨:٨) .

Cyril. Jer. Catech. 8, 2, M. 33, 629.

+ على أن الأمر لا يتم فقط جزئيا ، بالنسبة للذين يحبون الله ، ولكن بصفة أعم ، فإن خطة الخلاص الإلهية التى دبرها الله سابقا منذ الأزل ، تخدم وتتحقق ليس فقط من خلال الوسائل التى وضعها الله لذلك ، بل أيضا من خلال الوسائل التى يستخدمها الشيطان وأتباعه للعبث بهذه الخطة . وهكذا بالآلام التى تحملها السيد المسيح على الصليب من الشيطان وأتباعه ، صار الخلاص للبشرية جمعاء .

بلا شك كانت دوافع الذين قادوا المسيح إلى الصليب ، دوافع شريرة خبيثة ، بهدف القضاء على المسيح والتخلص منه ، على أن الله استخدم الوسائل الشريرة لتحقيق خطة الخلاص الأزلية ، كما يعبر عن ذلك القديس لوقا فى سفر الأعمال ، حيث يقول « **لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته ، هيرودوس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب إسرائيل ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون** » (أع ٤:٢٧،٢٨) . انظر :

Dam. mnym. 2, 30 M. 94, 965.

على أننا يجب أن نلاحظ هنا ، أن عبارة « ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك » لا تعنى أن الله قد سبق وعين وسائل الشر لهؤلاء الناس ، لأن الله دائما يكره الشر ولا يمكن أن يوافق عليه ، ولذلك فلا يمكن أن يعينه سابقا لكى ينجزه البشر . على أن الله بسابق معرفته للأشرار ، وما سوف يقترفونه (لأن كل الأمور المستقبلة مكشوفة فى حاضر أمامه) فإنه يستخدم الوسائل الشريرة لكى يحقق الخير « الذى سبق وعينت يده ومشورته أن يكون » . فما صدر عن الذين صلبوا المسيح من تصرفات ، وضع بواسطة التدبير الإلهى داخل حدود ، بحيث يكون كفيلا لخدمة مشورة الله لخلاص العالم . أو بكلمات أخرى ، فإن الله قد سبق وحدد اتساع أحداث الصليب ومداها ، وكذلك حدد اتجاهها لخدمة الخير .

+ هذا الإنتصار للخير على الشر ، يتم بتدخل الله ، دون أن يتحول الإنسان لمجرد آلة صماء ، بل يحتفظ باختياره الحر . نعم إن حرية البشر ، تُحد وتُحصر وتُقيد ، بمعنى أنها ليست حرية طليقة أو حرية مطلقة ، ولكن من ناحية أخرى فإن الإنسان يفعل ما يفعل وهو يعبر عن حريته بوضوح وبملء . وفى كلمات أخرى ، يمكن أن نتصور وحشا فى قفص يعجز عن أن يفعل أى شيء خارج القفص ، فلا يقدر مثلا أن يمارس عمله الوحشى مع فريسة توجد خارج القفص ، إلا أنه يستطيع أن يفعل ذلك وينقض على

فريسته إذا وجدت داخل القفص . وهكذا الأمر بالنسبة لتقييد الشر بواسطة التدبير الإلهى . فالتدبير الإلهى يكون أشبه بالقفص الذى يحصر الشر ويحده ويقيده بحيث لا يتحرك إلا داخل حدود معينة لا يتعداها ولا يخرج عنها ولا يمتد إلى ما ورائها . فالقصد الشرير وما يستخدمه من وسائل لتحقيق مآربه ، يتم فى حرية ، فيمارس الشرير شره فى ملء الاختيار الحر . ولكن من ناحية أخرى ، فإن هذا القصد الشرير وكذلك هذه الوسائل التى يستخدمها فى تنفيذ مآربه ، تتحرك جميعها داخل حدود ، معينة سابقا ، من قبل التدبير الإلهى . ومن البين هنا أن النتيجة الخيرة التى حققتها الحكمة الإلهية بتحويلها نتائج الفعل الشرير لخدمة خطة الخلاص الإلهى ، فإنها لا تلغى أو ترفع مسئولية الإنسان الشرير فى فعل الشر ومخالفته للوصية الإلهية . ذلك لأن قصد هؤلاء الأشرار يظل شريرا ، أما العاقبة أو النتيجة الخيرة التى تبعت أفعالهم الشريرة ، فهى من عمل تدبير الله كلى المعرفة والعلم . ولذلك فإذا كانت مشورة يهوذا الخائن وقبلته الغاشة للمسيح ، قد ساهمت بطريق سلبى فى تحقيق خطة الخلاص الإلهى ، فإن هذا لن يبرر يهوذا ولن يغفر له فعلته النكراء . قال السيد المسيح « ***وابن الإنسان ماض ، كما هو محتوم ، ولكن ويل لذلك الإنسان الذى يسلمه*** » (لو ٢٢:٢٢) . انظر أيضا (مر ٢١:١٤) .

الشر الطبيعى وتفسير المشكلات المرتبطة به :

+ هناك صعوبات ترتبط بالشر الطبيعى ، ويصعب حلها إلا بالإيمان . وهكذا يقول الرسول بولس « ***ياالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الإستقصاء . لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا ، أو من سبق فأعطاه فيكافأ*** » (رو ١١ :٣٣ــ٣٥) .

ومالم يدرك الإنسان أمور العالم وما يحدث فيه من شرور ، من خلال الإيمان بالله ، فإنه ربما يقوده هذا إلى نوع من التشاؤم المتطرف ليتساءل مستنكرا مع شوبنهور ، ما إذا كان هذا العالم هو من عمل الله ، أو هو بالحرى من عمل الشيطان ؟

لكن فى ضوء الإيمان ، نقرأ عن شرور العالم كمواد لإعدادنا للحياة السماوية المجيدة (انظر : رو ٨ :١٨ــ٣٩ ، عب ١٢ :٤ــ١١ ، يع ١ :٢ــ٤ ، رو ٧ :٩ــ١٧) .

+ وأما بالنسبة لطول حياة الإنسان وما يتبعها من ساعة الموت ، فيجب علينا ألا ننسى أن هذا قد حدد سابقا من الله الذى قيل عنه « ***إذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل***

شيء » (أع ١٧:٢٥) . « **الذى بيده نسمتك وله كل طرقك** » (دا ٥:٢٣) . وقد أضاف الله إلى أيام حزقيا بعد أن مرض للموت ، خمس عشرة سنة (إش ٣٨:٥) . وعلى ذلك فلا أحد يموت قبل الوقت الذى عينه له الله . أما الذين يموتون بسبب عدم التبصر الشخصى أو بسبب حياتهم المختلة غير المنتظمة ، أو بسبب نهاية عنيفة يتعرضون لها كموت مفاجىء ، أو أن يضعواهم نهاية لحياتهم ، مثل هؤلاء الذين يقبلون على الانتحار ، فإن كل هذا يتم بسماح من الله ، ولكن ليس فى جهل منه أو بعيدا عن الاهتمام والعناية بالإنسان الذى تعرض للموت .

على أن هناك أسرارا كثيرة مرتبطة بحياة الإنسان يصعب على المرء أن يدركها إلا إذا استنار العقل بالإيمان . فمثلاً : كيف ولماذا يموت الكثيرون صغار السن وهم فى مرحلة الطفولة ، بينما يترك الآخرون ، لكى يعيشوا عمراً طويلاً فى حياة مليئة بالشر والإثم والإجرام ؟ لماذا لم يمت هؤلاء الأشرار وهم بعد فى سن الطفولة ، بدل أن يعيشوا ويقعوا تحت العقاب نتيجة سوء تصرفهم ومسلكهم ؟ .

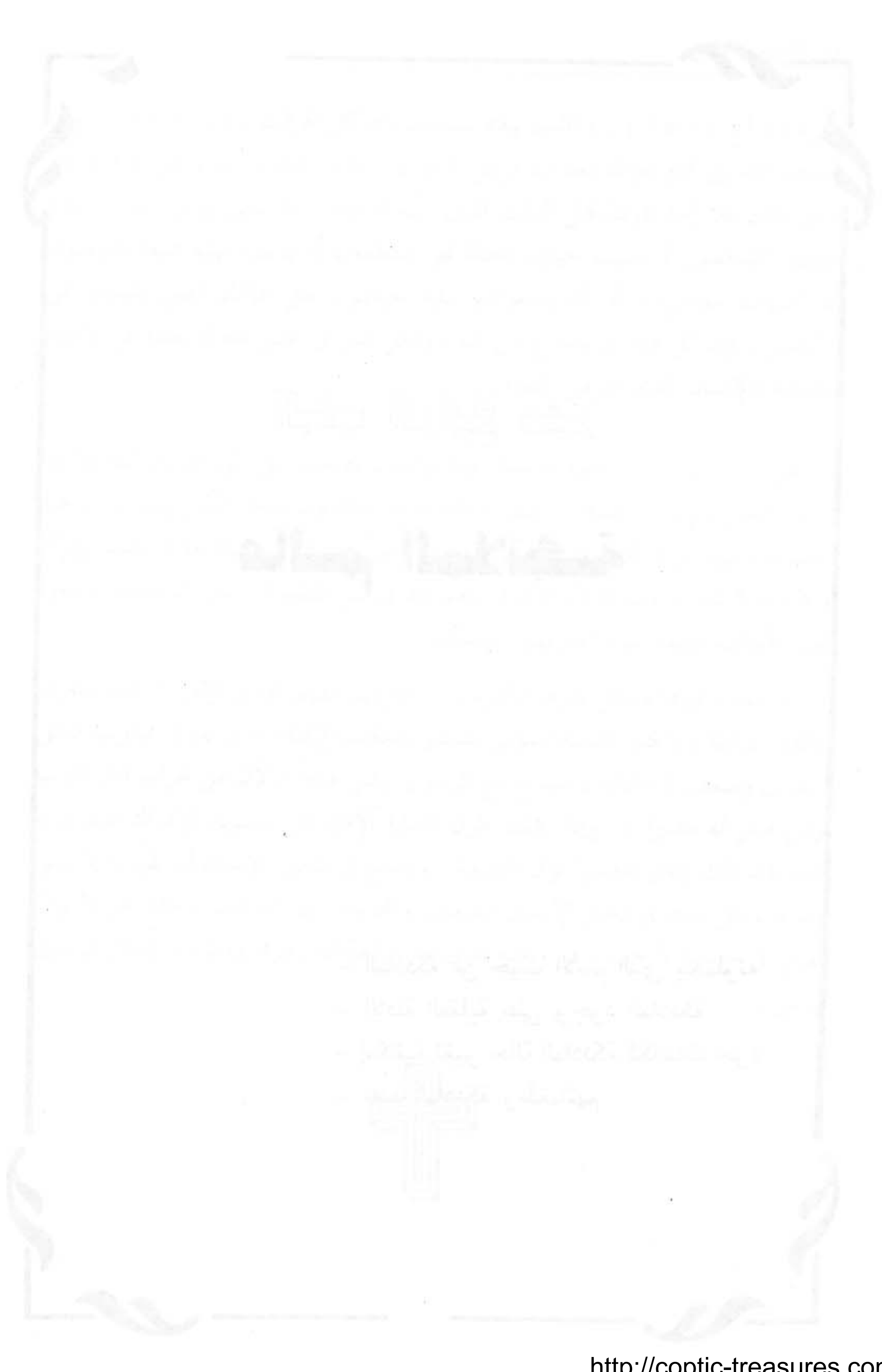
+ هذه وغيرها مسائل يثيرها الكثيرون فى محاولتهم لتفهم التدبير الإلهى المرتبط بالمعرفة الكلية الشاملة ، ولكنها بالنسبة للمؤمن المستنير بالحكمة الإلهية والذى يدرك محدودية العقل البشرى وضعف إمكانياته ، يصرخ مع الرسول بولس قائلاً « **لأن من عرف فكر الرب ومن صار له مشيرا** » . وإذا كانت طرق العناية الإلهية على مستوى الإدراك البشرى ، فإنها عند ذلك تفقد خاصيتها فوق الطبيعية ، ويصبح فى مقدور الإنسان أن يقيسها بمقاييس بشرية ، على مستوى العقل الإنسانى الضعيف والمحدود . إن الله فقط ، طالما نحن لا نزال نعيش فى خيمتنا الأرضية ، هو وحده الذى يدرك أحكامه وطرقه وفكره ، كما قال الرسول بولس .





عالم الملائكة

- الملائكة من حيث الأسم الذى يحملونه
- الادلة العقلية على وجود الملائكة
- إمكانية تغير حالة الملائكة ككائنات حرة
- عدد الملائكة وطغماتهم



مقدمة عامة

يأخذ الملاك اسمه من طبيعة العمل المكلف به من قبل الله وكمنفذ للإرادة الإلهية . فالملاك هو : رسول ــ معلن ــ منبىء . والملائكة هم الكائنات الروحية التى تمثل خليقة الله الروحية غير المنظورة . وقد خلق الملائكة قبل خلقة الإنسان وقبل خلقة هذا العالم وقبل الكواكب ، كما يستدل على ذلك من مواضع مختلفة من الكتاب المقدس وكذلك من التقليد الذى يسود فى الكنيسة منذ البداية . وهناك من أنكر وجود الملائكة مثل الصدوقيين والقائلين بوحدة الوجود . والملائكة يؤلفون جنسا خاصا ولا يتناسلون بعضهم من بعض على نحو ما يتناسل البشر . وبالنسبة لمكان إقامتهم فهو غير محسوس وغير مادى ، بل هو عقلى ، حيث أن الكائنات التى تقطنه هى كائنات روحية . ومع ان للملائكة أجسادا أثيرية ، فهم لا يكفون عن أن يكونوا كائنات روحية غير قابلة للتغير وغير قابلة للفساد أو الموت . وهم من حيث أنهم يتمتعون بالإرادة الحرة ، فلهم الحرية فى أن يتقدموا فى الخير أو يفقدوا حالة القداسة التى يتمتعون بها منذ خلقتهم ، فلقد اقتنوا التقديس بنعمة الروح القدس الحالة فيهم أى أن القداسة مودعة فيهم ولكنهم ليسوا فيها كاملين . ويتناول الآباء بحرص ما إذا كان الملائكة فى تقدمهم ونموهم فى القداسة ينتقلون من رتبة إلى أخرى . ويتميز الملائكة بالقوة وهم على درجة من المعرفة أعظم مما لدى الإنسان ، ومع ذلك فهم يتحركون داخل حدود معينة كما يبدو من أنهم كانوا يجهلون التدبير الإلهى للخلاص قبل التجسد ، وقد عرفوه بعد التجسد من الكنيسة . ويجهل الملائكة الأمور الخاصة بالمستقبل كما يجهلون الأمور المخبوءة فى قلوب البشر . وعدد الملائكة كبير بدرجة فائقة ، وهم ينتظمون فى طغمات . ولا يوجد اتفاق عام حول عدد هذه الطغمات . وتتدرج هذه الطغمات بين رتب أعلى ورتب أقل . أما بالنسبة لأعمال الملائكة ، فأسمى أنواع العمل هو ما يقومون به من تسبيح وتمجيد لله فتتحقق لهم حياة نامية ومغبوطة ويتقدمون فى المعرفة ويتمتعون بعظمة الله . وكذلك للملائكة أعمال جليلة تتصل بالبشر تدخل ضمن التدبير الإلهى . ولكل إنسان ملاكه الحارس ، كما أنهم يحرسون الأمم والكنائس والمدن .

١ ـ الملائكة من حيث الاسم الذى يحملونه

كلمة « ملاك » تعبر عن معنى أعم ، حيث أنها تعنى حامل لرسالة ما أو المرسل ليحمل وصية أو رسالة ما . واستخدمت فيما بعد لتشير أيضا إلى نوع من التنظيم فى العالم السماوى لقوات روحية غير جسدية مغبوطة . هذه القوات ترسل من الله إلى البشر لتعلن مشيئته الإلهية أو لكى تخدم إرادة الله فى تدبير الخلاص للإنسان . وعلى ذلك فإن التسمية لا تتصل بطبيعتهم وتكوينهم ولكن بعملهم تجاه البشر ، من حيث أنهم موفدون من الله لتبليغ إرادته ومشيئته لهم . انظر :

1- Orig: against Cels. V, 4, B. 10, 13.
2- Chrys: akatalyp. 3, 5, M. 48, 724.

ولم يعد إذن غريبا ، أو أمرا يصعب فهمه ، أن تعطى هذه التسمية أيضا للأنبياء ، من حيث أنهم مرسلون من قبل الله . كذلك يلقب بها الأساقفة والكهنة من حيث أنهم مطالبون أن يعلنوا مشيئة الله للشعب . وقبل كل شيء ، فقد سمى المسيا « بملاك العهد » ، كما سمى يوحنا المعمدان « الملاك » (ملا ٢:٧ ، ١:٣ ، مت ١١:١٠ ، مر ١:٢) . وجاء فى حجى « ***فقال حجى : ملاك الرب برسالة الرب لجميع الشعب ، قائلاً أنا معكم يقول الرب*** » (حسب الترجمة السبعينية) (حجى ١٣:١) كذلك انظر فى الترجمة السبعينية (إش ٥:٩) حيث أرتبطت بالحديث عن السيد المسيح . واستعملت فى سفر الرؤيا عن أساقفة الكنائس (رؤ ٢٠:١، ١:٢، ٨،١٢،١٨، ١:٣،٧،١٤) .

+ أما أن هذه التسمية ، تشير على الأخص إلى هذه الكائنات الروحية غير المنظورة والتى تؤلف هذا العالم الروحانى السماوى ، فهو أمر يشهد به الكتاب المقدس فى صفحاته الأولى ، فنقرأ فى الأصحاح الثالث من سفر التكوين ، أنه بعد سقوط الإنسان وضع الله شرقى جنة عدن الكروبيم لحراسة طريق شجرة الحياة ، و« ملاك الرب » تكلم إلى هاجر ، وملاك انقذ لوط ، وملاك نادى إبراهيم حتى لا يمد يده إلى إسحق ، ورأى يعقوب حلما وإذا ملائكة الرب صاعدة ونازلة على سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء ، إلى غير هذا من ظهورات كثيرة من الملائكة إلى رجال الله (انظر : تك ٢٤:٣، ١٦:٧،١١ ، ص ١٩ ، ص ٢٢ ، ص ١٢:٢٨ ، زك ٩:١ ، ٤:٦ــ٨) .

وفى بعض الأحيان يشار إلى الملائكة بأسمائهم ، فقد أشير إلى رافائيل (طوبيت ١٥:١٢) وميخائيل (دا ١٠:١٣،٢١، ١٢:١، يه ٩، رؤ ١٢ ٧:١٢) وجبرائيل (دا ١٦:٨، ٢١:٩، لو ١٩:١) ولا يستلزم الأمر أن نحصر المواضع المختلفة فى الكتاب المقدس التى تشير إلى هذه الطغمات الملائكية . وكما فى العهد القديم كذلك فى العهد الجديد ، يشار إلى ظهورات كثيرة للملائكة (انظر : مت ٢٠:١، لو ٢٦:١، ٩:٢،١٣، أع ٧:١٢ــ١١، ٢٣:٢٧، ١٣:١٠ وما بعده) .

شهادة التقليد عن وجود الملائكة :

إن آباء الكنيسة وكتابها الكنسيين ، جميعهم بصوت واحد ، يشهدون بوجود الملائكة ككائنات روحية خلقها الله . انظر :

1- Ignat: Smyrn. 6, Tral. 5, 2. B. 2, 281 + 272.
2- Herm: Oras. 3, 4, Parab. 8, 3, entol. 6, 2, 1, B. 3, 44, 81, 58.
3- Just: 1. Apol. 6, 2, B. 3, 164.
4- Athyn: Pres. 10, B. 4, 288.
5- Tat: Hell. 7, B. 4, 246.
6- Theoph: 2 Autol. 22, B. 5, 40.
7- Tert: Apol. 22, m. 1, 465.
: De Carne Christ 6 m. 2, 810.
8- Iren. mnym. 2, 30, 6, M. 7, 818.

وكذلك غير هؤلاء : اكليمنضس وأوريجينوس وديونيسيوس الاريوباغى وباسيليوس الكبير وكيرلس الأورشليمى ويوحنا ذهبى الفم وأوغسطينوس ، وسوف نشير إليهم فيما بعد .

الذين ينكرون وجود الملائكة :

أنكر الصدوقيون ــ فيما مضى ــ وجود الملائكة ، وكما يشير سفر الأعمال « ***لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح*** » (أع ٨:٢٣) . وينكر وجود الملائكة أيضا أصحاب الفكر المادى الذين ينكرون وجود أى عالم آخر غير هذا العالم المرئى الذى يقع تحت طائلة الحواس . كذلك ينكر وجود الملائكة أصحاب مذهب وحدة الوجود الذين يوحدون بين الله والعالم ، هذا بالإضافة إلى اصحاب مذهب التأليه الطبيعى ، فهؤلاء على الرغم من إيمانهم بالله ، لكنهم ينكرون تدخل الله فى العالم وبالتالى فلا تكون هناك شركة بين الله وبين عالم روحانى أو أى تأثير عليه .

٢ ـ الادلة العقلية على وجود الملائكة

إن الإيمان بعالم روحانى لا يتناقض مع منطق العقل ، بل على العكس يبدو أمرا معقولا ومقبولا . فالتقدم التدريجى الذى نلاحظه فى سلم المخلوقات يجعلنا نتقبل الاعتقاد بأنه على نحو ما توجد درجات من المخلوقات تتدرج مما هو أعلى إلى ما هو أقل وأدنى تربط بين الإنسان وبين المادة الميتة غير الحية ، هكذا يكون من المعقول تقبل وجود كائنات أعلى من الإنسان ، سواء بالنسبة للعلاقة بين الإنسان وبين كيانه الروحى ، أو بالنسبة للعلاقة بين الإنسان وبين الله . ويقول الأسقف ايسيذوروس :

يستدل على وجوده (أى العالم الروحى) بأن لابد من وجود معلول قريب المماثلة والمشابهة لعلته . والحال أن مملكة الإنسان بعيدة المماثلة للذات الواجبة الوجود (أى الله) لتركبها من مادة ونفس . ومملكة الحيوان أكثر بعدا للمشابهة مع الخالق لاحتوائها على المادة الحساسة فقط . وكذلك القول فى مملكة النبات والجماد ، لاقتصار الأولى على القوة النامية فقط ، والثانية على المادة والصورة فقط . فإذن لابد من وجود مملكة أخرى تكون أكثر مناسبة واتصالا بالعلة الأولى ، تكون مجردة عن المادة بحتا . وهذه المملكة هى العالم المومأ إليه الروحى البحث (المطالب النظرية ص ٣٢٣ ــ ٣٢٤) .

تعاليم الكتاب المقدس والتقليد عن كيفية ، وزمن خلقة الملائكة :

+ بالنسبة لبدء وأصل الملائكة ، يشهد سفر الخروج بطريق غير مباشر ، عن خلقتهم بواسطة الله ، حيث يقال « ***لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها*** » (خر ٢٠ : ١١) (وانظر أيضا تك ١ : ١) حيث يقول « ***فى البدء خلق الله السماوات والأرض*** » . وفى تلميحات أكثر وضوحا نقرأ عن ذلك فى سفر نحميا حيث يقول « ***أنت هو الرب وحدك . أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها والأرض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها ، وأنت تحييها كلها وجند السماء لك يسجد*** » (نح ٩ : ٦) . وفى أسلوب واضح مباشر يشار إلى خلقة الملائكة فى الرسالة إلى كولوسى حيث يقول الرسول بولس « ***فإن فيه خلق الكل ما فى السماوات وما على الأرض ، ما يرى ومالا يرى ، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين . الكل به وله قد خلق*** » (كو ١ : ١٦) .

وهذا الاعتقاد فى خلقة الله للملائكة ، نقر به فى قانون الإيمان ، حيث نقول عن الله أنه خلق « ما يرى ومالا يرى » .

وقد أكد هذه الحقيقة الآباء والكتاب الكنسيون . انظر :

1- Athynag. Pres. 24 B. 4, 301.
2- Tat. Hell. 7 B. 4, 246.
3- M. Basil. Psalm. 32, 4, M. 29, 333.
4- Clem. Alex. Protrep. 4, 63, B. 7, 49.
5- Chrys. Stag. 1, 2, M. 47, 427.

+ وبالنسبة للكيفية التى خلق بها الملائكة ، فالكتاب المقدس يصمت عن ذلك . ويقول القديس باسيليوس الكبير وهو يتحدث عن خلقة الملائكة « حتى ولو كان الصمت يهيمن على الطريقة التى خلقت بها القوات السماوية ، وأن الذى صور لنا تكوين العالم لم يوضح لنا الخالق إلا من حيث علاقته بالمحسوسات ، فأنت الذى لديك قوة استنتاج لتبلغ بها من المنظورات إلى غير المنظورات ، مجد الصانع الذى خلق به كل شيء ، ما يرى ومالا يرى . أأصحاب رئاسة كانوا أم سلطة أم قوة أم عرش أم سيادة ، وكل الطبائع العقلانية الأخرى إن وجدت بدون أسماء ، ثم ضع فى فكرك أن فى خلقها ، السبب الرئيسى لوجودها وهو الآب ، والسبب الصانع وهو الإبن ، والسبب المكمل وهو الروح ، حتى أنه بإرادة الآب توجد الأرواح الخادمة ، وبفعل الابن تنتقل إلى الوجود وبحضور الروح تكمل ، فتكميل الملائكة تقديسهم وبقاؤهم فيه » (الروح القدس ١٦:٣٨ — ص ٦٢ ، ٦٣ — ترجمة الارشمندريت أدريانوس) ، « فالقوات الفائقة العالم النقية والعقلانية هى قديسة وتدعى كذلك لأنها أقتنت التقديس بالنعمة الحالة فيها من لدن الروح القدس » — المرجع السابق ص ٦٢ .

ولعل الكتاب المقدس صمت عن الحديث عن الكيفية التى خلق بها الملائكة ، خوفا من أن يتعبد اليهود للملائكة أو يؤلهوها . انظر :

1- Chrys: gen. hom. 2, 2, M. 53, 29.
: psalm. 8, 6, M. 55, 115.
2- Orig: princip. 10.
3- Theod: gen. 2. M. 80, 80.

+ كذلك يمكن القول أنه جرت تساؤلات حول الكيفية التى خلق بها الملائكة وحول طبيعة الاختلاف بين الملائكة ، وهل هو اختلاف فى الطبيعة أم فى العمل والخدمة ، وهل ينتقل الملائكة من رتبة إلى أخرى أم يظل الملاك فى رتبته التى خلق عليها ، وفى النهاية نقول : أليست هذه الأمور مما يصعب علينا أدراكها ولا يعرفها إلا الله خالق الملائكة ؟

حول هذه التساؤلات ، انظر :

1- Greg. Nys. Katask. Anthrop. 17 M. 44, 189.
2- Athanas. Arian. 2, 19 M. 26, 188.
3- Orig. Princip. 1, 8, 4.
4- Method. Olym. Epiph. Her. 64, 33. M. 41, 1124.
5- Dam. mnym. 2, 3, M. 94, 869.

ويكتب الايغومانس ميخائيل مينا حول هذا الموضوع ، فيقول :

« تنقسم الملائكة لا من حيث الطبيعة لأنهم فيها متساوون ، بل من حيث المقام والعمل إلى ثلاث طغمات أو رتب عليا ووسطى وسفلى أو أولى وثانية وثالثة » كما يقول « ***أن الملائكة ليسوا معرضين للزيادة والنقصان كالبشر ، لأنهم لا ينسلون ولا يموتون كما يستنتج من قول ربنا عن الصالحين فى الحياة العتيدة : أنهم لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء*** » (مت ٢٢:٣) ، ومن ثم ذكروا فى الكتاب المقدس بلفظ المذكر فقط ، ولم يرد ذكرهم مؤنثا مطلقا ، كما أنهم لا يشيخون البتة ولا يصيبهم فناء بل هم خالدون . غير أن خلودهم ليس ذاتيا بل هو ناتج عن مجرد إرادة الله فقط ، لأن الخلود الذاتى تفرد به الخالق وحده دون غيره » علم اللاهوت ـــ الجزء الثانى . ص ٨٢ ، ٨٣ .

+ وبالنسبة لزمن خلقة الملائكة ، فإن الدليل الكتابى ا لوحيد عن ذلك ، هو ما نجده فى سفر أيوب حيث يقول « ***أين كنت حين أسست الأرض . أخبر إن كان عندك فهم . من وضع قياسها . لأنك تعلم . أو من مد عليها مطمارا . على أى شىء قرت قواعدها أو من وضع حجر زاويتها . عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله*** » (أيوب ٣٨:٤ـــ٧) .

وأكثر الآباء يتفقون على أن خلقة الملائكة تمت قبل خلقة العالم المادى ، كما يقول بذلك القديس أغريغوريوس النزينزى .

Greg. Naz. Log. 38, 9 M. 36, 320.

بينما أن القديس أوغسطينوس وآخرين يقولون أن خلقة الملائكة صاحبت خلقة العالم المادى ، وبالتحديد تمت فى اليوم الأول عندما خلق النور . انظر :

August. De civit XI, 9 m. 41, 325.

وبالنسبة لآراء الآباء الآخرين ، انظر :

1- Greg. Nys. Catech. 6, M. 45, 28.
2- M. Basil. Hex. hom. 1, 5, M. 29, 13.
3- Dion. Areop: Theo. Onom. X, 3 M. 3, 940.
4- Orig. princip. 111, 5, 3 M. 11, 327.
5- Theod. gen. 3, M. 80, 82.

الملائكة ذوو طبيعة روحانية خالدة بلا أجساد كثيفة ، ولكنهم محدودون :

يؤكد كثير من الآباء ان الملائكة « فى مكان » . يقول القديس باسيليوس الكبير « إن جوهرها (أى القوات السماوية) ربما يكون ريحا هوائيا أو نارا لا مادية بحسب ما كتب « *الصانع ملائكته رياحا وخدامه لهيب نار* » (مز ١٠٤:٤) ، لذلك يكونون فى مكان ، ويصبحون مرئيين فيظهرون للمستحقين بشكل أجسامهم الخاصة » — الروح القدس ص ٦٤ .

ويقول أيضا ساويرس ابن المقفع « ليس أحد فى جميع الملائكة بسيطا على الأرض كلها ولا أحد يملأ جميع الأرض غير الإله وحده الذى يملأ جميع المواضع ولا يخلو منه موضع . وجميع الملائكة محدودون محصورون متنقلون من مكان إلى مكان ، إذا حضر أحدهم فى مكان خلى منه المكان الآخر » الدر الثمين ص ٢٤٦ .

ولكن من ناحية أخرى ، فإن كون الملائكة كائنات عاقلة فهى لا توصف وصفا جسديا . وبمعنى آخر : إن الملائكة ككائنات محدودة ، فإن كلا منهم يوجد فى مكان ما ولا يوجد فى مكان آخر ، ولكن مع ذلك فالملاك لا يوجد مرتبطا بمكان معين ولكنه ينتقل فى سهولة من مكان إلى آخر ، ولذلك فمن العبث البحث عن المكان الذى فيه خلق الملاك أو الذى يقيم فيه . والكتاب المقدس كثيرا ما يشير إلى السماء كمكان للملائكة ، ولكنه يقصد من هذا أن العالم كله مجال لتحرك الملائكة ، وليسوا مرتبطين بمكان ما مثل البشر الذين يرتبطون بالأرض .

(Androut. Dogma, Athens 1956, P. 124).

فالملائكة إذن لا يرتبطون بمكان مادى محسوس ، ولكننا كما قلنا سابقا ، لا يوجدون فى نفس الوقت فى كل مكان ، فهذا من خصائص الله . فعندما يكون الملاك فى السماء لا يكون فى نفس الوقت على الأرض ، وعندما يرسل من قبل الله إلى الأرض لا يكون فى نفس الوقت فى السماء . على أن الملاك كائن متحرك دائما ، والعالم كله تحت تصرفه بمعنى أنه يمكن أن ينتقل من مكان إلى آخر دون أن تعوقه حواجز . لا جدار يعوق ولا باب مغلق يمنع انتقاله وحركته ولا أى نوع آخر من أنواع الحواجز . انظر :

1- Ignat. Trall. 5, 2, B. 2, 272.
2- Dam. mnym. 2, 3, M. 94, 869.
3- Greg. Nys. Pros. Log. 4, M. 44, 1165.
4- Greg. Naz. Log. 28, 31, M. 36, 72.
5- Clem. Alex. Strom. 7, 2 B. 8, 246.
6- Cyril. Jer. Catech. 6, 2 M. 33, 541-543.
7- Chrys. akat. 5, 3, M. 48, 74.
8- Iren. Elen. 11, XXX6.

+ على أنه إذا صعب علينا التعرف بدقة على طبيعة الملائكة ، فإن لنا فى الكتاب المقدس ما يلقى الضوء على هذه الطبيعة ، كما يبدو من الآيات التالية :

يقول النبى داود فى مزاميره « ***الصانع ملائكته رياحا وخدامه نارا ملتهبة*** » (مز ١٠٤ : ٤) ويقول سليمان الحكيم « ***ضابطا لكل الأرواح العقلية النظيفة الحاذقة*** » (حكمة سليمان ٧ : ٢٣) . ويقول الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين « ***أليس جميعهم أرواحا خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص*** » (عب ١ : ١٤) .

وأما كون طبيعة الملائكة طبيعة روحية مجردة من مادية وكثافة الجسد الإنسانى ، فإن هذا يبدو من الإنجيل عندما يتكلم عن الملائكة الذين سقطوا من رتبتهم ، ويصفهم بأنهم « أرواح » (مت ٨ : ١٦ ، لو ٦ : ١٩ ، ١١ : ٢٤،٢٦) . ثم ان مصارعتنا مع هذه الأرواح توصف بأنها ليست مصارعة مع « دم ولحم » بل مع « اجناد الشر الروحية » (أف ٦ : ١٢) .

+ وهنا يجب أن نشير إلى أن الكثيرين من آباء الكنيسة وكتابها يتحدثون عن الملائكة بما لهم من طبيعة عقلية مجردة عن الأجساد ، أو كما يصفهم الكتاب « كلهيب نار » . انظر :

1- Greg. Naz. Log. 38, 10, M. 36, 321.

2- Greg. Nys: Pros. M. 44, 1165.
: Catech. 6, M. 45, 25.
3- Dam. mnym. 2, 3, M. 94, 865, 868.
4- Dion. Areop. Herarch. XV, 2 + 3 M. 3, 329.

على أن القول بأن الملائكة كائنات عاقلة مجردة عن الأجساد ، لا يتناقض مع القول بأن الملائكة لهم أجساد أثيرية غير قابلة للفساد كما يقول بعض الآباء . فإذا قورن الملائكة بالبشر قيل عنهم أنهم بلا أجساد ومجردون عن المادة ، أما إذا قورنوا بالله البسيط بساطة مطلقة ، وهو الروح المطلق بلا مادة ولا جسد ، فإنه فى هذه الحالة من المقارنة ، يقال عن الملائكة أن لهم أجساد . أنظر :

1- Dam. ibid.
2- Tertull: De Carne Christi 11,
: Apoll. 22 m. 1, 405.
: adv. Prax. 7, m. 2, 162.
3- Orig: princip. m. 11, 170.
: against Cels. VI, 71 B. 10, 115.
4- M. Basil: Holy Spirit XVI, 38, M. 32, 137.
: Epist. 8, 2 M. 32, 248, 249.
5- Greg. Naz. Log. 28, 31, M. 36, 72.

ويقول الايغومانس ميخائيل مينا « الملائكة هم أرواح أى جواهر روحية غير هيولية ، كما يصفهم الوحى الإلهى بقوله » الصانع ملائكته أرواحا وخدامه لهيب نار » أما قوله « أرواحا » فيراد به بيان طبيعتهم أنها روح غير هيولية أى مجردة من الأجسام الكثيفة ، وقوله « لهيب نار » عبارة عن استنارة عقولهم واضطرام محبتهم وشدة نشاطهم وهمتهم فى الخدمة » ... والملائكة إذا كانوا أرواحا إلا أنهم ليسوا مجردين من سائر الأجسام ولا من أخلاط المادة الكثيفة ، بل هم ذوو أجسام حقيقية ، غير أن أجسادهم هوائية لطيفة جداً لا نقدر أن نراها ، كالهواء الذى نستنشقه ، فإنه جسم ولكنه غير منظور بأعيننا . أما الأجساد التى كانوا يظهرون بها للناس ، فهى ليست حقيقية ولكنها أجسام مستعارة إلى حين ليتمكن المرسلون إليهم من رؤيتهم ومحادثتهم وليستأنسوا بهم ولا يخافوا منهم ، لأن الملائكة أرواح لا تدركهم الأبصار إلا بلبسهم صورا مرئية مماثلة لصورة البشر » — علم اللاهوت — المجلد الثانى — ص ٨٠ — ٨٢ .

وجاء فى كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ، عن طبيعة الملائكة ، ما يلى :

« ان الكتاب المقدس يخبرنا بوجود خلائق عقلية روحية اسمى شأنا من الإنسان تدعى غالبا ملائكة . وأما كلمة روح التى يوصفون بها فتتضمن معنى يدل على ماهيتهم كمجردين من الأجسام الكثيفة مثل أجسادنا ، لكنهم فعلة عاقلون غير منظورين ، لأن معنى روح أصلا فى العبرانى واليونانى كما فى العربى ريح أى هواء متحرك ... فالأرجح أن الملائكة لهم أجساما هوائية لطيفة جداً لا نقدر أن نراها كالهواء الذى نتنفسه فإنه جسم لكنه غير منظور بعيوننا . ولذلك لا ينبغى أن يحسب أمراً غير ممكن أن الخلائق العقلية السامية يكون لها أجسام روحية غير منظورة تعمل بها كما يعمل الإنسان بجسده الحيوانى الكثيف . وهذا يوافق اعتقاد قدماء اليهود بماهية الملائكة أنها هواء خالص أو لهيب نار وبالنتيجة أنهم ذوو أجساد لكنهم مجردون من أخلاط المادة الكثيفة . وبولس يشير جليا إلى الفرق بين الجسم الحيوانى والجسم الروحانى فى (١كو ١٥ :٤٠ــ٥٠) ... ويؤيد هذا قول مخلصنا له المجد عن ابناء القيامة أنهم يصيرون مثل الملائكة ، وبما أننا نعلم أن أبناء القيامة يكون لهم أجسام روحية نستنتج أن الملائكة هم أيضا كذلك .... وكما أن الملائكة فى القديم يظهرون أحياناً للبشر لابسين أجساداً بهيئة إنسانية كما يخبرنا الكتاب المقدس . ولكن لا يوجد نص عن هذه الأجساد أنها ليست حقيقية أو أنهم أتخذوها مؤقتا ثم تركوها . وكان اعتقاد القدماء أن مادة هذه الأجساد ليست كمادة الأجساد البشرية لأنهم كانوا قادرين أن يظهروا بها للبشرية ثم يختفوا بغتة عن عيونهم والأمر واضح أن هذا يدل على اعتقادهم بهذه الأجساد أنها كانت حقيقية لاوهمية غير أنها هوائية فقط لا مادة كثيفة ، فإن الرب يسوع بعد قيامته كان يظهر كثيراً لتلاميذه ثم يختفى بغتة عن عيونهم وهم لم يرتابوا فى أنهم نظروا ذات الجسد الذى صلب مع أنه كان قد حصل على تغيير جوهرى لابد شعروا به . ثم أن ظهور الملائكة دائما بهيئة إنسانية ليس هو برهانا قاطعا على أن هذه هى هيئتهم بالحقيقة ، غير أنه ربما يكون كذلك لأن الذى ليس هو روحا بسيطا بالمعنى الذى يقال عن الله لابد من أن يكون له صورة ما إما بشرية أو غيرها . ولكن بما أن مخلصنا الذى هو الروح الأسمى والأمجد قد لبس الصورة الإنسانية فى هذا العالم ولم يزل لابسا إياها فى حالة المجد ، يترجح أن كل الكائنات العقلية تكون مثله بهذا الاعتبار لأن ذلك يؤول إلى زيادة مجدهم . ولا ريب فى أن جسد المسيح هو الواسطة الأنسب والاتم للتعبير عن الكيفية التى بها يعمل الروح بواسطة جسم آلى » ص ٤٩٢ ــ ٤٩٣ .

+ ليس من الخطأ أن نرسم الملائكة فى صورة شبيهة بالإنسان ، فكثيرا ما كانوا يظهرون بهذه الصورة للذين أرسلوا إليهم ، ولكن مع هذا يظل اعتقادنا بان الملائكة كائنات عقلية بلا أجساد كثيفة ، ومن أجل هذا يؤكد القديس باسيليوس الكبير ، أن الملائكة لا يتعرضون إلى التغير على نحو ما تتعرض أجساد البشر. وليس بين الملائكة من هم فى سن الطفولة أو فى سن الشباب أو فى سن الشيخوخة ولكنهم يظلون فى نفس الحالة التى خلقوا عليها.

M. Basil. Psalm. 44, 1 M. 29, 388.

وإذا كان الملائكة يظهرون فى الكتاب المقدس ، فى شكل الرجال أو الشباب ، ويتكلمون بصوت الإنسان (لو ٢٤:٤،٥ + مر ٥:١٦ + مت ٢٨:٣،٥) ، فإنهم لا يظهرون للبشر كما هم فى حقيقتهم بل فى صورة محولة عما هم عليه ، لأنه كيف يمكن لنا أن نرى كائنات عقلية بدون أن تظهر لنا فى شكل محسوس . ويؤكد هذا ما جاء فى قول الملاك المرافق لطوبيا **« وجميع هذه الأيام كنتما تلمسانى وتنظرانى وما كنت آكل ولا أشرب ، ولكن كنتم تنظرون ذلك رؤية »** (طوبيت ١٢:٩) انظر :

1- Dam. mnym. 2, 3 M. 94, 869.
2- Chrys. gen. hom. 22, 2 M. 53, 188.

وكما يلاحظ القديس اكليمنضس الإسكندرى ، أن الملائكة لا يتكلمون ولا يتصلون بعضهم ببعض بنفس الأسلوب الذى يتصل به البشر ، فهم ليس لهم أذن ولا لسان ولا جهاز للصوت ولا شفاه ولا حلق (بلعوم) ولا رئة ولا صدر ولا تنفس . ليس للملائكة احتياج للسان للتكلم ولا للأذن للسمع ، بل هم ينقلون بعضهم لبعض نفس الأفكار والأحكام ، وليس للملائكة جنس فهم لا يتزوجون ولا يزوجون حسب قول السيد المسيح . انظر :

1- Clem. Alex. Strom. 6, 7 B. 8, 199.
2- Dam. ibid.
3- Chrys. gen. hom. 22, 2 M. 53, 188.

+ أما بالنسبة لغذاء الملائكة ، فقد تحدث آباء الكنيسة وكتابها عن « المن » كغذاء سماوى للملائكة ، وذهبوا إلى القول بأنه كما أن الحيوانات والبشر يأكلون ، هكذا يجب أن نتصور أن الملائكة أيضا يأكلون ، ولكن يجب أن نتنبه هنا إلى أن الملائكة ليسوا فى

حاجة إلى غذاء مادى بل غذاؤهم روحى فكرى وفى تسبيح الله والتمتع برؤيته ؛ فهم يتغذون ليس خوفا من التعرض للموت ولكن حتى لا يفقدون وضعهم كأرواح صالحة . فالملائكة الذين أكلوا ما قدمه لهم إبراهيم نشبههم بما نقوله عن النار من أنها ابتلعت كل شيء ، فليس للملائكة اسنان يمضغون بها الأكل أو فك يحركونه عند الأكل . انظر :

1- Clem: Paid. 1, 6 B. 7, 99.
: John. XIII, 33 B. 12, 143.
2- Orig. John. 4, 2 M. 73, 561.
3- Just. Dialog. 57 B. 3, 261.
4- Dam. mnym. 2, 3 M. 94, 872.

+ إن طبيعة الملائكة الروحية ، طبيعة خالدة ، وهذا ما أكده كلام السيد المسيح عندما قال « ***ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يُزَوَجُون ولا يُزوِجُوَن إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضا لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة*** » (لو ٢٠:٣٦) . وكذلك يبدو خلود الملائكة من الإشارة بأن النار المعدة للملائكة الساقطين ستكون ناراً أبدية . ولكن يجب أن نلاحظ هنا أن خلود الملائكة ليس بالطبيعة بل بالنعمة ، وكما يؤكد يوحنا الدمشقى أن الخلود بالطبيعة يخص الله وحده ، أما أى مخلوق من المخلوقات فله بداية وله نهاية . انظر :

1- Dam. mnym. 2, 3 + 12 M. 94, 868, 925.
2- Greg. Naz. Log. 28, 31 M. 36, 72.



٣ – إمكانية تغير حالة الملائكة ككائنات حرة

+ إن الملائكة ككائنات روحية ، فهى ممهورة أيضا بالحرية . وبموجب هذه الحرية يمكن للملائكة أن تستمر وتنمو فى الصلاح ، ولكنها أيضا يمكن أن تتغير إلى الأسوأ ، ذلك لأن الملائكة ليسوا قديسين بالطبيعة بل بفعل الروح القدس . يقول القديس باسيليوس الكبير « ويمكنك أن تتعلم من المخلوقات التى هى منذ البدء ، ما هى شركة الروح القدس مع الآب والابن . فالقوات الفائقة العالم النقية والعقلانية هى قديسة وتدعى كذلك لأنها اقتنت التقديس بالنعمة الحالة فيها من لدن الروح القدس » الروح القدس ص ٦٢ .

ويقول أيضا « فتكميل الملائكة تقديسهم وبقاؤهم فيه . وإنك الآن تفكر فى ثلاثة : الرب مصدر الأوامر ، والكلمة الخالق ، والروح المثبت . وما التثبيت ياترى سوى التكميل بالتقديس ، ومعنى التثبيت قائم بالتأكيد على عدم الارتخاء وعدم التغيير والتمسك بالصلاح ؟ فلا تقديس بدون الروح . وقوات السماوات ليست مقدسة بطبيعتها وإلا فلا فرق بينها وبين الروح القدس . ولكن نسبة تمييزها بعضها عن بعض هى على قدر التقديس الحاصل لها من لدن الروح القدس . ولما كان تقديسهم حاصلا لهم من خارج جوهرهم ، فهو يأتيهم بكماله بشركة الروح . وهم يحافظون على مقامهم فى ثباتهم فى الخير . ولأنهم يملكون التسلط على اختيارهم فلا يسقطون أبداً عن ثباتهم حقا فى الصلاح . وعلى افتراض أنك أزحت الروح ، فتنحل أجواق الملائكة وتنقلب زعامة رؤساء الملائكة ، ويراق كل شىء فتصبح حياتهم بلا شريعة ولا ترتيب ولا حدود . فكيف يمكن للملائكة أن يقولوا « المجد لله فى الأعالى » إلا بقوة الروح ؟ ولا يستطيع أحد أن يقول : يسوع رب إلا من الروح القدس . وما من أحد ، إذا تكلم بإلهام من روح الله ، يقول « ملعون يسوع » . وهذا نفسه ، على ما أظن ، قالته الأرواح الشريرة المعادية . وسقطتهم تثبت قولنا بأنهم قوات حرة لا ترى ، حاصلة فى حال التعادل بين الفضيلة والرذيلة ولذلك هى بحاجة إلى معونة الروح » المرجع السابق ص ٦٣ ــ ٦٥ .

ويضيف القديس باسيليوس فيقول « وإذا فكرت فى الخليقة ، فإن قوات السماوات قد ثبتها الروح . ويفهم هذا التثبيت ، بكل تأكيد ، عن عدم السقوط بعيدا عن الخيرات .

فالعيش مع الله وعدم الجنوح إلى الشر والبقاء فى السعادة ، هذا ما يمنحه الروح لهذه القوات » المرجع السابق ص ٨١ . وانظر أيضا :

1- M. Basil: against Eunom. 3, 2 M. 29, 660.
2- Dam. mnym. 2, 3, M. 94, 868.

+ على أننا إذا قلنا أن الملائكة تقدسوا بالروح القدس ، إلا أنهم لم يكونوا منذ البداية مكملين فى القداسة . إن الكمال فى القداسة بالروح القدس ، يتوقف أيضا على حسن استعمالهم للحرية . لم يخلق الملائكة وفى طبيعتهم نقص ما يميل بهم نحو الشر ، بل زودوا من قبل الله ببذور القداسة التى تصعب حركتهم نحو الشر ولكنها لا تبطلها نهائيا ، وهم قابلون للتقدم والكمال فى القداسة . انظر .

1- M. Basil: Psalm. 32, 4 M. 29, 333.
: against Eunom. 3, 2, M. 29, 660
: Holy Spirit 16, 38, M. 32, 137.

+ والدليل على أن هناك قبول للتقدم والكمال فى القداسة لدى الملا ئكة ، أنه لم تسقط طغمة أخرى من الملائكة فى الخطية ، وصاروا بفضل نعمة الروح القدس « لا يمكن أن ينخدعوا ويميلوا للشر مطلقا ، وذلك لشدة أدراكهم القداسة والصلاح إدراكا تاما ولاختبارهم الكلى ما وصلت إليه من التعاسة حالة الملائكة الآخرين الذين لم يثبتوا فى الصلاح بل اخطأوا وتعدوا رآستهم فسقطوا » (الايغومانس ميخائيل مينا — علم اللاهوت — المجلد الثانى — ص ١٠٤ — ١٠٥) .

ولقد سبق أن ذكرنا ما قاله القديس باسيليوس من أن الروح القدس هو الذى ثبت الملائكة وحفظهم من السقوط والجنوح إلى الشر (الروح القدس — ص ٨١) وانظر أيضا للقديس باسيليوس ، حيث يتحدث عن أن الله ليس علة للشر . (M. 31, 348) .

ويقول القديس اغناطيوس فى رسالته إلى سميرنا (ازمير) « إذا لم تؤمن الكائنات السماوية ومجد الملائكة والرئاسات المنظورة وغير المنظورة بدم يسوع المسيح فإنها ستدان أيضا » (ترجمة المطران الياس معوض ص ١٣٥) .

ومعنى هذه العبارة أنه حتى زمن تجسد المسيح وموته على الصليب ، لم يكن الملائكة قد اكتسبوا الثبات وعدم التحرك أو الجنوح نحو الشر . على أنه بفضل نعمة الروح القدس

قد اكتسبوا هذا الثبات فى الخير وصاروا الآن أى بعد التجسد لا يتحركون نهائيا نحو الشر . انظر :

1- Dam. mnym: 2, 31, M. 94, 977.
: 2, 3, M. 94, 872.
2- Cyril. Alex : M. 69, 549.
: M. 68, 625.

+ ولكن إذا كان الملائكة يتقدمون ويكملون فى القداسة ، فهل يؤدى هذا بهم إلى الانتقال من طغمة أقل فى الرتبة إلى طغمة أعلى منها ؟

هناك من الآباء من يقول بهذا الانتقال من درجة إلى درجة أعلى منها ، وهناك من يقول بأن التقدم فى القداسة يحدث دون أن تنتقل الملائكة من رتبة إلى أخرى بل يظل الملائكة كل فى طغمته التى خلق فيها . انظر :

1- Clem. Alex: proph. eklog. B. 8, 348.
2- Orig. princip. 1, 8, 4 M. 11, 179.
3- Dam. mnym. 2, 3, M. 94, 872.
4- Maxim. Comment M. 4, 93.

التميز فوق الطبيعى للملائكة فى القوة وفى المعرفة :

+ الملائكة ككائنات أكثر تفوقا وتميزا بين الكائنات العاقلة ، تسمو وتتفوق عن البشر فيما تتصف به من قوة بدرجة تدخلها فى دائرة ما هو فوق الطبيعى . والملائكة بلا شك ليس لهم قوة على الخلق ، ذلك لأن فعل الخلق يتطلب عاملين أساسيين يختص بهما الله وحده ، وهما :

١ ــ ان الله الخالق واجب الوجود ، ولم يكتسب وجوده من أى عامل خارجى .

٢ ــ ان الله بماله من كامل القدرة هو وحده الذى يستطيع أن يهب الوجود لما هو ليس بموجود ، أو الذى يخرج الوجود من العدم .

وهذان العاملان لا يختصان بالملائكة . انظر :

1- Dam. mnym. 2, 3 M. 94, 873.
2- Cyril. Alex. Thys. Log. 17 M. 75, 305.

ويشير الكتاب المقدس إلى ما يتصف به الملائكة من قوة عظيمة ، كما يبدو من الأمثلة التالية :

« **باركوا الرب ياملائكته المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه** » (مز ١٠٣ : ٢٠) .

« **حيث ملائكة وهم أعظم قوة وقدرة ....** » (٢بط ٢ : ١١) .

« **وكان فى تلك الليلة أن ملاك الرب خرج وضرب من جيش أشور مائة ألف وخمسة وثمانين ألفا . ولما بكروا صباحا إذا هم جميعا جثث ميته** » (٢مل ١٩ : ٣٥) .

« **ولكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم** » (أع ٥ : ١٩) .

« **وإذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء فى البيت ، فضرب جنب بطرس وايقظه قائلاً قم عاجلاً . فسقطت السلسلتان من يده** » (أع ١٢ : ١٧) .

انظر :

1- M. Basil: Psalm. 33, 5, M. 29, 364.
2- Greg. Naz. Log. 28, 31, M. 36, 72.

كذلك انظر نظرية القديس أوغسطينوس فى المعرفة بالنسبة للملائكة ، حيث يتحدث عن نوعين من المعرفة : معرفة تكتسب برؤية المخلوقات فى الخالق والأخرى تكتسب بالملاحظة المباشرة للمخلوقات .

August: De Genes. ad Lit. IV, 41, 50 m. 34, 313, 317.
: De Civit. Dei X 29 m. 41, 343.

+ أما بالنسبة لاتساع المعرفة وعمقها ، فيبدو من كلام السيد المسيح عن المجىء الثانى أن للملائكة معرفة أعلى درجة من البشر ، حيث يوضعون من ناحية فى مقابل كل من فى العالم ، ويوضعون من ناحية أخرى مباشرة قبل المسيح « **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب** » (مر ١٣ : ٣٢) . على أن معرفة الملائكة معرفة محدودة بما يناسب طبيعتهم المحدودة ، وهناك أمور كثيرة تتصل بالله يجهلونها . والآباء يجمعون على أن الله لا يُفهم فهما كاملا من الملائكة بمختلف طغماتهم : الشاروبيم والساروفيم والرؤساء والسلاطين وغيرهم . وإذا كانوا يرون الله فليس معنى هذا أنهم يدركونه إدراكاً تاماً ، ولكن فقط حسب إمكانياتهم ومحدوديتهم . انظر :

1- Chrys: akatalyp. 3, 6 + 4, 2 M. 48, 725, 729.
: John. hom. 15, 1-2 M. 59, 98.
2- Cyril Jer. Catech. 6,6 + 11, 11 M. 33, 545 + 704-705.

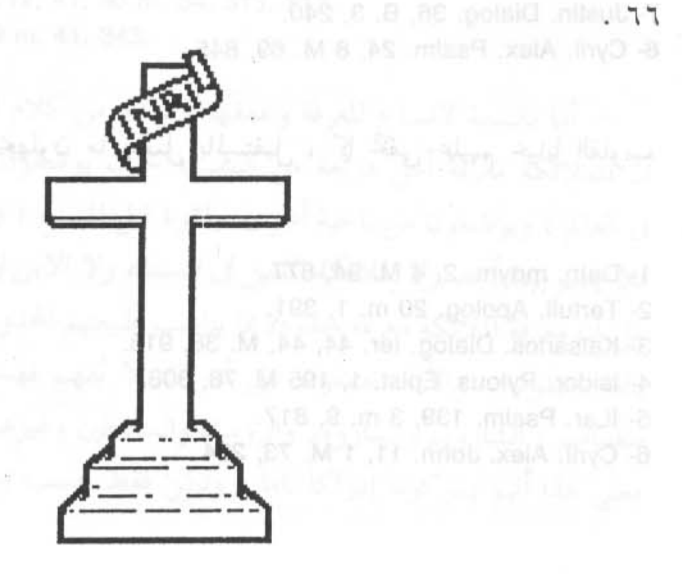
+ ومما يدل على أن معرفة الملائكة معرفة محدودة ، أنهم كانوا يجهلون ما يتصل بخطة التدبير الإلهى للخلاص بواسطة المسيح يسوع . وهذا ما يشهد به الرسولان بطرس وبولس . يقول الرسول بولس « **وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح ، لكى يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة ، حسب قصد الدهور الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا** » (أف ٣:٩، ١٠، ١١) . وقال الرسول بطرس « **الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التى اخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم فى الروح القدس المرسل من السماء التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها** » (١بط ١:٢) . وانظر :

1- Chrys: Eph. hom. 7, 1 M. 62, 50.
: akatalyp. 4, 2 M. 48, 729, 730.
2- Greg. Nys: Song of Solom. hom. VIII, M. 44, 948.
: Analyps. M. 46, 693.
3- Ambros: De fide IV m. 16, 619.
4- Jerome: In Isai 17 m. 24, 610.
5- Cyril Jer. Catech. 14, 24, M. 33, 857.
6- Theod. Psalm. 23, M. 80, 1033.
7- Justin. Dialog. 36, B. 3, 240.
8- Cyril. Alex. Psalm. 24, 8 M. 69, 845.

+ كذلك فإن الملائكة يجهلون ما يتصل بالمستقبل ، كما تخفى عليهم خبايا القلوب البشرية . انظر :

1- Dam. mnym. 2, 4 M. 94, 877.
2- Tertull. Apolog. 20 m. 1, 391.
3- Kaisarios. Dialog. Ier. 44, 44, M. 38, 913.
4- Isidor. Pylous. Epist. 1, 195 M. 78, 308.
5- ILar. Psalm. 139, 3 m. 9, 817.
6- Cyril. Alex. John. 11, 1 M. 73, 224.

+ أما ما لدى الملائكة من معرفة ، فقد أخذوه ــ فيما يقول القديس باسيليوس الكبير ــ من الروح القدس . يقول « إن جبرائيل الذى سبق وتكلم عن المستقبل ، لم يقل شيئا سوى ما سبق وعرفه من الروح . لذلك النبوءة من المواهب التى يوزعها الروح . والذى أرسل مأمورا إلى رجل الشهوات (دانيال) يبلغه أسرار الرؤية ، من أين له الحكمة لتعليم الخفايا لو لم يكن ذلك من الروح القدس ؟ لأن كشف الأسرار هو بنوع خاص من شأن الروح ، على ما كتب « ***قد كشف الله لنا بالروح*** » (لو ١ : ٣٠ــ٣٣) . وأصحاب العرش والسيادة والرئاسة والسلطة ، كيف يعيشون حياتهم السعيدة إذا لم يروا وجه الآب الذى فى السماوات ؟ ورؤيته لا تكون بدون الروح . فكما فى الليل ، إذا أزيح النور من البيت ، تكون العيون عمياء وتبقى القوى بلا فاعلية ، والقيم لا تعرف فيداس الذهب كالحديد لعدم تمييزه ، كذلك فى عالم العقل ، أنه لمستحيل متابعة الحياة الشرعية بدون الروح . وكذلك يقال عن نظام الجيش فى غياب قائده ، وعن التئام الخورس إذا أهمله مديره . فكيف يقول الساروفيم : « قدوس قدوس قدوس » إذا لم يعلمهم الروح كم مرة يصبح مع التقوى أن يذيعوا هذه المجدلة ؟ إذن كل ملائكة الله يسبحونه أيضا ، وكل قواته تسبحه بمؤازرة الروح . وينتصب أمامه الوف الألوف من الملائكة وربوات الربوات من الخادمين ، يكملون عملهم الخاص بلا عيب بقوة الروح . فإذن كل ذلك التنسيق الفائق فى السماء والمعجز البيان فى خدمة الله والتحام صوت القوات الفائقة العالم بعضها مع بعض ، لا يمكن أن يحفظ بدون إشراف الروح » ــ الروح القدس ص ٦٥ ــ ٦٦ .



٤ - عدد الملائكة وطغماتهم

+ بالنسبة إلى عدد الملائكة ، أشير فى الكتاب المقدس إلى « **ربوات هم محفل الملائكة** » (عب ١٢:٢١) ، « **جاء الرب فى ربوات قديسيه** » (يه ١٤) « **ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه** » (دا ٧:١٠) « **وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش ... وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف** » (رؤ ٥:١١) ، وقال الرب يسوع عندما استل واحد من الذين معه السيف « **رد سيفك إلى مكانه ... اتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من أثنى عشر جيشا من الملائكة** » (مت ٢٦:٥٣) .

ولقد أكد الآباء تعليم الكتاب المقدس عن كثرة عدد الملائكة من حيث أنه عدد وفير لا يحصى . انظر :

1- Clem. Strom. 7, 11 B. 8, 274.
2- Chrys: Heb. hom. 6, 4, M. 63, 59.
: akatalyp. 4, 2, M. 48, 729.
3- Iren. Elen. 11, 30, 6 M. 7.
4- Dion. Areop. Heav. Hierarch. 6, 1, M. 3, 200.
5- Orig. princip 1, 5, 1.
6- M. Basil. Hexaem. hom. 1, 5, M. 29, 13.
7- Cyril. Jer. Catech. 15, 24, M. 33, 904.

+ إن الاسماء الخاصة فى الكتاب المقدس ، التى تعطى للملائكة ، ليست كأفراد بل أيضا كطغمات ، توضح أنه يوجد بين الملائكة رتب وترتيب فى الدرجات ، فنقرأ مثلا فى سفر طوبيت عن « الملائكة السبعة » وذكر اسم الملاك الذى كان يصحب طوبيا وهو رافائيل الذى أشار إلى عمل هؤلاء الملائكة فقال « **أنا هو رافائيل الملاك أحد السبعة الوقوف أمام الله الذين يقدمون صلوات القديسين ويجوزون عابرين أمام مجد الرب** » (طوبيت ١٢:١٥) . ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الملائكة هم الذين دعاهم هيرماس الراعى « **الذين يبنون . هؤلاء هم ملائكة الله القديسون الذين خلقوا أولاً ، وإلى هؤلاء سلم الله كل الخليقة لازدهارها وترتيبها ولسيادة الكون كله ، وبهم ينفذ مخطط بناء البرج (أى الكنيسة)** » — (رؤيا ٣:٤) — ترجمة المطران الياس معوض . انظر أيضا :

B. 3, 44.

وحسب التقليد الأرثوذكسى القبطى ، فإن السبعة رؤساء الملائكة هم : ميخائيل . غبريال (جبرائيل) رافائيل . سوريال (سورئيل) . سداكيال . سرانيال . أنانيال . انظر : الأبصلمودية السنوية ــ ذكصولوجية السمائيين .

ويتكلم الكتاب المقدس أيضا عن طغمة الشاروبيم (الكاروبيم) الذين أقامهم الله شرق جنة عدن لحراسة طريق شجرة الحياة بعد أن طرد آدم من الجنة وحتى لا يعود ويرجع اليها (تك ٣ : ٢٤) وكذلك يتكلم الكتاب المقدس عن السرافيم الواقفين حول الجالس على كرسى عال ومرتفع ولكل واحد منهم ستة أجنحة ، باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير ، وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود » (إش ٦ : ١ــ٣) . ويتحدث الرسول بولس أيضا عن « العروش والسيادات والرئاسات والسلاطين » (كو ١ : ١٦) و« القوات » (أف ١ : ٢١) و« الملائكة » (رو ٨ : ٣٨) و« رئيس الملائكة » (١تس ٤ : ١٦) ، وتشير رسالة يهوذا إلى رئيس الملائكة ميخائيل (يه ٩) .

+ وفى كتاب ديونيسيوس الأريوباغى يشار إلى تسع طغمات للملائكة تقسم إلى ثلاثة أنظمة أو رتب تتميز فيما بينها فى درجة السمو والرفعة :

الرتبة الأولى : السرافيم ــ الكروبيم (الشاروبيم) ــ العروش (الكراسى) .

الرتبة الوسطى : السيادات ــ السلاطين ــ القوات .

الرتبة الأخيرة : الرئاسات ــ رؤساء الملائكة ــ الملائكة .

Dion. Areop. Heaven. Hierarch. VI, 2 + VII, 1, 4 + VIII, 1 + 1X, 1 M. 3, 200, 205, 240, 257.

وأخذ يوحنا الدمشقى برأى ديونيسيوس الأريوباغى .

Dam. mnym. 2, 3 M. 94, 872.

والواقع أنه ليس بين الآباء اتفاق عام حول عدد طغمات الملائكة ورتبهم . والقديس باسيليوس الكبير يتحدث عن الطغمات التالية :
الرئاسات ــ السلاطين ــ القوات ــ العروش ــ السيادات .

ويضيف قائلاً « وكل الطبائع العقلانية الأخرى إن وجدت بدون اسماء » (الروح القدس ص ٦٣) .

وأما القديس أغريغوريوس النيسى فيتحدث عن ثمانى طغمات على النحو التالى :

السلاطين ـــ السيادات ـــ العروش ـــ الرئاسات ـــ القوات ـــ السرافيم ـــ الشاروبيم ـــ الليتورجيون .

ثم يقلل عدد الطغمات الملائكية ، لأنه يوحد بين الشاروبيم والعروش وكذلك بين السرافيم والقوات .

Greg. Nys: Asmata hom. XV, M. 44, 1100.
: against Eunom. 1, M. 45, 348.

والقديس أثناسيوس الرسولى يشير إلى الطغمات التالية :

الملائكة ـــ السرافيم ـــ الشاروبيم ـــ رؤساء الملائكة ـــ السيادات ـــ العروش ـــ الرئاسات .

Athanas. Serap. 1, 13, M. 26, 561.

وأما ايريناوس فلا يشير إلى السرافيم والكروبيم

Iren. Elen. 2, 30, 3-4 M. 7, 816, 817.

ويتحدث القديس أغريغوريوس اللاهوتى عن :

الملائكة ـــ رؤساء الملائكة ـــ العروش ـــ السيادات ـــ الرئاسات ـــ السلاطين ـــ المتوهجون ـــ الصاعدون .

Greg. Naz. Log. 28, 31, M. 36, 72.

ويستند القديس يوحنا ذهبى الفم على الآية التى استند إليها أوريجينوس أيضا (أف ٢١:١) فيتحدث عن الطغمات التالية :

ملائكة ـــ رؤساء ملائكة ـــ العروش ـــ السيادات ـــ الرئاسات ـــ السلاطين ـــ ولكن ليس هذا فقط لأنه كما يقول الرسول بولس **« وكل اسم يسمى ليس فى هذا الدهر فقط ، بل فى المستقبل أيضا »** (أف ٢١:١) ، أى أن هناك طغمات ملائكية أخرى ليست معروفة لنا فى هذا الدهر وسوف تعرف فيما بعد .

Chrys. akatalyp. 4, 2 M. 48, 729.

والقديس كيرلس الاسكندرى يتحدث عن الطغمات التالية :
الملائكة — رؤساء الملائكة — العروش — السلاطين — القوات — الرئاسات — السرافيم .

Cyril. Alex: gen. 1, 3 M. 69, 21.
: paschalios Epist. XII, 1, M. 77, 673 + 676.

من كل هذا يبدو أنه ليس بين الآباء اتفاق فى عدد الطغمات الملائكية ولا فى رتبهم .
انظر أيضا :

1- M. Basil. hom. 15, 1 M. 31, 465.
2- Cyril. Jer. Catech. 23, 6 M. 33, 1113.
3- Cyril. Alex. Levitic. M. 69, 549.

+ أما بالنسبة للأختلاف بين الرتب الملائكية من حيث الأكثر والأقل سموا ، فهذا لا يستند فقط إلى ديونيسيوس الأريوباغى بل إلى آباء آخرين وإلى كتاب كنسيين . ويجعل ديونيسيوس الأريوباغى اختلافا فى درجة الحكمة والمعرفة بين الرتب الثلاثة :

Dion. Areop. Gods Names 12 + Heav. Hier. 8, 1, M. 3, 292, 240 + Heav. Hier. 6, 2 + 13, 2 M. 3, 200, 300.

ونفس هذا التمايز بين طغمات الملائكة يؤكده هيرماس الراعى عندما يتحدث عن الملائكة البنائين ، فيقول فى رؤياه الثالثة (٣:٤) :

« إن هذا ياسيدتى عظيم جداً . من يكون الفتية الستة الذين يبنون ؟ هؤلاء هم ملائكة الله القديسون الذين خلقوا أولا ، وإلى هؤلاء سلم الله كل خليقته لازدهارها وترتيبها ولسيادة الكون كله ، وبهم ينفذ مخطط بناء البرج (أى الكنيسة) . قلت وأولئك الذين يحملون الحجارة ؟ قالت : إنهم أيضا ملائكة قديسون . **إلا أن الستة الآخرون يفوقونهم** ، وبجهودهم المشتركة سيتم بناء البرج ، وسيفرحون جميعهم وهم يحيطون به ، وسيمجدون الله على اتمامه » ترجمة المطران الياس معوض ص ١٨٣ .

والقديس اكليمنضس الاسكندرى يعطى أيضا هذا التميز للملائكة البنائين الأول .
Clem. Alex. proph. eklog. 51 B. 8, 347.

وكذلك يؤكد هذا التمايز ، القديسون كيرلس الأورشليمى وباسيليوس الكبير ويوحنا ذهبى الفم واغريغوريوس النيسى ، حيث يشار إلى أن الملائكة الذين يخدمون البشر هم

فى مرتبة أقل من الملائكة الذين يخدمون الله :

1- Cyril. Jer. Catech. 6, 6 + 11, 11 M. 33, 548, 704.
2- M. Basil: Isa. 6, 183, M. 30, 428.
: agaimst Eunom. 3, 1, 2 M. 29, 657.
3- Chrys. Ephes. hom. 7, 1, M. 62, 49.
4- Greg. Nys. against Eunom. 1, M. 45, 348.

ويقول الايغومانس ميخائيل مينا « أما أختلاف الرتب فصادر عن جلال خلق البعض منهم وارتفاعهم على غيرهم ، أى من حيث جلال أنوارهم وقوتهم التى يتسامون بها فضلا عن الآخرين . ومن ثم عندما تشاهد الملائكة الذين هم أدنى رتبة سمو أنوار الملائكة الذين هم أعلى رتبة منهم وجلال قوتهم فيخضعون لهم اختيارا وطوعا ويقدمون لهم الطاعة والاحترام الواجب . والسرافيم فى أعلى رتب خدام الله وهم من جنس الكروبيم . والكروبيم ملائكة معينون ، فليس كل ملاك كروبا ، بل هم قسم مختار من الملائكة يقتربون من الله أكثر من سواهم من الجنود العلوية ويعرفون بملائكة الحضرة والملائكة المقربين . وقد رجح أكثر الاهوتيين ان الملائكة يرسلون لخدمة ورثة الخلاص ، أما الكروبيم والسرافيم فيخدمون يهوه العظيم ، ومن ثم يلبثون فى مجد حضرته وحول عرشه كما يستدل من قول الملاك لزكريا : أنا جبرائيل الواقف أمام الله (لو ١٩:١) كما أنهم يفوقون سائر الملائكة قوة واقتدارا فكانوا أهلا للمحافظة والحراسة فهم الذين عينوا لحراسة الفردوس يوم أخرج منه آدم وحواء لئلا يرجعا إليه (تك ٢٤:٣) ويعتقد معظم اللاهوتيين أن للملائكة رئيسا واحدا وهو ميخائيل استنادا إلى ما جاء فى (يه ٩:١) ، ويعتقد بعضهم أن ميخائيل ليس هو الرئيس الوحيد ، بل هناك رؤساء غيره اعتمادا على ما جاء فى (دا ١٣:١) بأنه أحد الرؤساء الأولين . غير أن الرأى الأول ــ فيما يقول الإيغومانس ميخائيل مينا ــ أسد وأقوب للصواب لأن رئاسة ميخائيل عامة وأما رئاسة غيره فخاصة » (علم اللاهوت ــ المجلد الثانى ــ ص ٨٣ ــ ٨٩) .

وعلى العموم ، فإن جميع الملائكة هم فى موضع اكرام وتبجيل كما يبدو مما ذكر فى سفر يشوع :

« وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيديه ، فسار يشوع إليه وقال له هل لنا أنت أم لأعدائنا . فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن أتيت . فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد وقال له

بماذا يكلم سيدى عبده ، فقال رئيس جند الرب ليشوع اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس ، ففعل يشوع كذلك » (يش ٥:١٣ــ١٥) (وانظر أيضا دا ٨:١٦ــ١٩ ، ١كو ١١:١٠) .

خدمة وعمل الملائكة :

+ يشير الآباء إلى خدمة الملائكة التى توجه من ناحية تجاه الله ، ومن ناحية أخرى تجاه البشر . انظر :

1- M. Basil. Isa. 6, 185, M. 30, 433.
2- Chrys. akatalyp. 1, 6 M. 48, 707.

وبالنسبة لله ، فهناك الملائكة الذين يسبحون الله ويمجدونه على الدوام ، كما يبدو من الأمثلة التالية :

« وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » (لو ٨:٢ــ١٤) .

وفى (إش ١:٦ــ٣) « ***رأيت السيد جالسا على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل السرافيم واقفين فوقه ... وهذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض*** » ــ (وانظر حز ١٢:٣) .

والرسول يوحنا فى سفر الرؤيا يشير إلى الملائكة الأربعة حول العرش الذين لا يزالون ليلاً ونهاراً يسبحون الله قائلين : قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء ، الذى كان والكائن والذى يأتى » (رؤ ٨:٤) . ويقول أيضا « ***وجميع الملائكة كانوا واقفين حول العرش ... وخروا أمام العرش على وجوههم وسجدوا لله قائلين آمين . البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى أبد الآبدين آمين*** » . (رؤ ١١:٧،١٢) .

وجاء فى المزامير « ***باركوا الرب ياملائكته المقتدرين قوة ، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه*** » (مز ٢:١٠٣) ، « ***سبحوه ياجميع ملائكته ، سبحوه ياكل جنوده*** » (مز ٢:١٤٣) .

وبلا شك فإن هذا التمجيد المتواصل لله من قبل الملائكة ، هو نتيجة طبيعية لحياة الغبطة التى لهم فى الله ، وهم ينظرون إلى كمال الله المطلق ويتحركون نحوه ويسجدون لله

ويخدمونه ويشكرونه وينتقلون من إعجاب إلى إعجاب ، ويطربون فى غير ما شبع بتمجيد الله . وعلى ذلك فإن تكرار تمجيد الله « قدوس قدوس قدوس » لا يؤلف تسبحة مملة تتم على نسق واحد لا يتغير ، بل هى تعبير عن عمق إعجابهم وعمق التأمل فى عظمة الله ومجده غير المحدود وتعبير عن حياة الغبطة التى يعيشون فيها .

ووفقا لقول السيد المسيح « ***هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك*** (***سواء البشر أو الكائنات العاقلة على وجه العموم***) ***أنت الإله الحقيقى*** » (يو ١٧ :٣) ، وكلما تعمق الملائكة معرفتهم لله فإنهم يسبحون الله ويمجدونه . انظر :

1- Orig. Luk. 2, 14 hom. 13.
2- Greg. Naz. Log. 28, 31, M. 36, 72.

+ وبالنسبة للبشر ، فإن الملائكة يقومون بخدمة البشر وحراستهم والشفاعة من أجلهم وتقديم العديد من الخدمات المتنوعة لهم ، كما يبدو من الأمثلة التالية[1] :

١ ــ ارسال الملائكة للبشر لتقويتهم :

« ***فظهر له ملاك الرب وقال له الرب معك ياجبار البأس ، فقال له جدعون ، أسألك ياسيدى إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه وأين كل عجائبه التى اخبرنا بها آباؤنا*** » (قض ٦ :١٢) .

« ***وإذا ملاك الرب أقبل ونور أضاء فى البيت فضرب جنب بطرس وأيقظه قائلاً قم عاجلاً فسقطت السلسلتان من يديه*** » (أع ١٢ :٧) .

« ***لأنه وقف به هذه الليلة ملاك الإله الذى أنا له والذى أعبده قائلاً لا تخف يابولس*** » (أع ٢٧ :٣٣) .

« ***أليس جميعهم أرواحا خادمة ، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص*** » (عب ١ :١٤) .

« ***وصلى اليشع وقال يارب أفتح عينيه فيبصر ، ففتح الرب عينى الغلام فأبصر وإذا الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول اليشع*** » (٢مل ٦ :١٧) .

---

(١) القمص تاوضروس عبد مريم : براهين الكتاب المقدس على صدق التعاليم الأرثوذكسية ــ مكتبة التربية الكنسية بالجيزة ــ ١٩٧٩ ــ ص ٩٤ ــ ٩٧ .

« إلهى أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرنى لأنى وجدت بريئا قدامه وقدامك أيضا أيها الملك لم أفعل ذنبا » (دا ٦:٢٢) .

٢ ـــ شفاعة الملائكة ، وهى نوع من الشفاعة الطلبية أو الرجاء كشفاعة الروح القدس والقديسين :

« وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخورا كثيرا لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش ، فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » (رؤ ٨:٣،٤) .

« فأجاب ملاك الرب وقال يارب الجنود إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السبعين سنة » (زك ١:١٢) .

« الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين وليدع عليهما اسمى واسم أبوى إبراهيم وإسحق وليكثروا كثيراً فى الأرض » (تك ٤٨:٦) .

« انظروا لا تحتقروا هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم ان ملائكتهم فى السماوات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السماوات » (مت ١٨:١٠) .

٣ ـــ مساعدة الملائكة بعضهم لبعض لإعانة الإنسان :

« فقال لا تخف يادانيال لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولإذلال نفسك قدام إلهك ، يسمع كلامك ، وأنا أتيت لأجل كلامك . ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحد وعشرين يوما ، وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتى وأنا أبقيت هناك عند ملوك فارس . وجئت لأفهمك ما يصيب شعبك فى الأيام الأخيرة لأن الرؤيا إلى أيام بعد » (دا ١٠:١٢ـــ١٤) .

« وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة . ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذى أعلمنا به الرب » (لو ٢:١٣ـــ١٥) .

٤ ـــ لكل إنسان ملاك خاص :

« انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار ، لأنى أقول لكم أن ملائكتهم فى السماوات

كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السماوات » (مت ١٨ :١٠) .

« فلما عرفت صوت بطرس لم تفتح الباب من الفرح ، بل ركضت إلى داخل واخبرت أن بطرس واقف قدام الباب ، فقالوا لها أنت تهذين . وأما هى فكانت تؤكد أن هكذا هو . فقالوا أنه ملاكه » (أع ١٠:١٤ــ١٥) .

٥ ــ يحملون الروح الطاهرة إلى أحضان القديسين :

« فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، ومات الغنى أيضا ودفن » (لو ٢٢:١٦) .

وللوقوف على المزيد من أعمال الملائكة وخدماتهم ، انظر أيضا الشواهد التالية : (مت ٥:٢٨ ــ لو ١:١١،٢٦ ، لو ١٤:٢ ، لو ٢٢:١١ ــ أع ١٩:٥ ، ٢٦:٨ ، ١:١٠ ، عب ١٤:١ ، رؤ ٣:٨ ، ٧:١٢ ، تك ٩:١٦ ، ١٦:١٩ ، ١٦:٤٨ ، خر ١٩:١٤ ، ٢صم ١٦:٢٤ ، جا ٦:٥ ، مز ٤:١٠٣ ، ٧:٣٤ ، زك ١:١٢،١٦ .

ويوكل الملائكة للاهتمام بالطبيعة ، بالهواء والنار والعناصر الأخرى ، وبالحيوانات والنباتات . جاء فى كتاب علم اللاهوت (المجلد الثانى) للإيغومانس ميخائيل مينا ، فى تفسير الأربعة الحيوانات (الملائكة الأربعة) فى سفر الرؤيا ، ما يلى :

لما كان كل جنس من المخلوقات يميل طبيعيا إلى جنسه ويسر لأن يراه فى أرقى حالة من المجد والسعادة ، لهذا منح الله كل واحد من هؤلاء الملائكة شكلا من أشكال مخلوقاته التى تكاد تنحصر فى هذه الأنواع الأربعة ليكون ذلك باعثا ومحركا لها فى الطلب المتواتر إلى الله ، عمن يحاكيه شكلا وإن اختلف عنه طبعا ومقاما . فذو الشكل الإنسانى يطلب عن بنى الإنسان ، وذو الشكل العجلى يطلب عن الداجن من الحيوان ، وذو الشكل الأسدى يطلب عن الوحش المفترس . أما ذو الشكل النسرى فيطلب عن الطائر بأنواعه (ص ٨٧ــ ٨٨) .

وبالنسبة لكتابات الآباء والكتاب الكنسيين ، عن خدمة الملائكة للبشر ، انظر :

1- Just. 2 Apol. 5, 2 B. 3, 202.
2- Athynag. Pres. 10 + 24 B. 4, 288, 301.
3- Clem. Alex. proph. 55 B. 8, 348.

4- Orig: Jer. hom. 10, 6 M. 13, 365.
: against Cels. 8, 57, M. 11, 1064.
: Numbers hom. 14, 2 M. 12, 680.
5- Greg. Nys. Catech. 6 M. 45, 28.
6- Greg. Naz. Log. 28, 31 M. 36, 72.

+ والواقع أن ملاحظة الملائكة للبشر وعنايتهم بهم ، أمر أكده الآباء جميعا ، لأنه يقوم أساسا على الكتاب المقدس ، على نحو ما أشرنا سابقا . ولقد أشار القديس يوحنا ذهبى الفم إلى أن لكل إنسان ملاكه . انظر :

Chrys: Colos. hom. 3, 4 M. 62, 322.
: Acts. hom. 26, 3 M. 60, 201.

وجاء فى هيرماس الراعى (الوصية السادسة ٢:١) « مع الإنسان ملاكان . ملاك العدل وملاك الشر . ملاك العدل لطيف وحبى ووديع وهادىء . عندما يدخل إلى قلبك يتكلم معك فورا عن العدل والعفة والشرف والقناعة وعن كل عمل صالح وعن كل فضيلة مجيدة . عندما تشعر أن هذه الأمور قد ملأت قلبك فاعلم أن ملاك العدل يقطن فيك لأن ملاك العدل لا يفعل غير ذلك فآمن به وثق فى أعماله . أما ملاك الشر فهو قبل كل شىء غضوب ومر وجاهل وأعماله شريرة تدمر عبيد الله . عندما يدخل إلى قلبك تستطيع أن تميزه فورا من أعماله . عندما تشعر بالتذمر والمرارة فاعلم أن الشيطان يقطن فيك وعندما تشعر برغبات مضطربة ويستولى عليك جنون التبذير والانفاق على الملبس والمأكل والمشرب وتندفع وراء الملذات العابرة والفجور وعندما تشعر بأنانيتك وكبريائك وطمعك تتحرك بعنف فى داخلك ، عندما تشعر بكل ما هو مماثل لهذه الأمور فاعلم أن شيطان الظلم يعيش فيك » ترجمة المطران الياس معوض ص ٢٠١) .

والقديس يوستينوس يتحدث عن الملائكة الذين يحرسون الإنسان ويرافقونه سواء فى الحياة الحاضرة أو عند خروج النفس من الجسد حتى زمن تجديد العالم .

Justin: 2 Apol. 5, 2 B. 3, 202.
: Apokr. 30, B. 4, 88.

وكذلك يتحدث كل من القديسين اغريغوريوس النيسى وكيرلس الاسكندرى عن عناية الملائكة بالبشر . انظر :

1- Greg. Nys. Mos. M. 44, 337.
2- Cyril. Alex. Psalm. 33, 8, M. 69, 888.

وهناك — مثل القديس يوحنا ذهبى الفم وأوريجينوس — من يحصر مصاحبة الملائكة للمعمدين فقط من البشر أى للمؤمنين . كذلك يشار إلى ما للملائكة من عمل توجيهى وإرشادى وتربوى فهم يلهمون المؤمنين بالأفكار والقرارات الصالحة . انظر :

1- Chrys. Col. hom. 3, 4, M. 62, 322.
2- M. Basil. Psalm. 33, 5 M. 29, 364 + Eun. 3, 1, M. 29, 656.
3- Orig: Numer. hom. XX, 3. M. 12, 733.
: Pray. 11, 5 + 1, 36, 6 B. 10, 251, 249, 305.

ويتحدث اكليمنضس الاسكندرى عن « ملاك التوبة » ، كما يتحدث ترتليانس عن « ملاك المعمودية » و« ملاك الصلاة » . انظر :

1- Clem. Alex: Strom. 6, 7.
: Who is the rich man that shall be saved 42, B. 8, 238, 374.
2- Tertull: De bapt 5, m. 1, 206.
: De oration 16, m. 1, 1174.

وانظر أيضا فى خدمة الملائكة :

1- Clem. Alex: proph. eklog. 50 B. 8, 346, 347.
: ibid 41 + 48, B. 8, 345, 346.
2- Orig. John. XIII, 50, B. 12, 160.

+ على أن الآباء والكتاب الكنسيين يتكلمون أيضا عن ملائكة الأمم . ولهذه العقيدة أصولها الكتابية ، حيث جاء فى سفر الخروج « **ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته . احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه ، لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمى فيه . ولكن إن سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادى أعداءك واضايق مضايقيك . فإن ملاكى يسير أمامك ويجىء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم** » (خر ٢:٢٣—٢٣) . وجاء فى سفر التثنية « **حين قسم العلى للأمم ، حين فرق بنى آدم ، نصب تخوما لشعوب حسب عدد ملائكة الله** » (حسب الترجمة السبعينية) (تث ٨:٣٢) . وجاء فى نبوة دانيال « **ورئيس مملكة فارس وقف مقابلى واحدا وعشرين يوما وهوذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لاعانتى وأنا بقيت هناك عند ملوك فارس** » (دا ١٣:١٠) . وجاء فى هيرماس الراعى « أما الملاك العظيم الممجد ميخائيل

الذى له سلطان على الشعوب ويحكمهم ... » (٣:٨) ــ ترجمة المطران الياس معوض ص ٢٢٩ . وانظر فى كتابات الآباء والكتاب الكنسيين :

1- M. Basil: Isa. 10, 240 M. 30, 540.
: against Eunom. 3, 1 M. 29, 656, 657.
2- Clem. Alex: Strom. 7, 2 + Strom 6, 17, B. 8, 246 + 238.
3- Orig. gen. hom. 9, 3, M. 1, 213.
4- Chrys. Colos. hom. 3, 2, M. 62, 322.
5- Greg. Naz. Log. 28, 31, M. 36, 72.

+ واستنادا إلى ما جاء فى المزمور « **إن لم يحفظ الرب المدينة ، فباطلا يسهر الحارس** » (مز ١٢٧:١) ، يتحدث الآباء والكتاب الكنسيين عن « ملائكة المدن » كذلك استنادا إلى ما جاء فى سفر الرؤيا ، يتحدثون أيضا عن « ملائكة الكنائس » فالعلامة أوريجينوس يقول :

« إذا كانت ملائكة الله قد اتت ليسوع وأخذت تخدمه ، وإذا كان من غير المعقول ان تقتصر خدمة الملائكة للمسيح على زمان اقامته بالجسد بين البشر . وهو فى وسط المؤمنين ليس كمن يتكىء بل كمن يخدم ، فتصور معى خدمة الملائكة للمسيح الذى يريد أن يجمع معه ابناء إسرائيل واحدا واحدا ، وعندما يضم الذين فى الشتات ، وينقذ الذين يئنون من الخوف ويدعونه . **أما يساهم الملائكة أكثر من الرسل فى نمو الكنيسة وازديادها** ... » كتاب الصلاة ــ تعريب القس موسى وهبه ص ٣٠ .

وانظر أيضا الكتابات التالية :

1- Greg. Nys. asmata hom. 12, M. 44, 1033.
2- Clem. Alex. Strom. 6, 17 B. 8, 238.
3- Greg. Naz. Log. 42, 27 + 9 M. 36, 492, 469.
4- M. Basil. Isa. 1, 46.
5- Orig. Luk. hom. 23, M. 13, 1863.
6- Cyril. Alex. John. VI, M. 73, 1021.

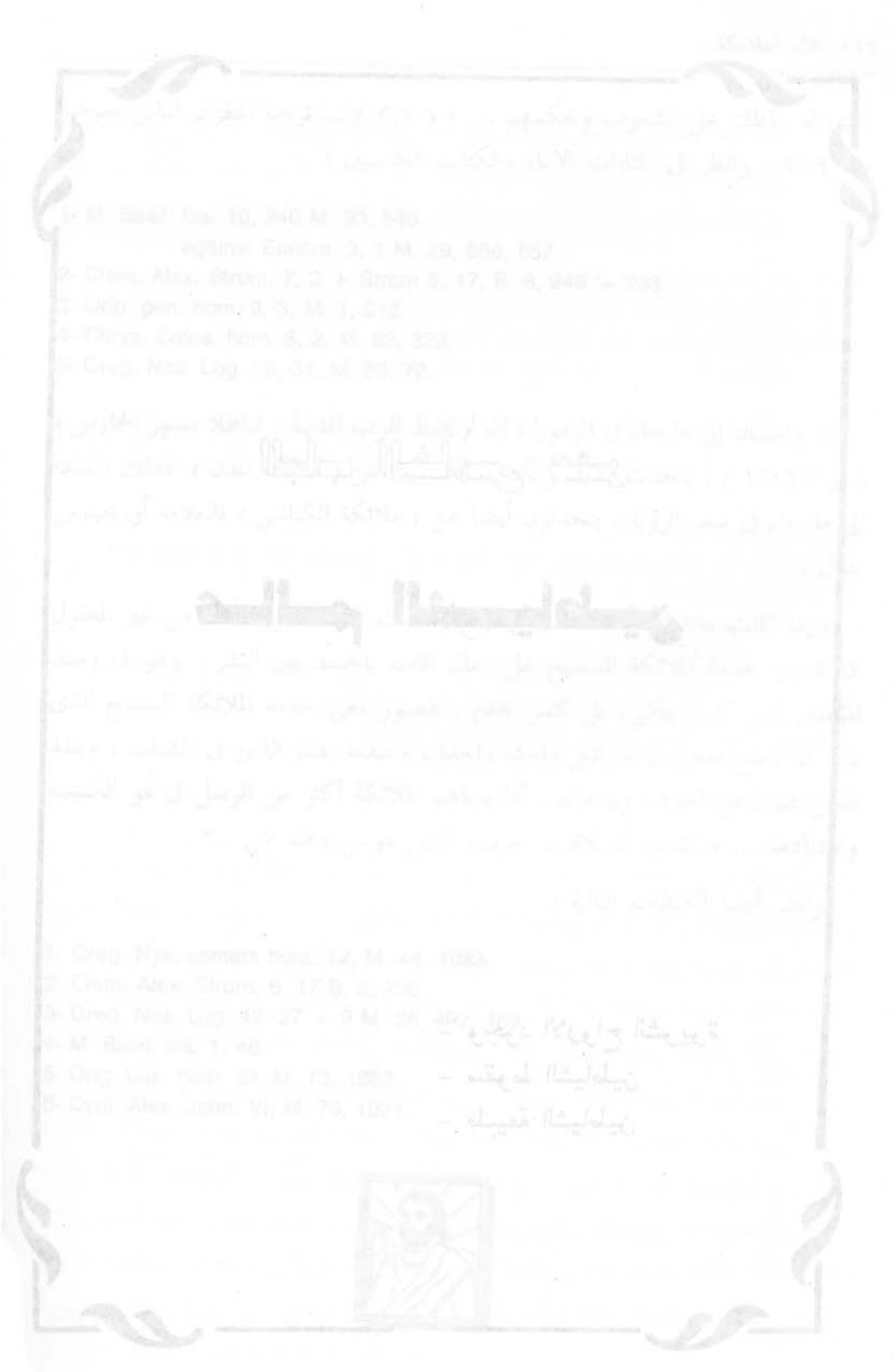




الباب الخامس عشر

عالم الشياطين

- وجود الارواح الشريرة
- سقوط الشياطين
- طبيعة الشياطين



[illegible]

1- M. Basil. Isa. 10, 240 M. 30, 540.
   against Eunom. 3, 1 M. 29, 656, 657.
2- Clem. Alex. Strom. 7, 2 + Strom 5, 17, B. 8, 246 + 259
3- Orig. gen. hom. 9, 3, M. 1, 212.
4- Chrys. Coloss. hom. 3, 2, M. 62, 322.
5- Greg. Naz. Log. 28, 31, M. 36, 72.

[illegible]

1- Greg. Nyss. [illegible] hom. 12, M. 44, 1085.
2- Clem. Alex. Strom. 6, 17 B. 2, 230.
3- Greg. Naz. Log. 42, 27 + 9 M. 36, 492, 501.
4- M. Basil. Isa. 1, 46.
5- Orig. Luc. hom. 23, M. 13, 1862.
6- Cyril. Alex. John. VI, M. 73, 1021.

مقدمة عامة

بالإضافة إلى طغمات الملائكة الصالحين ، فهناك أيضا الأرواح الشريرة ، ويشهد بهذا الكتاب المقدس ابتداء من صفحاته الأولى ، كما يتأكد هذا أيضا من التقليد الكنسى . وهكذا نرى فى سفر التكوين ، فى قصة السقوط ، يشار إلى الحية فى محاولتها لإغراء حواء بعصيان وصية الله . وقد فسرت الحية فى العهد الجديد بأنها الشيطان . جاء فى سفر الرؤيا « *التنين العظيم الحية القديمة ، المدعو إبليس والشيطان* » (رؤ ١٢ : ٩) . وكذلك فى كتب أخرى فى العهد القديم ، لدينا شهادات واضحة عن وجود إبليس ، وعلى الأخص فى كتاب أيوب الشديد القدم يظهر إبليس بفاعليته الشريرة ضد الإنسان راغبا فى شقائه وتعذيبه . وأهمية سفر أيوب أنه يرجع إلى ما قبل السبى ، وبهذا يدحض المزاعم التى ترد الاعتقاد بوجود إبليس إلى أصول فارسية . وفى العهد الجديد ، يتأكد وجود إبليس ، سواء من قبل السيد المسيح نفسه أو من قبل الرسل . وأشير إلى خصائصه الشريرة وأفكاره الآثمة ، وكذلك أشير إلى اتجاهاته ونواياه السيئة فى الأضرار بالإنسان وتحطيمه . وأكد تعاليم الكتاب المقدس ، كل من آباء الكنيسة وكتابها ، وفى هذا رد على مزاعم الذين ينكرون هذه القوة الشريرة . أما بالنسبة لأصل الشياطين ، فهناك إجماع بين الآباء ، بنى على تعاليم الكتاب المقدس ، على أنهم خلقوا أولا مثل الملائكة الصالحين ولكنهم سقطوا من علوهم لأنهم حاولوا أن يرفعوا عروشهم فوق عرش الله . وبحسب ما ذهب البعض ، فإنهم قد حسدوا الإنسان الذى خلقه الله على صورته فدفعوه إلى السقوط فى الخطيئة . على أن الشيطان عندما أغوى الإنسان بالخطيئة كان هو قد سقط فعلا فى الخطيئة ، وكروح شريرة قام بدفع الإنسان للخطيئة . إلا أنه ليس صحيحا القول بأن الملائكة سقطوا من قبل شهواتهم الجسدية ، استنادا إلى ما جاء فى الأصحاح السادس من سفر التكوين ، من أن ابناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا » (تك ٦ : ٢) ، فهذا قول اسطورى لا دليل على صحته . أما بالنسبة لطبيعة الشياطين أو الأرواح الشريرة ، فإنه حسبما يتفق مع الأصل الذى منه خلقوا ، فهم أيضا مثل الملائكة

الصالحين ، بلا أجساد كثيفة ، ولهم جسد ما أثيرى ، وهم غير معرضين للفساد أو الموت . وبما لهم من حرية اساءوا استعمالها ، فقدوا القداسة التى زودهم بها الروح القدس ، وصاروا أيضا مصدرا ومنبعا للشر ، يكرهون مخلوقات الله ولا سيما الإنسان الذى خلقه الله على صورته ومثاله ، ويعملون على مقاومة عمل الله ولا سيما خطته لخلاص البشرية . على أن الحكمة الإلهية تحدد المجال الذى تتحرك فيه إرادة إبليس الشريرة أو تضبط فعل الشيطان واثره داخل حدود معينة . ولا يسمح الله أن يجرب الإنسان فوق طاقته ، فضلا عن أن الله يستخدم هذه التجارب من أجل خير الإنسان ونفعه . بل ان الإنسان بفضل نعمة الله وقدرته ، يكون له القوة على أن يهزم الشيطان ويظفر به وينال فيما بعد الإكليل الأبدى . وعلى الرغم من قوة الشيطان ودهائه ، فلأنه حرم النور الإلهى ، فإنه يكون كالأعمى الذى لا يدرك أبسط الحقائق الإلهية ، وعلى الأخص أسرار التدبير الإلهى ومشيئاته الخلاصية .



١ - وجود الارواح الشريرة وتاثيرها على حياة البشر

وإذا كان حقا ، أنه لم يشر فى الأسفار القديمة للكتاب المقدس بشكل صريح ، إلى الإسم « الشيطان » أو « إبليس » ، فإنه مع ذلك ، فى الصفحات الأولى من كتاب العهد القديم ، حيث نقرأ قصة سقوط أبوينا الأولين ، صار حديث عن إبليس فى الحية التى خدعت حواء . إن قوة الدسيسة والوقيعة التى ظهرت فى الحية وهى تتكلم لحواء (تك ٣ : ١—٥) لا يمكن أن يكون هذا من خصائص حيوان ما غير عاقل كالحية ، كذلك فإن العقاب الذى وقع على الحية (تك ٣ : ١٤ ، ١٥) ، سيكون غير مفهوم إذا نظرنا إلى الحية كمجرد حيوان لا يفكر ولا يعمل ولا يخطط ولا يحسب . على أن كلام السيد المسيح وكذلك الرسول بولس يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ، أن الحية كرمز كانت تخفى الشيطان ، الذى لم يتكلم عنه كاتب الأسفار الخمسة لنفس السبب الذى من أجله تجنب الحديث عن الملائكة .

جاء فى سفر الحكمة « ***وبحسد المحتال دخل الموت إلى العالم*** » (٢ : ٢٤) . وأكد السيد المسيح أن الشيطان « كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق » « ***لأنه كذاب وأبو الكذاب*** » (يو ٨ : ٤٤) ويعبر الرسول بولس عن خوفه « ***أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التى فى المسيح*** » (٢كو ١١ : ٣) . هذه الأقوال الثلاثة تؤكد أن الحية التى خدعت حواء كانت هى الشيطان ، كما يظهر بوضوح من سفر الرؤيا حيث يقول « ***فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله ، طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته*** » (رؤ ١٢ : ٩) . وجاء أيضا فى سفر الرؤيا « ***فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان*** » (رؤ ٢٠ : ٢) . وكما جرب الشيطان آدم الأول فى الجنة ، هكذا جرب السيد المسيح فى البرية .

+ **وهناك فى العهد القديم إشارات كثيرة إلى الأرواح الشريرة** ، كما يبدو من الأمثلة التالية :

فى سفر اللاويين « ***لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم أنا الرب إلهكم*** » (لا ١٩ : ٣١) . وبلا شك فإن منع الجان والتوابع يرتبط بالإيمان بالأرواح الشريرة . وكذلك انظر (لا ٢٠ : ٦) .

ويشار فى سفر القضاة إلى « روح ردىء » (قض ٩ : ٢٣) . وكذلك يشار إلى « روح ردىء » فى صموئيل الأول (١صم ١٦ : ١٤) .

وجاء فى سفر أخبار الأيام الأول « ***ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصى إسرائيل*** » (١ أى ٢١ : ١) .

وجاء فى سفر أيوب ، وهو من الكتب ، القديمة جداً ، وكتب قبل السبى البابلى « ***وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم . فقال الرب للشيطان من اين جئت . فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها . فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدى أيوب ، لأن ليس مثله فى الأرض رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر . فأجاب الشيطان الرب وقال . هل مجانا يتقى أيوب الله . أليس أنك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ماله من كل ناحية . باركت أعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الأرض ، ولكن أبسط يدك الآن ومس كل ماله فإنه فى وجهك يجدف عليك . فقال الرب للشيطان . هوذا كل ماله فى يدك ، وإنما إليه لا تمد يدك . ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب*** » (أيوب ١ : ٦ـــ ١١) .

وجاء فى المزامير « ***لأن كل آلهة الشعوب شياطين*** » (حسب الترجمة السبعينية » (مز ٩٦ : ٥) « ***وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين*** » (حسب الترجمة السبعينية) (مز ١٠٥ : ٣٧) .

وجاء فى سفر طوبيت « ***وكان شيطان اسمه أزموداوس ، يقتل كلا من أزواج سارة السبعة عندما يدخل عليها*** » (طوبيت ٣ : ٨) ، « ***أما القلب والكبد فإنك إذا أخذت جزءا منهما ووضعته علىَّ جمر نار ، فدخانه يطرد كل شيطان من رجل أو إمرأة ولا يرجع إليهما بعد ذلك أبداً*** » (طوبيت ٦ : ٨) .

« فقال طوبيا سمعت أن سبعة رجال تزوجوا بها (أى بسارة) فكان شيطان يقتل كلا منهم عند دخوله عليها فهلكوا جميعاً . فأخاف أن يتم على ما جرى على أولئك السبعة وأنا ابن وحيد لوالدى وهما فى كبر شيخوختهما ... فأجاب الملاك ألا تذكر وصية أبيك ... فإنها قد حفظت لتكون زوجة لك ولا يهمك أمر الشيطان ... وأنا أخبرك من هم الذين يقدر عليهم الشيطان . هم الذين يتزوجون بهذه ليبعدوا الله من قلوبهم ويتلذذوا بشهواتهم كالفرس والبغل اللذين لا فهم لهما . فعلى هؤلاء يقدر الشيطان . أما أنت إذا تزوجت بها ودخلت عليها فتكون على ثلاثة أيام لا تهتم بشىء آخر إلا بالصلاة . وفى الليلة الأولى تحرق كبد السمكة وقلبها فينهزم الشيطان مرتعدا . وفى الليلة الثانية تقترب من إمرأتك على ما كان الآباء القديسون . وفى الليلة الثالثة تقبل البركة بالبنين فيكون منكما أولاد السلام » . (طوبيت ٦: ١٤ــ ٢١) .

« ولما تعشوا دخل عليها (أى على سارة) الشاب . فذكر طوبيا كلام الملاك واخرج من كيسه الكبد والقلب وطرحه على البحر ودخن بهما . ولما استنشق الشيطان الرائحة هرب إلى برية مصر الفوقانية فربطه الملاك » (طوبيت ٨: ١ــ ٣) .

وبذلك صار واضحا أن حقيقة وجود الشياطين هى حقيقة مؤكدة لا تقبل الشك . والقول عند بعض المحدثين أن قبول وجود الأرواح الشريرة يرجع إلى تأثير بابلى أو فارسى ، هو قول لا يستند إلى دليل ، لأنه حقيقة أعلنها الوحى الإلهى وتأكدت بادلة واقعية . ومن القائلين بهذا التأثير المرحوم الأستاذ عباس العقاد فى كتابه عن « إبليس » (كتاب الهلال ــ ١٩٦٧) . وقد زعم خطأ أنه لم يذكر الشيطان قط فى كتاب من الكتب قبل عصر المنفى (السبى) إلى أرض بابل (٥٨٦ ق.م) ص ٩٥ . وهذا يخالف ما أشرنا إليه سابقا بخصوص سفر أيوب .

وقال أيضا « وإنما اتضحت مأثورات العبرانيين بعد اختلاطهم بأهل بابل ومصر وبلاد العرب واليونان . واحتوت كتب التلمود والمشنا أهم عقائد القوم فى مسألة الخير والشر ومسألة الثواب والعقاب . ولا بد أن يذكر على الدوام أن هذه الكتب جمعت بعد المسيحية ، وظلت تجمع ويضاف إليها حتى القرن العاشر للميلاد . وفى هذه الكتب خلاصة ما استفاده العبرانيون من مجاورة الأمم التى تقدمتهم فى ادراك الصفات الإلهية والصفات الشيطانية . ومن هذه الكتب أخذ الآخذون ما حسبوه تراثا إسرائيليا ، وهى فى حقيقته تراث الحضارات الغابرة من أقدم العصور (المرجع السابق ص ٩٨ ــ ٩٩) .

وكيف يمكن أن يكون القول بالأرواح الشريرة نتيجة تأثر بالحضارة البابلية أو الفارسية ، مع أن فكرة الألوهية والشر تختلف عند هذه الأمم اختلافا جوهريا عن فكرة الألوهية والشر فى العهد القديم . ويكفى هنا أن نشير إلى العقيدة الفارسية فى الشر لنقف على ما يوجد من فارق جوهرى بين عقائد هذه الأمة وبين ما جاء عن هذه العقيدة فى الكتاب المقدس . فقد قال زرادشت بإلهين : إله الخير (اهورا مازدا) وإله للشر (هاريمان) ، بينما لم يقل الكتاب المقدس بإله للشر أو لم يقل بهذه الأثنينية الفارسية . ويعتقد فريق من القائلين بالثنوية أن آدم من خلقة الشيطان (عباس العقاد ــ إبليس ص ٧٣) .

وفى العهد الجديد أيضا ، تكثر الإشارات إلى وجود الشيطان ، سواء فى تعاليم السيد المسيح أو فى تعاليم الرسل وقد ذكر أحيانا باسم إبليس وأحيانا باسم الشيطان[1] .

ومن المواضع التى ذكر فيها باسم إبليس :

١ ــ تجربة السيد المسيح (مت ٤:١ــ١١ ، مر ١:١٢ ، لو ٤:١ــ١٣) ويبدو من هذه التجربة :

+ ان الشيطان لم يعرف حقيقة السيد المسيح ويحاول أن يعرف « إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا » .

+ ان الشيطان يقف على الحقائق المتضمنة فى الكتاب المقدس « ***لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكى لا تصطدم بحجر رجلك*** » .

+ ان الشيطان « رئيس هذا العالم » ، « ***ثم أخذه أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها ، وقال له أعطيك هذه جميعها أن خررت وسجدت لى*** » .

٢ ــ ذكر فى مثل الزارع (لو ٨:١٢) فى وإبليس يقوم هنا بنزع الكلمة من القلوب فيعطل الإيمان ومن ثم يعطل الخلاص .

٣ ــ ذكر فى مثل الزوان والحنطة (مت ١٣:٣٩) . ويبدو هنا إبليس وهو يقف موقف

(١) أنظر مذكرتنا : الشخصيات التى ورد ذكرها فى العهد الجديد (من مذكرات الكلية الإكليريكية) .

العدو من ابن الإنسان ، ويعمل عملا مضادا للمسيح ، فالمسيح يزرع زرعا جيدا يثمر ابناء للملكوت ، فيجيء الشيطان ليزرع الزوان فيثمر ابناء للشر .

٤ ــ السيد المسيح يدعو « إبليس » بالكذاب « **ذلك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأن ليس فيه حق . متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب** » (يو ٨:٤٤) .

٥ ــ ذكر عن السيد المسيح أنه « **جال يصنع خيرا ويشفى المتسلط عليهم إبليس** » (أع ١٠:٣٨) .

٦ ــ خاطب الرسول بولس باريشوع (عليم) الساحر ، ووصفه بصفات إبليس فقال له « **أيها الممتلىء كل غش وكل خبث ياابن إبليس ياعدو كل بر ، ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة** » (أع ١٣:٩) .

٧ ــ وفى رسائل القديس بولس ، أشار الرسول إلى إبليس فقال « **ولا تعطوا إبليس مكانا** » (أف ٤:٢٧) ، « **البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس ، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير ، وبعد ان تتمموا كل شىء أن تثبتوا** » (أف ٦:١١ــ١٣) .

وفى حديث الرسول بولس عن صفات الأسقف اشترط أن يكون « **غير حديث الإيمان لئلا يتصلف فيسقط فى دينونة إبليس** » (١تى ٣:٦) ، وفى حديثه عن صفات عبد الرب قال « **مؤدبا بالوداعة المقاومين ، عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق فيستفيقوا من فخ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته** » (٢تى ٢:٢٥،٢٦) . وقال الرسول بولس وهو يتحدث عن سلطان السيد المسيح على إبليس « **فإذ قد أشترك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس** » (عب ٢:١٤) .

وقال الرسول يعقوب فى مقاومة إبليس « **فاخضعوا لله . قاوموا إبليس ، فيهرب منكم** » (يع ٤:٧) .

وقال الرسول بطرس « **اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه ، فقاوموه راسخين فى الإيمان عالمين أن نفس هذه الآلام تجرى على أخوتكم الذين فى العالم** » (١بط ٥ :٨،٩) .

وقال الرسول يوحنا فى التمييز بين أولاد إبليس وأولاد الله « **أيها الأولاد لا يضلكم أحد ، من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار ، ومن يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطىء . لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس . كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس** » (١يو ٣ :٧—١٠) « **ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه** » (١يو ٣ :١٢) .

وقال يهوذا عما نشب بين رئيس الملائكة وإبليس « **وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجا عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب** » (يه ٩) .

وفى سفر الرؤيا يخاطب الرب ملاك كنيسة سميرنا قائلاً « **هوذا إبليس مزمع أن يلقى بعضا منكم فى السجن لكى تجربوا ويكون لكم ضيق** » (رؤ ٢ :١٠) .

وقيل فى غلبة ميخائيل وملائكته « **وحدثت حرب فى السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته . ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء . فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله ، طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته . وسمعت صوتا عظيما قائلاً فى السماء ، الآن صار خلاص إلهنا وقدرته وملكه وسلطان مسيحه لأنه قد طرح المشتكى على إخوتنا الذى كان يشتكى عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً . وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت . من أجل هذا افرحى أيتها السماوات والساكنون فيها . ويل لساكنى الأرض والبحر لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالما أن له زمانا قليلا** » (رؤ ١٢ :٧—١٢) انظر أيضا : (رؤ ٢٠ :٢) حيث يقول « **فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة** » .

وثمة مواضع أخرى ذكر فيها الإسم « الشيطان » نشير إليها استكمالا للحديث عن إبليس .

قال السيد المسيح فى رده على الفريسيين الذين لم يؤمنوا بقوته فى شفاء المجنون الأعمى ، ونسبوا ذلك إلى قوة الشياطين « **إن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته فكيف تثبت مملكته ... ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله** » (مت ١٢:٢٤ـ٢٩) .

وقال السيد المسيح لتلاميذه السبعين عندما رجعوا فرحين قائلين « **يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك** » ، قال لهم « **رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء** » (لو ١٠:١٧،١٨) وقال فى معرض حديثه عن المرأة المنحنية التى شفاها « **وهذه هى ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة . أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم سبت** » (لو ١٣:١٦) .

وقيل عن يهوذا الإسخريوطى وهو يفكر فى تسليم سيده « **فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يدعى الإسخريوطى وهو من جملة الاثنى عشر** » (لو ٢٢:٣) . وقال الرب لسمعان بطرس « **سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة ، ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانكم** » (لو ٢٢:٣١) . وعلى مائدة العشاء الربانى « **غمس ـ أى السيد المسيح ـ اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطى ، فبعد اللقمة دخله الشيطان** » (يو ١٣:٦،٧) .

ولما اختلس حنانيا وإمرأته سفيرة من ثمن الحقل ، قال الرسول بطرس لحنانيا « **ياحنانيا ، لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس** » (أع ٥:٣) . وفى احتجاج الرسول بولس أمام الملك اغريباس ذكر كلمات الرب يسوع له وهو فى طريقه إلى دمشق قائلاً « **منقذا إياك من الشعب ... لتفتح عيونهم كى يرجعوا من الظلمات إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى الله** » (أع ٢٦:١٨) .

والرسول بولس فى رسالته إلى رومية يطلب من أجل المؤمنين قائلاً « **وإله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعا** » (رو ١٦:٢٠) . وفى قضية الرجل الذى زنى بإمرأة أبيه حكم الرسول عليه « **أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى يخلص الروح فى يوم الرب يسوع** » (١كو ٥:٥) . وقال محذرا المؤمنين « **لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكى تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا أيضا معا لكى لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم** » (١كو ٧:٥) . وفى الرسالة الثانية إلى كورنثوس عاد مرة أُخرى يتحدث عن الرجل الذى زنى بإمرأة أبيه فطلب العفو عنه

لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره » (٢كو ٢ : ١١) . وقال الرسول بولس ، مشبها الرسل الكذبة بالشياطين « **ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور ، فليس عظيما إن كان خدامه أيضا يغيرون شكلهم كخدام للبر** » (٢كو ١١ : ١٤، ١٥) ، وقال وهو يتحدث عن تجربته « **ولئلا ارتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة فى الجسد ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا ارتفع** » (٢كو ١٢ : ٧) . وقال الرسول بولس عن عمل الشيطان فى إعاقة الخدمة « **لذلك أردنا أن نأتى إليكم أنا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان** » (١تس ٢ : ١٨) . وفى حديث الرسول بولس عن صفات إنسان الخطيئة قال « **الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة** » (٢تس ٢ : ٩) . وفى الرسالة الأولى إلى تيموثيئوس يتحدث الرسول عن هيمينايس والإسكندر *اللذان اسلمتهما للشيطان لكى يؤدبا حتى لا يجدفا* » (١تى ١ : ٢٠) . ويقول عن الحدثات « **فإن بعضهن قد إنحرفن وراء الشيطان** » (١تى ٥ : ١٥) . وفى سفر الرؤيا يشار إلى « **مجمع الشيطان** » (رؤ ٢ : ٩، ٣ : ٩) ، كما يشار إلى كرسى الشيطان (رؤ ٢ : ١٢) وإلى « أعماق الشيطان » (رؤ ٢ : ٢٤) . وقيل أيضا فى سفر الرؤيا « **ثم متى تمت الألف سنة يحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم** » كما يتحدث السفر عن طرحه فى بحيرة النار (انظر رؤ ٢٠ : ٧ــ١٠) .

وبالنسبة لمفهوم كلمتى إبليس والشيطان ، نقول :

كلمة « إبليس » تعريب للكلمة اليونانية "diabolos" من الفعل "diaballw" بمعنى : نم ــ وشى بـ ــ قذف ــ اتهم بالباطل ــ افترى على ــ اشتكى على .

وكلمة « شيطان » هى لفظة عبرانية بصيغة اسم الفاعل مشتقة من الفعل شطن بمعنى كمن أو ضاد أو خاصم ، فيكون معناها إذن خصما أو مضادا . وهى تستعمل بمعناها العمومى فى (١مل ١١ : ١٤) حيث يقول « وأقام الرب لسليمان خصما » (وفى العبرانية شيطانا) . وفى (زك ٣ : ١، ٢) تستعمل محلاة بألـ التعريف بمعناها الخصوصى أى لشخص معلوم حيث يقول ، وأرانى يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب ، والشيطان (الخصم) قائم عن يمينه ليقاومه (وفى العبرانية ليشطنه) . فقال الرب للشيطان : لينتهرك الرب ياشيطان . فيتضح هنا من القرينة ومن استعمال اداة التعريف أن المقصود بهذه الكلمة شخص متصف بالخصومة . وهى تستعمل بهذا المعنى عدة مرات فى الأصحاحين الأولين من سفر أيوب إذ تشير صريحا إلى خصم ومجرب خصوصى » ــ مرشد الطالبين ــ ص ٤٩٦ .

وبالإضافة إلى هذين الإسمين (إبليس ـــ الشيطان) فقد أشار الكتاب المقدس إلى اسماء والقاب أخرى ، ورد بعضها فى نصوص الآيات التى أشرنا إليها سابقا ، مثل « التنين » (رؤ ١٢: ٣) ، و« الحية » (٢كو ١١: ٣) و« الحية القديمة » (رؤ ١٢: ٩) و« الشرير » (مت ٦: ١٣) ، و« ملاك الهاوية » (رؤ ٩: ١١) و« رئيس هذا العالم » (يو ١٢: ٣١) و« رئيس سلطان الهواء » (أف ٢: ٢) و« إله هذا العالم » (٢كو ٤: ٤) و« سلطان الظلمة » (كو ١: ١٣) و« أبدون (هلاك) وأبوليون (المهلك) (رؤ ٩: ١١) و« بليعال » (٢كو ٦: ١٥) ، وهذه الكلمة فى العبرية ليست اسم علم ، وهى تعنى « عديم النفع » أو « عديم الفائدة » ، و« بعلزبول » (مت ١٢: ٢٤) أى إله الذباب ، ويشار إليه فى بشارة متى كرئيس للشياطين .

ومن هذه الإشارات نخرج بالتعاليم التالية :

أ ـــ عندما يقول الرسول يوحنا « ***لأن إبليس من البدء يخطىء*** » (١يو ٣: ٨) ، فإن هذا يعنى أنه **منذ وجدت الخطيئة فهو يفعلها** حيث أنه أبو الخطيئة ، فقد قيل عنه أنه أبو الكذاب . والرسولان بطرس ويهوذا يتكلمان عن ملائكة « ***لم يحفظوا رئاستهم*** » (يه ٦) « ***أخطأوا ... محروسين للقضاء*** » (٢بط ٢: ٤) .

ب ـــ **وبالنسبة لإقامة هؤلاء الملائكة الساقطين** ، فقد حددت لهم ظلمة الهاوية . وهم يتمتعون ـــ حتى زمن الدينونة العامة ـــ بنوع ما من الحرية ، ويتسلطون فى الهواء ، ويمتلىء الهواء منهم . يقول الرسول بولس « ***وأنتم إذ كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلا حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذى يعمل الآن فى ابناء المعصية*** » (أف ٢: ٢) .

ويفسر القديس يوحنا ذهبى الفم هذه الآية فيقول :

لماذا قال عن إبليس أنه « رئيس العالم » ؟ لأن كل الجنس البشرى تقريبا سلموا أنفسهم له والكل صاروا عبيدا له باختيارهم ورغبتهم . وقال « حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح » هنا أيضا يقصد الشيطان الذى يحتل الهواء تحت السماء ، كما يقصد أن القوات غير الجسدية ، هى أرواح الهواء ، التى تحت سلطانه ، فإن مملكته هى من هذا الدهر « ***فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلطات مع ولاة العالم ، على ظلمة هذا الدهر*** » (أف ٦: ١٢) (انظر : تفسير رسالة أفسس للقديس يوحنا ذهبى الفم ـــ تعريب القمص مرقس داود ـــ ١٩٧٦ ـــ ص ٤٦) .

ويشير الآباء إلى وضع الشيطان كرئيس للعالم :

أغناطيوس[1] : « *إن رئيس هذا العالم يريد أن يخطفنى وأن يفسد فكرتى عن الله . أرجو ألا يساعده أحد من الحاضرين هنا . كونوا معى أو بالأحرى مع الله ــ لا تجعلوا المسيح على شفاهكم والعالم فى قلوبكم* » (رو ٧:١) .

« *أهربوا من أحابيل وفخاخ رئيس هذا العالم ، لئلا يؤثر عليكم بأفكاره فتضعفون فى محبتكم . كونوا جميعا قلباً واحداً لا يتجزأ* » (فيلادلفيا ٦:٢) .

برنابا : « *علينا أن نتنبه إلى نفوسنا وأن نتم إرادة الرب فى هذه الأيام الشريرة التى يعمل فيها الشيطان بسلطانه* » (٢:١) .

« *فانتبهوا إلى الأيام الأخيرة . إن أيام حياتنا كلها وإيماننا لا يفيدان شيئا إذا لم نقاوم كأبناء الله مقاومة فعالة ضد هذا الزمان الآثم والمعاثر المستقبلة خوفا من أن ينزلق الظلام إلى داخلنا ... إذا غفونا على فكرة أننا من المختارين نامت معنا خطايانا ، عندها يتسلط علينا سيد الشر ويدفعنا بعيدا عن الملكوت السماوى* » (٤:٩،١٣) .

« *قبل أن يكون لنا الإيمان بالرب ، كان داخلنا حقيرا فاسدا كهيكل مبنى بأيدى بشرية . كان هذا الهيكل مليئا بعبادة الأصنام ومسكنا للشيطان ، عندما كنا نعمل ما يخالف الرب* » (١٦:٧) .

« هناك طريقان للتعليم والعمل : طريق النور وطريق الظلمة . الفرق كبير بين الطريقين . فى الواحد صفوف من ملائكة النور الإلهى ، وفى الثانى صفوف من ملائكة الشيطان . منذ جيل الأجيال ، والله هو السيد ، أما الشيطان فهو رئيس الأزمنة لعالم الإثم الحاضر .

وعلى العموم ، بالنسبة لمقر الشيطان ، يمكن القول أن الشياطين يحلو لها أن تقيم فى :

١ ــ الهواء (رئيس سلطان الهواء أف ٢:٢) ، فى السماوات السفلى المجاورة للأرض (مع اجناد الشر الروحية فى السماويات ــ أف ٦:١٢) .

٢ ــ فى الأماكن المهجورة « ***إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس***

---

(١) انظر فى هذا النص والنصوص التالية : الآباء الرسوليون ــ تعريب المطران الياس معوض ــ بيروت ١٩٧٠ .

فيها ماء يطلب راحة ولا يجد » (مت ١٢:٤٣ ، لو ١١:٢٤) — انظر أيضا (إش ١٣:٢١ ، ٣٤:١٤) .

٣ — إلى جوار القبور (مر ٥:٢ — مت ٨:٢٨ — لو ٨:٢٧) .

٤ — وعلى العموم فى الأماكن المظلمة والنجسة (مر ٥:١٢ — مت ٨:٣١ — لو ٧:٣٣ — أف ٦:١٢ — كو ١:١٣) .

ويذهب البعض إلى تصنيف الشياطين . من حيث الإقامة إلى الفئات الثلاث التالية :

١ — البعض يقيم فى الهواء .
٢ — البعض يدخل إلى الإنسان .
٣ — البعض يغوص فى البحار .

حـ — فى الخطيئة الأولى التى أرتكبت بواسطة أبوينا الأولين ، أشير فيها إلى دور الشيطان الذى تمثل فى الخداع والتضليل ، وهو يخدع البشر فيرتكبون الكثير من الذنوب والخطايا ، كما قيل عن قايين « ***ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه*** » (١يو ٣:١٢) . ويشير الرسول بولس إلى دور الشيطان فى ا لخطيئة قائلاً « ***لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره*** » (٢كو ٢:١١) . على أن الأمر الذى يستحق مزيدا من الانتباه ، هو ما قاله الرسول يوحنا فى رسالته الأولى « ***لأجل هذا أظهر أبن الله لكى ينقض أعمال إبليس*** » (١يو ٣:٨) . فالإنسان وهو يواجه قوة مضادة تدفعه لعمل الشر ، احتاج إلى قوة اسمى وأعلى من قوة الشيطان ، تقاوم إبليس وتدفع عنه الشر .

إنكار وجود الشياطين ، وبطلان مزاعم المنكرين :

بلا شك ، إن القائلين بمذهب وحدة الوجود ، ينكرون وجود الشياطين لأنهم يجعلون الله ، هو الواحد والكل ، ولا يتركون مكانا لوضع الشيطان .

وهناك من يلغى الشخصية الشيطانية ، ويحل محلها عوامل الوعى الباطن التى يسميها الغريزة أو الكبت أو العقدة النفسية أو علل الشخصية السقيمة ، وليس هذا التأويل عند جمهرة المحدثين بالتأويل المقبول ، وكما يرى بعض العلماء ، أن العقل والعلم لا يمنعان وجود الشيطان » (عباس العقاد — إبليس — ص ٢١٨ ، ٢١٩) .

ومن اللاهوتيين المحدثين المتحررين ، من ينكر وجود الشياطين ، أو يقول أن البحث فى شخصية الشيطان ، بحث لا يمكن أن يدخل ضمن علم اللاهوت المسيحى . ويبدو

هذا الرأى ، من الوجهة اللاهوتية هزيلا مرفوضا ، خاصة وكما أشرنا سابقا ، فإن السيد المسيح ــ فيما يقول الرسول يوحنا ــ أظهر لكى ينقض أعمال إبليس .

وخلافا لآراء المنكرين ، فإنه يمكن أن نقدم الأدلة التالية لدحض هذه الإدعاءات الكاذبة :

أ ــ إن تقبل القول بوجود الأرواح الشريرة ، لا يمكن إعتباره أمرا غير معقول ، طالما إنه أمر طبيعى ، أن نقبل القول بأن العالم الروحى (عالم الكائنات الروحية) يجب أن يكون مملكة حرية ، يفسح مجالا لضبط النفس وللسقوط .

ب ــ إن الإيمان بوجود الأرواح الشريرة لا يتعارض مع القول بالسلطة المطلقة لله ، وحضور الله فى كل مكان ، لأنه حسب الفكرة الصحيحة عن الله وعن العالم الروحى ، فإن الله لا يكف عن أن يكون له السلطان المطلق على العالم كله وعلى إبليس أيضا . وبموجب هذا السلطان المطلق ، فإن الله لا يسمح للشيطان بالتحرك غير المقيد ، ولكنه يحدد له الحدود التى يتحرك فيها ويمارس تأثيره من خلالها ، فضلا عن أن الله فى قدرته المطلقة ، يستخدم الشر فى خدمة خطته الخلاصية .

جـ ــ إن القول بأن الأحاديث عن الأرواح الشريرة ، أرتبطت بالأساطير والقصص الخرافية ، لا يكون داعيا لرفض الإيمان بالأرواح الشريرة رفضا مطلقا ، بل الأحرى هو أن تنقى هذه الأحاديث مما هو كاذب ، ويؤكد ما هو حق . ومن ناحية أخرى فإن عمومية الإيمان بالأرواح الشريرة عند مختلف الحضارات القديمة والحديثة ، يمكن ان ينظر إليه كدليل لتأكيد هذه الحقيقة .

وإليك بعض الشواهد ، كشهادة من كتابات الآباء والكتاب الكنسيين . انظر :

1- Clem. 2 Cor. 18, 2.
2- Ignat: Ephes. 10, 3 + 13, 1 + 13, 1 + 17, 1. : Rom. 7, 1.
: Trall. 8, 1 + 9, 1. : Philad. 6, 2.
3- Polycarp: philip 7, 1 + 3 + 17, 1.
4- Ariston. in Origin, against Cels. 4, 52.
5- Aristeid, in Dam. M. 96, 860.
6- Justin: 1 Apolog. 5 + 9 + 14 + 28 + 58.
: 2 Apolog. 5 + 6 + 12.
7- Tatian: Hell. 7 + 8 + 9 +. 12 + 14 + 15 + 20.
8- Theoph: Autol 2 : 8, 28, 29.
9- Barnab: 2, 1 + 4, 9, 13 + 16, 7 + 18, 1-2.
Athynag. Pres. 24 + 25.

٢ ـ سقوط الشياطين

بلا شك ، لم يخلق الشياطين بالطبيعة أشرارا ، فلا يقوم الشر كعنصر جوهرى فى طبيعتهم ، بل كان الشياطين كائنات صالحة ، بين الملائكة الصالحين ، ولكنهم بحريتهم اختاروا طريق الشر ولم يثبتوا فى حالة الخير ورفضوا الولاء والخشوع لله ، فسقطوا من السماء . فالشياطين إذن لم يخلقوا هكذا بل صاروا شياطين ، لأن الله لا يخلق الشر . انظر :

1- M. Basil: Isa. 14, 278 M. 30, 608.
: God is not the reason of evil 8, M. 31, 345.
2- Dam. mnym. 2, 4, M. 94, 876.
3- Athynag. Pres. 24, 25 B. 4, 301.
4- Cyril: Alex. gen. 1, 3 M. 69, 21-24.
: against Ioulian. Log. IV, M. 76, 688.
5- Tatian: Hell. 16, B. 4, 252.
: ibid. 7, B. 4, 246.
6- Orig. Princip. 1, 6 M. 11, 119.
7- August: De Civit. XI, 15, m. 41, 330.
8- Cyril. Jer. Catech. 2, 2, M. 33, 412.
9- Justin. 1 Apol. 28 B. 3, 175.
10- Theoph. 2 Autol. 28, B. 5, 40.
11- Dam. mnym. 2, 4, M. 94, 876.
12- Clem. Alex. Strom. 5, 14, B. 8, 150.

+ يحدد بعض الآباء سبب سقوط الشياطين فى « الكبرياء » ويستندون فى ذلك إلى الأدلة الكتابية التالية :

فى قول الرسول بولس إلى تلميذه تيموثيؤس « ***فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم ... غير حديث الإيمان لئلا يتصلف فيسقط فى دينونة إبليس*** » (١تى ٣:٦) وكان يهدف الشيطان فى اغرائه وتضليله لآدم وحواء ، أن يخلق فيهما روح الكبرياء والتصلف « ***بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه ـ أى من ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة ـ تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر*** » (تك ٣:٥) .

وجاء فى سفر إشعياء « ***كيف سقطت من السماء يازُهَرة (نجم) بنت الصبح . كيف قطعت إلى الأرض ياقاهر الأمم . وأنت قلت فى قلبك أصعد إلى السماوات أرفع كرسى***

فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع فى أقاصى الشمال . أصعد فوق مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلى » (إش ١٤ :١٢ــ١٤) .

وما جاء فى سفر حزقيال عن ملك صور ، يشير بطريقة رمزية أو رئيسية إلى سقوط الشيطان حيث يقول :

« يا ابن آدم ، أرفع مرثاه على ملك صور وقل له . هكذا قال السيد الرب . أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال . كنت فى عدن جنة الله . كل حجر كريم ستارتك عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد وجزع ويشب وياقوت أزرق وبهرمان وزمرد وذهب . أنشأوا فيك صنعة صيغة الفصوص وترصيعها يوم خلقت . أنت الكروب المنبسط المُظَلِّل وأقمتك . على جبل الله المقدس كنت ، وبين حجارة النار تمشيت . أنت كامل فى طرقك ، من يوم خلقت حتى وجد فيك إثم . بكثرة تجارتك ملأوا جوفك ظلما فأخطأت ، فأطرحك من جبل الله وأبيدك أيها الكروب المظلل من بين حجارة النار . قد ارتفع قلبك لبهجتك . أفسدت حكمتك لأجل بهائك . سأطرحك إلى الأرض وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك . قد نجست مقادسك بكثرة آثامك ، بظلم تجارتك فأخرج نارا من وسطك فتأكلك وأصيرك رمادا على الأرض أمام عينى كل من يراك » (حز ١٢:٢٨ــ١٨) .

وبالنسبة لكتابات الآباء انظر :

1- Dam. mnym. 2, 4 M. 94, 876.
2- Greg. Naz. Log. 38, 9 M. 36, 320.
3- Athanas. Parthen. 5, M. 28, 257.
4- M. Basil. Isa. 2, 88 M. 30, 261.
5- Cyril. Alex. John. 2, 4, M. 73, 809.
6- Theodor. Her. 5, M. 83, 476.
7- Cyril. Jer. Catech. 2, 4, M. 33, 412-413.
8- August. De Gen. XXIII, 30-32 m. 34, 441-442.

يقول ساويرس ابن المقفع فى علة سقوط الشيطان « كان سبب سقوطه امتناعه عن التسبيح لله مع الملائكة ، استكبارا منه وتشبها بالله ، وكذلك يشهد عنه إشعياء النبى قائلاً . كيف سقط نجم الصبح الذى كان أرفع من جميع الكواكب إلا أنه أستكبر وقال أترك كرسى على الغمام وأكون متشبها بالعلى ، فقد أظهر النبى أن سبب سقوطه استكباره » (الدر الثمين ــ ص ٢٤٤) .

وحسب هذا الرأى يكون الزمن التاريخى لسقوط الشيطان يرجع إلى ما قبل سقوط الإنسان ، حتى أن ابن المقفع يقول « إن الشيطان لما سقط من مرتبته ورئاسة الملائكة هو وجميع جنده الذى كان مترأسا عليهم بطاعتهم له وامتناعهم عن التسبيح مثله ، خلق الله آدم بدله ليخلق منه بعدد العسكر الذين سقطوا مع إبليس ، ويصعدهم إلى مرتبة رئاسة الملائكة التى منها سقط إبليس وجنده . وعلى هذا السبب حسدهم إبليس على مرتبته ، حسدهم واحتال عليهم حتى استكبروا مثله وطلبوا اللاهوتية حتى اسقطهم الله مثله ، وأوجب عليهم ما أوجب عليه من العقاب إلى الأبد ، لمساواة ذنبهم مع خطيئة ذنبه ، حتى بذل ابن الله نفسه عنهم واحتمل العقوبة الواجبة عليهم واعادهم إلى المرتبة التى لها خلقوا » (المرجع السابق ص ٢٤٥) .

+ على أن هناك من يذهب إلى القول أن سبب سقوط الشيطان ، كان حسده للإنسان . وحسب هذا الرأى ، يرجع زمن سقوط الشيطان إلى الوقت الذى خلق فيه آدم . أى أنه لما خلق الله الإنسان على صورته ومثاله (كما قال ترتليانس كبريانوس) حسده الشيطان ، أو أن الشيطان حسد الإنسان بسبب المحبة التى كانت للكلمة نحوه كما يرى ايريناوس . والقول بأن الشيطان سقط بسبب حسده للإنسان ، يستند إلى قول الكتاب « ***وبحسد المحتال دخل الموت إلى العالم*** » (سفر الحكمة ٢:٢٤) . انظر :

1- Iren: Elen VI, 40, 3 M. 7, 1113.
: ibid V, 24, 3-4, M. 7, 1188.
2- Justin. Diolog. 124, 3 B. 3, 324.
3- Tertull: De patientia 5, m. 1, 1256.
: De polnitentia 5, m. 1, 1235.
: De anima 20 m. 2, 683.
4- Kyprian: De Zelo et livore 3, 4, m. 4, 640.

+ وبلا شك ، فإن الشيطان لم يسع إلى التوبة ولم يطلبها ، بل أظهر كل عناد وإصرار فى عصيانه . وكما يلاحظ القديس باسيليوس الكبير ، أن الشيطان كان له مكان للتوبة قبل خلقة الإنسان . وحتى إذا كانت كبرياء الشيطان أقدم من خلقة الإنسان ، فقد كان هناك مكان لهذا الداء لكى يشفى منه الشيطان ويعود إلى حالته الأولى . ولكن حدث عندما خلق العالم المحسوس وزرعت جنة عدن ووضع الإنسان فيها وأعطى وصية من الله ، تبع ذلك حسد الشيطان وقتله للإنسان ، وبذلك لم يعد له مكان للتوبة ، ذلك لأنه إذا كان عيسو الذى باع بكوريته ، قيل عنه لم يعد له مكان للتوبة إذ يقول الرسول بولس

« ***أنه (أى عيسو) أيضا بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رفض إذ لم يجد للتوبة مكانا مع أنه طلبها بدموع*** » (عب ١٢ : ١٧) ، فبالأحرى لن يكون مكان للتوبة لإبليس الذى قتل الإنسان الأول وبواسطته دخل الموت إلى العالم .

M. Basil. Isa. XIV, 279 M. 30, 609.

وفى كلمات أخرى ، فإن جريمة الشيطان الجديدة التى أرتكبها ضد الإنسان قد أثقلت دينونته التى نتجت عن عصيانه وتمرده وجعلتها بلا مبرر وثقيلة حتى لم يعد هناك مكان للتوبة بسبب ما انتهجه من تصلب وتيبس وامعان فى الخطية .

+ جاء فى الأصحاح السادس من سفر التكوين « ***أن ابناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ... وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهن أولادا ، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم*** » (تك ٦ : ١—٤) .

وهناك بعض الآباء مثل يوستينوس ، من قَبل تفسير « ابناء الله » بالملائكة ، وان الملائكة باختلاطهم بالنساء انجبوا « الشياطين » . ولقد قبل أيضا ايريناوس الزعم باختلاط الملائكة بالنساء . وذهب ترتليانس إلى القول بان الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى كورنثوس يطلب من المرأة أن تغطى رأسها فى الكنيسة « من أجل الملائكة » (١كو ١١ : ١٠) ، أى حتى لا يتعثر — حسب رأيه — الملائكة وهم ينظرون إلى النساء . على أن هناك أيضا من الآباء والكتاب الكنسيين من رفض الأخذ بهذا التفسير ، فقد رفض تاتيانس رأى يوستينوس ، كما رفض اكليمنضس الزعم بأن الرسول بولس خشى من عثرة الملائكة بالنظر إلى النساء ورؤوسهن مكشوفة ، وارتأى أن الرسول يقصد هنا الأفاضل والأتقياء من البشر الذين من الممكن أن يتعثروا بالنظر إلى النساء . انظر :

1- Justin 2 Apol. 5, 2, B. 3, 202.
2- Athynag. Pres. 24, 25 B. 4, 301.
3- Tatian. Hell. 12, B. 4, 250.
4- Iren. IV, 16, 2 M. 7, 1016.
5- Tertull: De idol. g. m. 1, 671.
: De Cult. fem. 1, 2, m. 1, 1305.
De virg. vel. 7, m. 2, 899.
6- Clem. Alex: Oikoum. (1 cor. 11, 10), M. 118, 800.
: Paid. 3, 2 B. 7, 196.
: Strom. 5, 1, B. 8, 114.

+ إن القول بزواج الملائكة من بنات الناس ، هو ما يقول به أحد كتب الأبوكريفا المسمى بكتاب « أخنوخ » حيث وجد فيه هذا التفسير لعبارة « أبناء الله » باعتبارها تشير إلى الملائكة .

ولقد رفض كل من أوريجينوس والقديس أثناسيوس الرسولى وباسيليوس واغريغوريوس ويوحنا ذهبى الفم ، كتاب « اخنوخ » ورفضوا القول بزواج الملائكة من بنات الناس — وكذلك رفض القديس أوغسطينوس تفسير ابناء الله بالملائكة مؤكدا أنها تشير إلى البشر ، وقد رد سقوط الشياطين إلى كبريائهم وان كان لم يرفض أوغسطينوس إمكانية ان يحدث اختلاط بين الشياطين والنساء ، وهو أمر تقبله أيضا توما الإكوينى : انظر :

1- Orig: John VI, 42, 217 B. 12, 49.
: against Cels. V, 55, 620 B. 10, 50.
2- Chrys: Gen. hom. 22, 2 M. 53, 188.
3- August: Quaestiones in Heptateuchum 1, 1 q. 111 m. 34, 549.
: De civit. Dei XV 23, 1, m. 41, 468.

+ ويمكن أن نلخص ما قلناه سابقا فى النقاط التالية :

أ — ان تمرد الشيطان ضد الله ، كان هو العصيان الأول الذى هبط بالشيطان من مصاف الملائكة .

ب — على هذا النحو صار الشيطان واتباعه وعاء لجميع الخطايا . وقد حسد الشيطان الإنسان بسبب ما كان له من مكانة وبذلك دفعه إلى العصيان . وهذا الموقف من قبل الشيطان أثقل خطاياه وزاد فى تعدياته .

جـ — سوف يعذب الشيطان عذابا أبديا فى بحيرة النار والكبريت وليس هناك مكان لتوبة الشيطان أو لرجوعه لحالته الأولى قبل السقوط . انظر :

1- M. Basil (God is not the reason of evil) 8, M. 31, 348.
2- Theod. Her. 5 M. 83, 477.
3- Tatian. Hell. 14 B. 4, 251.
4- Just. 1 Apol. 28, B. 3, 175.
5- Athanas. Parthen. 5, M. 28, 257.
6- M. Basil. Isa. 14, 279 M. 30, 609.
7- Dam. mnym. 2, 4 M. 94, 877.

٣ ـ طبيعة الشياطين

يذهب القديس باسيليوس الكبير إلى القول بأن الشياطين بلا أجساد ، وهو يستند فى ذلك إلى قول الرسول بولس « ***إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ولكن مع أرواح شريرة*** ».

M. Basil "God is not the reason of evil" 8, M. 31, 348.

ولكن الروح حسب القديس كيرلس الأورشليمى ، تطلق بوجه عام على ما ليس له جسد كثيف . ويمضى القديس كيرلس إلى القول بأن الشياطين من حيث أنه ليس لها هذه الأجساد ، أى الأجساد الكثيفة ، فهى لذلك تسمى « بأرواح » .

Cyril Jer. Catech. 16, 15, M. 33, 940.

ويشير اكليمنضس الرومانى إلى أن الشياطين بلا أجساد ، ليس بمعنى أنه ليس لها أجساد ، ذلك لأن لها هيئة ولها إحساس بالعذاب .

Clem. (of Theodot). 14, B. 8, 321.

ويؤكد تاتيان أيضا بأن الشياطين ليس لها جسد ، ولكن تكوينها روحى نارى وهوائى .

Tatian. Hell. 15, B. 4, 252.

ويرى القديس أوغسطينوس ، أن الشياطين لها أجساد ، وإن لم تكن قد ولدت من إمرأة ، ويصفها بأنها أجساد هوائية لا تتعرض للتحلل بالموت .

"Corporum aeriorum ... morte nom dissolventur".

انظر :

August: Sermon XII, IX, g m. 38, 104.
: De Genesi 111, X, 14, m. 34, 248.

وهكذا ، فكما الملائكة هكذا أيضا الشياطين ، وهم من أصل ملائكى وسقطوا ، تكون لهم أجساد هوائية ، وفقط بالمقارنة بأجسادنا الكثيفة يقال عنها أنها بلا أجساد. والشيطان كما قال عنه الرسول بولس « رئيس سلطان الهواء » ، وهو إذ طرد من السماء — فيما يقول القديس أوغسطينوس يقيم فى الهواء انظر :

1- Dam. mnym. 2, 4, M. 94, 876.
2- M. Basil: ibid 9, M. 31, 352.
3- Athynag. Pres. 25, B. 4, 301.
4- August. De Civit VIII, 22, m. 41, 246.

والشياطين لا يتسلطون على الهواء ، لدرجة أنهم يحكمونه ، بل فيه يندسون ، وإلى هذا الحد تكون سلطتهم . وهم لم يفقدوا استمرارية البقاء (عدم الموت) بسبب الخطيئة ، ولكنهم « محروسون للقضاء » (٢بط ٢:٤) وسوف يعذبون فى بحيرة النار والكبريت إلى الأبد ، هم وأتباعهم من البشر . انظر :

1- Theoph. Ephes. 2, 2 M. 124, 1052.
2- Oikoum. M. 118, 1188.
3- Justin. 1 Apol. 28 B. 3, 175.

+ **وبالنسبة لظهورات الشياطين** ، يقول القديس أنطونيوس الكبير :

ان الشياطين تظهر غالبا على هذا النحو ، كما كشف الرب لأيوب القائل ***« عيناه كهدب الصبح ، من فيه تخرج مصابيح . شرار نار تتطاير منه . من منخريه يخرج دخان كأنه من قدر منفوخ أو من مرجل . نَفَسه يشعل جمرا ولهيب يخرج من فيه »*** (أيو ٤١ :١٨—٢١) . هذا هو رئيس الشياطين . إن الرب قد صوره لأيوب مرعبا ومتكلما بفخر واعتزاز ***« يحسب الحديد كالتبن والنحاس كالعود النخر »*** (أيوب ٤١:٢٧) ؛ ***« يعتبر البحر كأنه حمام ماء ولجج المياه كأنها أسيرة وممر له »*** أما النبى فيقول فى سفر الخروج ***« قال العدو إننى إذا تتبعته فسوف القى القبض عليه »*** (خر ١٥:٩) وإشعياء يقول ***« سأقبض بيدى على المسكونة كلها مثلما أقبض على العش مع الفراخ وسأرفعها كما يرفع المرء البيض المهجور »*** (إش ١٠:١٤) . هذه الأمور يفخر بها الشيطان واعدا بها المؤمنين ليخدعهم . لذلك يجب أن لا نخاف من ظهوراته وأصواته لأنه كذاب . إذ على الرغم من هذا الافتخار وهذه الوقاحة ، فإن الرب قد قبض عليه بصنارة كأفعى كبيرة ، حتى نسخر منه . الشياطين تتحرك فى الأسفل مثل العقارب والحيات (لو ١٠:١٩) كى ندوسها نحن . فها إن ذاك الذى يزعم أنه سيسود البحر وسيصبح سيد

المسكونة لا يستطيع أن يعيق نسكنا ولا يستطيع أن يعيقنى أنا المتكلم ضده الآن . فلنعرض عن أقواله فهو يكذب ، ولنتشجع أمام تخيلاته ، فهى كاذبة كذلك . الضوء الذى يظهر عن طريق التخيلات ليس حقيقيا إنما هو مقدمة وصورة عن نار جهنم المعد له . أى أنهم يخيفون الناس بالأمور التى سيعذبون بها . إن شباحه وتخيلاته تظهر وتختفى سريعا دون أن تسبب أذى لأى مؤمن ، فلا تخافوا إذن من فنونهم ، لأنها تصبح عدما بنعمة المسيح ، الشياطين شريرة جداً وقادرة على أن تأخذ الشكل الذى تريده ، فكثيرا ما تتظاهر بأنها ترتل مستشهده بالكتاب المقدس . وأحيانا تردد الأمور التى نقرأها وكأنها صدى . وتارة تنهضنا للصلاة كى لا ننام . وطورا تتخذ شكل الرهبان متظاهرة أنها تتكلم بتقوى وذلك كى تخدعنا . لذا يجب ألا نصغى إليها حينما تنهضنا للصلاة ، وحينما تنصحنا ألا نأكل أبدا . فهى لا تفعل هذا عن تقوى أو إيمان بل لتقود المستقيمين إلى اليأس ولتظهر لهم أن الحياة النسكية غير مفيدة فتثير فيهم الاشمئزاز وتجعلهم يظنون بأن الحياة الرهبانية صعبة التطبيق . بهذا تعيق الذين يحاربونها .

(سيرة القديس أنطونيوس الكبير ، كما دونها القديس أثناسيوس ـــ نقلها عن اليونانية الأب ميشال نجم ـــ منشورات معهد القديس يوحنا الدمشقى ـــ البلمند ـــ (بيروت) ١٩٧٩ ص ٣١ ـــ ٣٣) .

+ **أما بالنسبة للحرية التى زود بها الله جميع الكائنات العاقلة ، ومعهم أيضا الملائكة** ، فمن الواضح أن الشيطان أيضا كان له الحرية فى أن يظل فى علاقة مرضية مع الله فينمو فى القداسة إلى درجات أعلى ، أو يبتعد عن الله وعن السلوك الصالح ، ولكنه أختار طريق الشر فسقط من رتبته الملائكية . ومن يفعل الخطيئة وفقا لكلام السيد المسيح ، فهو عبد للخطيئة (يو ٨:٣٨) . ولم يصبح الشيطان مصدرا وأصلا للشر ، ولكنه صار أسيرا له على الدوام .

M. Basil: ibid 8, M. 31, 345.

فالشياطين إذن قد خلقوا من الله كائنات صالحة خيرة ، لأن كل ما يفعله الله فهو خير وصالح ولكنهم بإرادتهم الحرة صاروا أشرارا وصاروا أصلا لكل الشرور ، مجدفين على الله خادعين ومضللين للنفوس البشرية . على أن الشياطين لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا بالبشر أو بالعالم إلا بسماح من الله . إنهم لا يستطيعون أن يجبروا الإنسان على أن يخطىء ، ولكنهم فقط يحاولون بالتجارب أن يخدعوه ، ذلك لأن الإنسان أيضا كائن حر ،

والله نفسه يحترم الحرية البشرية ولا يتعامل مع الإنسان بالقسر والإجبار . وكما قلنا سابقا ، فإن الشياطين يتحركون داخل الحدود التى سمح بها الله ، وليس لهم حرية مطلقة سواء من جهة الإنسان أو بالنسبة لأى أمر من أمور العالم.

وفى حريتهم ــ كما قلنا ــ اختار الشياطين طريق الشر بسبب ما امتلئوا به من حب للكبرياء والغطرسة ، وبسبب روح الحسد اتجهوا للخداع وتضليل الإنسان . انظر :

1- M. Basil: ibid 9 M. 31, 349.
2- August: De civit. VIII 22 m. 41, 246.

+ وبالطبع ، فإن طبيعة الشيطان لا تسمح له أن يكون فى مكانين فى آن واحد ، على الرغم من أنه يتميز بسرعة الانتقال من مكان إلى آخر.

+ ويحاول الشيطان أن يدخل إلى قلب الإنسان وعقله لكى يخدعه ويضلله . يقول هيرماس الراعى : إنه (أى الشيطان) لا يستطيع أن يتغلب على عبيد الله الذين يؤمنون من أعماق قلوبهم . الشيطان يجيد الصراع لكنه لا يغلب إذا صمدتم فى وجهه بل يندحر ويهرب خجلا . الأشخاص الفارغون هم الذين يخافون الشيطان كقوى . تصور أن إنسانا ملأ جراره بالخمر وترك واحدة فارغة حتى نصفها وعندما حان وقت التفتيش على الجرار فتش أولا على الجرة الفارغة حتى نصفها لأن الخطر يكمن فيها فقط . إنه مطمئن على الجرار المليئة ، أما الجرة النصف فارغة فهى معرضة لتتحول خلا فتخسر لذة مذاقها . كذلك الشيطان يجرب عبيد الله فمن كانت قلوبهم مليئة بالإيمان وقفوا بوجهه بقوة فارتد عنهم خائبا لأن قلوبهم مملوءة . لذلك يفتش على القلب الذى يجد فيه فراغا يملأه فيدخله ويوجهه وفقا لإرادته (الوصية ٥:١٢) ترجمة المطران الياس معوض .

ويقول أيضا هيرماس الراعى فى الوصية الخامسة :

عندما تأتى هذه الأرواح لتقطن فى آنية واحدة حيث يقطن الروح القدس ، تطفح الآنية لأنها لا تتسع لكل هذه الأرواح . وهكذا يهرب الروح القدس بطبيعته اللطيفة لأنه لا يستطيع أن يسكن مع هذه الأرواح الشريرة . ويذهب ليقطن حيث الوداعة والهدوء . بعد ترك الروح القدس للإنسان واستيطان هذه الأرواح فيه ، يفقد الإنسان اتزانه فتتقاذفه هذه الأرواح من مكان إلى مكان ، فيسقط فى عماوة كلية بعد فقده للنور الحقيقى (المرجع السابق ص ٢٠٠) .

ويقول القديس أغناطيوس فى رسالته إلى أفسس « لنحاول أن نتشبه بالسيد ولنتبارى فى حمل الظلم والمهانة والاحتقار حتى لا يكون للشيطان فى قلوبكم مكان ينبت فيه عشبه . اثبتوا فى النقاوة الكاملة والتعقل جسديا وروحيا فى يسوع المسيح » (المرجع السابق ص ١١١) . وانظر أيضا :

1- Chrys. (2 cor 2:11) M. 61, 425.
2- Theod. ibid, M. 82, 388.
3- Dam. (Ephes. 6, 11) M. 95, 853.
4- Ignat: Trall. 8, 1, B. 2, 273.
5- Tatian: Hell. 14, B. 4, 251.
6- Cyril. Alex. Psalm. 9, 28, M. 69, 784.

ولكن كيف يدخل الشيطان إلى قلب الإنسان أو فكره فيخدعه أو يضلله ؟

بلا شك ، إن فاعلية الشيطان فى خداع الإنسان تظل أمرا غامضا غير مفهوم ، ولكن يمكن أن نشبهها من ناحية بتأثير البيئة الطبيعية التى تحيط بالإنسان ، بما فيها من ميكروبات تضر بجسده . مما يسبب له المرض ، ومن ناحية أخرى نشبهها بتأثير البيئة الروحية أو المحيط الروحى أو روح العصر على الإنسان ، وكذلك نشبهها بتأثير المعاشرة والصحبة على أخلاق الإنسان .

ويتحدث الإيغومانس ميخائيل ، عن طريقة تضليل الشياطين للبشر ، فيقول :

يجب أن نعلم تماما العلم أن للشيطان قدرة تامة أن يتصل بعقل الإنسان اتصالا كليا ومن ثم يستطيع أن يضع فيه ما يريد أن يفعله فيضله ويغويه ويهيجه على أرتكاب أفظع الشرور وأقبح الآثام ، وذلك بمراعاة أميال الإنسان وما يركن إليه فى طباعه . فمن كان من الناس ميالا لجمع المال وادخاره حرك فيه هذا الميل ونشطه . ومن كان مشغفا بالمآكل والمشارب وتنعم الجسد بمختلف ضروب الشهوات والملذات ، قوى فيه هذه الرغبات وأزكى نارها ، ومن كان محبا للسلب والنهب والظلم والاستبداد والكبرياء والكذب زين له هاتيك الرذائل وشجعه على الإدمان عليها والإمعان فيها (تك ٣:١ــ٦ ، ١مل ٢٠:٢٢ ، أع ٥:٣) (المجلد الثانى ص ١٣٤ ــ ١٣٥) .

ولزيادة الإيضاح نشير إلى أجوبة الأب سيرينوس (كما تضمنها كتاب : مناظرات يوحنا كاسيان مع مشاهير آباء البرية ــ الجزء الثانى ٦ ، ٧ ــ مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج) .

يقول الأب سيرينوس : لا يشك أحد من جهة تأثير الأرواح الشريرة على أفكارنا ، وذلك عن طريق تحريك البواعث من غير أى تأثير محسوس ، أى عن طريق اتجاهاتنا أو من كلماتنا ومن الأمور التى نحبها والتى يرون أننا نميل إليها ، لكنهم لا يقدرون أن يقتربوا إلى تلك التى تأتى من مخابىء الروح . وهم يكشفون الأفكار التى يطرحونها علينا لا بسبب طبيعة الروح نفسها أى الميل الداخلى المخفى فى العقل ، إنما عن طريق الإنفعالات والعلامات الظاهرية التى يفعلها الإنسان . فمثلاً عندما يقترحون على الإنسان بالنهم ، إذا ما رأوا الراهب يتطلع من الكوة تجاه الشمس يقلق أو يسأل باستمرار عن الساعة ، يدركون أنه قد قبل شهوة النهم . وإذا ما إقترحوا الزنا ورأوه يخضع بهدوء لهجوم الشهوة أو يرون تهيجا جسديا أو تأوهات ناجمة عن خلاعة الإقتراحات النجسة يعلمون أن سهم الشهوة قد نفذ إلى داخل روحه . وإذا ما أثاروا فينا بواعث نحو الحزن أو الغضب أو التهيج ، فإنهم يستطيعون أن يدركوا إن كانت لها جذور فى القلب أم لا عن طريق حركات الجسد والإضطرابات المنظورة وبملاحظتهم التنهدات أو السكون أو انفعال الغضب أو تغير لون الإنسان ، وبهذا يكتشفون بدهاء الأخطاء التى يسقط فيها الإنسان ، لأنهم يعلمون أن كل إنسان له خطية معينة ينجذب إليها على الدوام . وهذا ليس بعجيب بالنسبة لقوات الهواء ، لأنه حتى الإنسان الطاهر غالبا ما يقدر أن يكتشف حال غيره الداخلى من طلعته ونظراته وحركاته الخارجية ، فكم بالأكثر يقدر هؤلاء الذين لهم طبيعة روحية وبالتالى هم أكثر دهاء وحذاقة من البشر .

مثال : بعض اللصوص لكى يعرفوا موضع الكنوز المخفية فى المنازل التى يرغبون سرقتها ، ينثرون رملا فى ظلام الليل بدقة فيكتشفون الكنوز المخفية التى لا يقدرون أن يروها ، وذلك عن طريق رنين الصوت الذى يحدث أثناء سقوط الرمل ، وبهذا يبلغون إلى المعرفة الحقيقية من جهة وجود المعادن التى تكشف نفسها بنفسها عن طريق الصوت الناتج عنها . هكذا بالنسبة للتجسس على كنوز قلوبنا ، يلقون علينا رمال الإقتراحات الشريرة ، وإذ يرون بعض التأثيرات الجسدية التى تطابق الصفات الداخلية ، يعلمون كما لو كان بنوع ما من رنين الصوت الذى يحدث فى المخابىء الداخلية ما قد خفى فى المكان السرى الذى للإنسان الداخلى .

ويقول أيضا : لنعلم أنه لا تستطيع كل الشياطين أن تغرس فى البشر كل الأهواء ، بل أرواحا معينة تحتضن خطايا معينة . البعض يثير الشهوات الدنسة النجسة ، والآخر

التجديف ، وآخرون تخصصوا بالأكثر فى الغضب والسخط ، والبعض يفلحون فى الكآبة ، وآخرون يهدأون بالكبرياء والعظمة ، فكل واحد منهم يغرس فى قلوب البشر ما يُسر هو به . وهم لا يقدرون أن يغرسوا رذائلهم دفعة واحدة إنما بترتيب حسب الظروف ، أى حسب الزمان أو المكان أو الشخص نفسه الذى يفتضحونه بإثارته أثناء اقتراحاتهم .... والأرواح تتقدم بعضها البعض بطريقة معينة ، فإذا ما انهزم أحدها أو تراجع ترك مجالا لروح آخر أكثر عنفا ليهاجمه .... وإذا ما انتصر الروح لم يعد بعد هناك حاجة لكى يأتى آخر ليخدع الإنسان ... ولسنا نجهل أن الأرواح جميعها ليست فى نفس الشراسة والنشاط ولا فى نفس الشجاعة والخبث .

ويقول أيضا الأب سيرنيوس : ليس عجيبا أن تتصل روح بروح وأن تعمل بقوة إغراء خفية ، ولكن يستحيل أن تستقر الأرواح داخلنا أو تتحد معنا بطريقة تغطى علينا لأن هذا من حق الله وحده الذى يسيطر علينا بطبيعته الروحية ... فالبعض يتأثر بالأرواح النجسة بطريقة ما حتى أنه لا يكون لديهم أى إدراك لما يعملونه ويقولونه .. ولكن يلزمنا ألا نتصور بأن هذا يحدث بطريقة فيها ينسكب الروح النجس خلال مادة الروح الإنسانية ... فلا يحدث هذا نتيجة لفقدان الروح الإنسانية خلال الروح النجس ، بل بسبب ضعف الجسد ، فيلقى الروح النجس القبض على هذه الأعضاء ويسكن فيها ويلقى عليها ثقلا غير محتمل (ص ٤٠ — ٤٧) .

\+ **وبالنسبة لقدرة الشيطان نلاحظ ما يأتى :**

تبدو قوة الشيطان من الأضرار التى أمكن أن يوقعها بأيوب ، بسماح من الله ، ويستعمل الشيطان وسائل متعددة فى سبيل تنفيذ مآربه وخططه مثل السحر والعرافة . ومهما قيل عن قوة الشيطان والوسائل التى يستعملها ، فإن كل هذا يتم بسماح الله وبالقدر الذى يسمح به ، فالله لا يسمح أن يجرب الإنسان فوق الطاقة .

ومن ناحية أخرى ، فإن الشيطان يضعف أمام قوة الإيمان . يقول هيرماس الراعى : من هم الذين نالوا الأكاليل ودخلوا البرج (أى الكنيسة) ؟ الذين صارعوا الشيطان وغلبوه (أمثال ٨:٣) .

ويقول أيضا : إنى أقول لكم إن ملاك التوبة لا يخشى الشيطان . إنى قد أرسلت لأكون من التائبين من كل قلوبهم لأشددهم فى الإيمان . آمنوا أنتم أيها الذين جهلتم الحياة بسبب خطاياكم وأضفتم فوق خطاياكم خطايا أثقلت قلوبكم وحياتكم حتى تعودوا إلى الرب من

كل قلوبكم وتفعلوا العدل طوال حياتكم وتعملوا وفقا لإرادة الله فتنالون شفاء خطاياكم السابقة وتحوزون على القوة للسيطرة على أعمال الشيطان . لا تخافوا كل تهديدات الشيطان . إنه مشلول كشريان مشلول (الوصية ٦:١٢) .

« كل لذة هى فارغة بالنسبة لعبيد الله لأنها ابنة الشيطان . يجب أن نبتعد عن الرغبات الشريرة فبابتعادنا عنها نحيا فى الله . أولئك الذين لا يبتعدون عنها ولا يقاومونها ينقادون فى النهاية إلى الموت لأن هذه الرغبات مميتة . عليك إذن أن تلبس رغبة العدل وتتسلح بخوف الله وتقاوم الشهوات لأن خوف الله يقطن فى الرغبة الصالحة . الرغبة الشريرة إذا رأتك مسلحا بخوف الله تولى هاربة ولا تجسر قط أن تظهر أمامك إذا رأتك مستعداً لمقاومتها . حينئذ تلبس رأسك أكليل الظفر . فاقترب من الرغبة الصالحة ، وبعد أن تقدم لها المديح اللائق كرس نفسك لها وضع نفسك تحت تصرفها ، وهكذا تستطيع أن تسيطر على الرغبة الشريرة وتتحكم بها وفقا لإرادتك » . (الوصية ٢:١٢) .

ويقول أيضا « إنه لا يستطيع أن يضلل من يملأهم الإيمان كليا ولا أن يفعل فعله فيهم لأن قوة الله معهم . إنه يضلل المتقلقلين نفسيا » . (الوصية ٢:٥) .

ويقول القديس اغناطيوس « **حاولوا أن تكثفوا اجتماعاتكم لتقدموا شكركم وتمجيدكم لله ، لأن قوى الشيطان تضمحل وقدرته تنحل أمام اتفاق إيمانكم . لا شىء أفضل من السلام لأنه يجرد أعداءنا المنظورين وغير المنظورين من كل اسلحتهم** » (أفسس ١٣:١،٢) .

ولقد أفاض القديس أنطونيوس الكبير فى الحديث عن الشيطان ، وكشف لنا من واقع خبراته عن قدرتنا كمؤمنين على قهر الشيطان وغلبته ، وقد قال فى ذلك[1] :

ينبغى الإنتباه والتدرب كى يستطيع الواحد منا أن يعرف حبائلهم ، وذلك عند حصوله من الروح القدس على موهبة التمييز بين الأرواح وعلى معرفة أهدافهم ومعرفة الطريقة التى بها يطردون ويهزمون ، إذ أن حبائهلم ، ووسائل هجومهم متعددة . الرسول المطوب وتلاميذه عرفوا حبائل الشيطان « **إننا لا نجهل أفكاره** » (٢كو ١١:٢) . يجب على كل منا أن يصلح الآخر وفقا لخبرته مع الشياطين ، وأنا بما أننى أملك هذه الخبرة فسأعرضها ياأولادى عليكم :

(١) سيرة القديس أنطونيوس الكبير للقديس أثناسيوس : ص ٣١ — ٤١ .

إذا ما رأى الشيطان أن المسيحيين عامة والرهبان خاصة يتقدمون روحيا ، يسعى فى تجربتهم ناصبا لهم عثارا فى الطريق أى أفكارا شريرة . فلا تخافوا من هجماتهم ، لأنهم يهزمون بالصلوات والأصوام ، لكنهم لا يتوقفون عن الهجوم ، بل يقتربون من جديد بغش وخبث . فعندما لا يستطيعون إثارة شهوة دنسة فى الفكر يلجأون إلى أسلوب آخر مثيرين فى الفكر تخيلات دنسة آخذين شكل النساء والوحوش والزحافات . لا نرتعب من هذه التخيلات ، لأنها ليست بشىء وتختفى بسرعة ، عندما يحمى المرء نفسه بالإيمان وبإشارة الصليب . إنهم وقحون جداً وذوو صفاقة ، لأنهم يبتدعون أيضا أسلوبا جديدا فى هجومهم ، إذ يدعون أنهم يتنبأون عما سيحدث بعد أيام مظهرين أنفسهم مديدى القامة . أما إذا وجدوا النفس زاخرة بالإيمان فيطلبون مساعدة رئيسهم .

ويقول أيضا القديس أنطونيوس :

إن الرب قد قبض عليه (أى الشيطان) بصنارة كأفعى كبيرة حتى نسخر منه . الشياطين تتحرك فى الأسفل مثل العقارب والحيات كى ندوسها نحن . فها إن ذاك الذى يزعم أنه سيسود البحر وسيصبح سيد المسكونة ، لا يستطيع أن يعيق نسكنا ولا يستطيع أن يعيقنى أنا المتكلم ضده الآن . فلنعرض عن أقواله ، فهو يكذب ولنتشجع أمام تخيلاته ، فهى كاذبة كذلك . الضوء الذى يظهر عن طريق التخيلات ليس حقيقيا ، إنما هو مقدمة وصورة عن نار جهنم المعد له ، أى أنهم يخيفون الناس بالأمور التى سيتعذبون بها . إن اشباحه وتخيلاته تظهر وتختفى سريعا دون أن تسبب أى أذى لأى مؤمن . فلا تخافوا إذن من فنونهم لأنها تصبح عدما بنعمة المسيح ... إن الرب كإله يكم أفواه الشياطين ... فهى ضعيفة ولا تقوى على شىء سوى التهديد ... لقد سقط العدو وضعفت شياطينه بتجسد الرب وأصبح غير قادر على تحقيق أى شىء . لكن بما أنه طاغية فهو لا يهدأ . يهدد حتى لو كان تهديده بالأقوال فقط . فليضع كل منا هذه الأمور فى فكره ولا شك أنه سيقوى على احتقار الشياطين ... وهى على يقين بأننا بالقدر الذى نتقدم فيه روحيا تضعف هى . فلو كانت تملك القوة لما تركت مسيحيا واحدا منا على قيد الحياة .

وانظر كذلك :

1- Chrys. Stag. 1, 4, M. 47, 432.
2- M. Basil (God is not ...) 9, M. 31, 349 + 10, M. 31, 352.
3- Clem. Alex. Strom. 4, 12, B. 8, 78.
4- Dam. mnym. 2, 4 M. 94, 877.
5- Justin, 2 Apol. 6, 6 B. 3, 203.

+ **أما عن المعرفة ، فيمكننا أن نقول** ، أنه بالنسبة لمعرفة الحقائق ، وعلى العموم بالنسبة للأمور الخاصة بمستقبل الذين يتعرضون لتجاربه ، **فهو أعمى جاهل لا يعى منها** شيئا . فلقد فقد الشيطان نور البصيرة التى كان يتمتع بها قبل السقوط وكان يجهل سر التدبير الإلهى . ويمكن أن يكون قد عرف عن طريق النبوات ما يتصل بمجىء المسيح ومقدمه ، ولكن تظل الأمور المتصلة بهذا المجىء مبهمة غامضة غير واضحة له ، فلم يكن يدرى أن المسيح الذى جاء هو المسيا المنتظر ، ولذلك فقد لجأ إلى تجربته ليتعرف على حقيقته . وكما يعلم الآباء بأنه لا يمكن لأحد أن يرى الله إلا إذا توفرت له طهارة القلب ، وليس كل الذين رأوا المسيح عرفوه ، لأنه كما يقول القديس باسيليوس الكبير : إن معرفة الله لا تتم إلا بالروح القدس ، وهو أمر لا يتوفر للشيطان . انظر :

1- Clem. Alex: Strom. 4, 12 B. 8, 78.
: Proph. eklog. 53 B. 8, 347.
2- Dam. mnym. 2, 4, M. 94, 877.
3- August. De civit. Dei IX 20, m. 41, 273.
4- Orig. Luk. 1, 11.
5- M. Basil: Holy Spirit 16, 38, M. 32, 137-140.

ويقول القديس أنطونيوس الكبير :

إذا ما تظاهرت (أى الشياطين) بالنبوة ، فلا تعطوها أية أهمية . فهى تورد اسماء الإخوة الذين سنلتقى بهم بعد أيام ، كى تقنع السامعين . لكن بعد أن يصبحوا ملك أيديها تنقض عليهم . لذلك يجب ألا ننصت إليها عندما تتنبأ ، بل يجب أن نهزمها ، إذ لسنا بحاجة إليها . إنها ذوات أجساد أكثر خفة من أجساد الناس ، لذلك تسبقهم فى الطريق معلنة عما سيحدث . هذا الشىء يقدر أن يقوله أى فارس لأنه يصل قبل السائر على قدميه . فلا نعجب بهذه المقدرة لأنها لا تعرف الأمور التى لم تحدث بعد . الله وحده هو العارف بكل شىء قبل حدوثه . إلى كم من الناس تظهر فى هذه اللحظة بالذات ؟ ها أننا نتكلم الآن ضدها ، فقبل أن يترك الواحد منا المكان ، تسرع لتخبر عنه . هذا ما يستطيع أن يقوم به ولد يقوى على الركض بسرعة ، لأنه يسبق الذى يسير على مهل .....

أحيانا تثرثر بالطريقة ذاتها حول مياه الأنهار ، أى أنها ترى الأمطار وهى تهطل فى مناطق الحبشة فتدرك أن المياه ستسبب فيضانا فى النيل ، لذلك تركض لتخبر عن الفيضان قبل وصول المياه . لو كان الناس يستطيعون العدو مثلها ، لأخبروا عن الأمر ..... .
(المرجع السابق) .

فهرس الكتاب

مقدمة نيافة الأنبا موسى	٥
الباب الحادى عشر : خلقة العالم	٧
١- خلقة العالم	١٠
٢- الخلق من لا شئ	١٧
٣- الخلقة فى علاقتها بالزمن	٢٠
٤- خصائص فعل الخلق	٢٤
٥- الغاية من الخلق	٢٩
٦- نظام تحقيق المخلوقات	٣٢
الباب الثانى عشر : العنـــايـــة الألهيـــة حفظ الخليقة وتدبيرها	٣٣
١- العناية الالهية	٣٥
٢- حفظ الخليقة	٤٨
٣- تدبير العالم	٥٧
الباب الثالث عشر : التدبير الألهى وعلاقته بالمعجزة والصلاة والحرية الأنسانية	٦١
١- التدبير الإلهى وعلاقته بالمعجزة	٦٣
٢- التدبير الإلهى وعلاقته بالصلاة	٦٦
٣- التدبير الإلهى وعلاقته بالحرية الإنسانية	٦٨
الباب الرابع عشر : عالم الملائكة	٨٥
١- الملائكة من حيث الاسم الذى يحملونه	٨٨
٢- الادلة العقلية على وجود الملائكة	٩٠
٣- إمكانية تغير حالة الملائكة ككائنات حرة	٩٩
٤- عدد الملائكة وطغماتهم	١٠٥
الباب الخامس عشر : عالم الشياطين	١١٧
١- وجود الأرواح الشريرة	١٢١
٢- سقوط الشياطين	١٣٣
٣- طبيعة الشياطين	١٣٨





صدر من هذه السلسلة ...

+ الجزء الأول ويحوى :

+ مفهوم العقيـدة.
+ مصادر العقيـدة.
+ منهـج العقيـدة.
+ الإعـلان الألـهى.
+ الوحـى والتقليـد.
+ معـرفـة اللــه.
+ حول صفات اللـه.

+ الجزء الثانى ويحوى :

+ كيف نتعرف على صفات الله؟
+ الثالوث القدوس .
+ الأنسان صورة الله .

يطلب من مكتبة أسقفية الشباب بالأنبا رويس - العباسية

